المجاهدة
للصفاء و المشاهدة

فوزي محمد أبوزيد
مدير عام بالتربية والتعليم بطنطا

دار الإيمان والحياة

الطبعة الأولى :
العاشر من محـــــرم ١٤٢٦ هـ
الثامن عشر من فبراير ٢٠٠٥ م

الترقيم الدولى : 977-17-2124-0
رقم الإيداع : ٥٨٧٢ / ٢٠٠٥
طبع بمطابع نوبار للطباعة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على هداه ، وله الشكر على عميم نعمه وخالص عطاياه . والصلاة والسلام على حبيبه ومصطفاه سيدنا محمد ، وآله ومن والاه
وبعد

جعل الله عز وجل للسادة العارفين ، وللأولياء والصالحين ، والسالكين والمريدين ، جهاداً للنفوس ، به تزكو وتنال فلاحها ، فتنال الفتح الرباني ، وتحصل على المنح الإلهية تحقيقا لقول الحق عزَّ شأنه :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ، وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾
[الآيتان (١٤-١٥) سورةالأعلى].

ولذلك كان جل اهتمام العارفين بالنفس وأنواعها ، وخواطرها ، ودسائسها ، ورعوناتها ، وخلجاتها.وقد بينوا ذلك كله بيانا وافيا للسالكين والمريدين ، حتى يتمكنوا من جهاد نفوسهم، وتصفية قلوبهم ، فينالوا مرادهم ، ويصلوا إلى مطلوبهم .

وقد طلب منا إخوان صدق ووفاء ، أن نميط اللثام ، ونكشف عن الحقائق التي تحدث عنها إمامنا السيد / محمد ماضى أبو العزائم ، فى قصيدته الجامعة فى مقام المجاهدة ، والتي يستهلها بقوله:

جاهد نفوسا فيك بالشرع الأمين واحذر قوى الشيطان فى القلب كمين

فأخذنا فى بيانها فى دروس متوالية ، بمقر الجمعية العامة للـــدعوة إلى الله بحدائق المعادى بالقاهرة .وقد قام بتسجيلها على شرائط كاسيت ، ثم تفريغها وكتابتها الأخوان الصادقان :

الأستاذ / محـــسن عبـــدالحى الموظـــف بالهيئـــة العامـــة للإتصالات بالقاهرة ، والأستاذ / مصطفى عبدالموجود المشرف العـــام بالمدينة الجامعية لجامعة الزقازيق.

وقام بعد ذلك بكتابتها على الكمبيوتر بعـــد مراجعتـــها الـــسيدة الفاضلة/ سوسن عبدالله درويش ، والسيد / أحمد ســـعيد عبـــدالعال المدرس بالتربية والتعليم بالشرقية.

ومن العجب ، أننا كنا قد تعرضنا لهذا الموضوع – وهـــو جهـــاد النفس – بالشرح والتفصيل فى عام ١٩٩٦ ، وقد تم تجميع بعض هذه الدروس تحت عنوان (جهاد أهل العناية لمنازل الولاية)، وألمعنا فى بعض كتبنا إلى خروج كتاب لنا بهذا العنوان ، وشـــاءت إرادة الله تعـــالى أن تظل هذه الوريقات حبيسة فى خزانة الكتب ، حتى قيض الله عز وجل لها أن تخرج إلى النور بين ثنايا هذا الكتاب ، ولذلك جعلناهـــا فى فـــصل مستقل كما هي بدون حذف أو إضافة ، مع أن بعض ما بها من معان قد تكرر مرة أخرى فى الدروس المستجدة .

وقد اخترنا لهذا الكتاب عنوان : (المجاهدة للصفاء والمشاهدة) . لأنه يركز على الوسائل والأساليب التي يتم بها جهاد النفس وصفاء القلب ، حتى يصل العبد إلى مقامات القرب والأنس بالله عز وجل وبرسوله صلى الله عليه وسلم .

وقد ألمعنا إلى رذاذ من الفتوحات التي يفتح الله عز وجل بها على العارفين ، وأشرنا إلى بعض المنح الإلهية ، والعطايا الربانية ، التي يتفضل الله تعالى بها على الصالحين ، وذلك إنهاضا لهمم المريدين ، وتحفيزا لعزائم السالكين .

والله تعالى اسأل : أن يجعله شفاءاً لما فى الصدور ، وطهرة للنفوس ، وسموا للأرواح ، وجمالا للقلوب .

وصلّى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

مساء الخميس ، أول أيام عيد الأضحى المبارك .
العاشر من ذى الحجة ١٤٢٥هـ
العشرون من يناير ٢٠٠٥م

فوزي محمد أبو زيد
الجميزة — غربية
ت : ٠٤٠٥٣٤٠٥١٩-٠٤٠، فاكس : ٠٤٠-٥٣٤٤٤٦٠
الموقع على شبكة الإنترنت : WWW.Fawzyabuzeid.com
البريد الإليكترونى : fawzy@Fawzyabuzeid.com

قصيدة السير والسلوك

قال الإمام محمد ماضى أبو العزائم رضي الله عنه

﴿ فى مقام المجاهدة ﴾

جَاهِدْ نُفُوسَاً فِيكَ بِالشَّرْعِ الأَمِين / وَاحْذَرْ قُوَى الشَّيْطَانِ فِى القَلْبِ كَمِينْ

غِلٌّ وَكَيْدٌ مِنْ حَسُودٍ مَاكِرٍ / ظُلْمُ العِبَادِ بِنِيَّةٍ فِى كُلِّ حِينْ

هَذَا اللَّعِينُ بِهِ الهَلاكُ فَخَلِّهِ / أَسْرِعْ إِلَى القُرْآنِ فِى الرُّكْنِ المَتِينْ

وَالنَّفْسُ شَهْوَةُ مَطْعَمٍ أَوْ مَشْرَبٍ / أَوْ مَلْبَسٍ فَاحْذَرْ بِهَا الدَّاءَ الدَّفِينْ

إلا الضَّرُورَةَ فَالإِبَاحَةُ إِنْ دَعَتْ / فِيهَا الضَّرُورَةُ فَاطْلُبَنْهَا مِنْ مُعِينْ

وَالنَّفْسُ إِنْ تَدْعُو مِسَاسًا فَاحْذَرَنْ / إلا الحَلالَ فَإِنَّهُ المَاءُ المَعِينْ

جُعْ أَضْعِفَنْهَا وَاحْذَرَنْ مِنْ غَيِّهَا / غُضَّ الجُفُونَ وَحَاذِرَنْ فَتْكَ الكَمِينْ

وَالنَّفْسُ دَاعِيَةُ الرِّيَاسَةِ فَاحْذَرَنْ / فِرْعَوْنَهَا تَنْجُو مِنَ الدَّاءِ الدَّفِينْ

وَادْخُلْ حُصُونَ الشَّرْعِ قَلْبَاً قَالِبَاً / تَحْيَا سَعِيداً فِى شُهُودِ المُتَّقِينْ

تِلْكَ النُّفُوسُ قَوِيَّةٌ فِى فِعْلِهَا / قَدْ تَحْجُبُ الأَفْرَادَ كَمْ أَرْدَتْ سَجِينْ

الشَّرْعُ عِصْمَةُ سَالِكٍ يَهْدِى إِلَى / دَارِ الصَّفَا رِضْوَانِ رَبِّ العَالَمِينْ

فِى الشَّيْبِ جَاهِدْ كَالشَّبَابِ وَحَافِظَنْ / فَالنَّفْسُ شَيْطَانٌ يُبِيدُ السَّالِكِينْ

وَالْجَأْ إِلَى مَوْلاكَ مُعْتَصِمَاً بِهِ / مُسْتَشْفِعَاً بِالأَنْبِيَا وَالمُرْسَلِينْ

مَوْلاىَ إِنِّى عَاجِزٌ عَنْ كَبْحِهَا / هَبْ لِى اعْتِصَامَاً مِنْكَ بِالشَّرْعِ الأَمِينْ

هَبْ لِى اتِّبَاعَ مُحَمَّدٍ وَاجْذِبْ إِلَى / رَوْضِ الشُّهُودِ العَبْدَ بِالعَزْمِ المَكِينْ

وَاقْبَلْ مَتَابَ العَبْدِ وَامْنَحْنِى الرِّضَا / وَالفَضْلَ وَالغُفْرَانَ مِنْ فَضْلِ المَتِينْ



الباب الأول

النفوس و أنواعها

- مراقي الجهاد
- الجهاد الموصل
- مؤهلات الإمامة في طريق الله
- جهاد النفوس
- حقيقة النفس و أنواعها
- المشاهد الملكوتية و المجالي القدسية
- أوصاف النفس الجمادية
- يقظة القلب

النفوس و أنواعها (*)

الحمد الله الذي أنعم علي حبيبه و مصطفاه بمعرفته ، و الإطــلاع علي أوصافه، و مشاهدة أنوار سنا وجهه.

والصلاة والسلام علي بهي الطلعة ، وضيء الوجه ، باسم السمحة ، فريد العطر ، ذكي الحسب والنسب ، أصل كل الأصول ، ومــصدر كل النقول ، سيدنا محمد ، الشمس الحقية الإلهية التي ليس لها أفــول ، عليه وعلى آله الغر الميامين وصحابته من المقربين وأهل اليمين وكل من اتبعه بإحسان إلي يوم الدين ، والصلاة والتسليم من الله عز وجل لهم ولنا ولكل المؤمنين ، إلي يوم الدين .

القصيدة التي نحن بصدد شرحها والتعليق عليها ، هــي قــصيدة السير والسلوك للإمام أبي العزائم رضي الله عنه . وقد اخترناها لكي ننــهج جميعا علي النهج الذي أسس عليه إمامنا الإمــام أبــو العــزائم رضي الله عنه منهجه في تزكية النفوس وتصفية القلوب.

ولم نختر كتاب القصائد ، لأن النهج الذي علمه لنا سادتنا الأجــلاء : أن الإنسان السالك يأخذ قصيدة واحدة ، ويقرأها ، ويتدبرها ، ويعيش فيها ، ويعمل بها ، فيأتيه مددها من العلوم والأسرار والأنوار. ثم ينتقل إلي غيرها ، وهكذا.

(*) كان هذا الدرس بمقر الجمعية العامة للدعوة إلى الله بحدائق المعادى بالقاهرة يوم الجمعة ٢٧ من جمادى الآخرة ١٤٢٥هـ الموافق ١٣ من أغسطس ٢٠٠٤م .

......فنحن لا نريد أن يطالع السالك في كتاب قصائد ، لأنا لا نريد المطالعة ، ولكن نريد المتابعة ، وهذا هو منهجنا الذي به نحصِّل الأسرار ، وبه يمدنا الله عز وجل بخالص الأنوار ، ببركة متابعة الوارث الفرد للنبى المختار صلى الله عليه وسلم .

مراقي الجهاد

وهذه القصيدة تحث علي جهاد النفوس ، لأن المراتب التي يصل بها الإنسان إلي معرفة الله عز وجل ، هي أن يجاهد نفسه ، ثم يطهر قلبه ، ثم يهيم بما ألهمه الله ذكرا ووجدا وعشقا في ذات ربه ، فيكرمه الله عز وجل بفضله ويعطيه من خزائن جوده ما أعد الله لأوليائه .

وهذا هو منهج السادة العزمية في معرفة الله عز وجل ، وكما بيَّنا مرارا وتكرارا ، فإن منهجنا يهدف إلي معرفة الله ، وليس إلى جنة الله . لأن جنة الله يورثها العمل الصالح ، لكن منهجنا يهدي إلي الله ...، والذي يهدي إلي الله هو متابعة الصالحين من عباد الله الذين أحسنوا المتابعة لحبيب الله ومصطفاه سر قول الحق جل في علاه :

﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ [وليس إلى الجنة] عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ (الآية ١٠٨ – سورة يوسف) .

فأول باب من أبواب الجهاد للسالك ، أن يتعرف علي مملكة النفوس التي جعلها فيه الملك القدوس عز وجل . فإن أي حجاب ، وأي

صدود ، وأي وقوف ، وأي رانٍ ، وأي غينٍ ، وأي بينٍ ، سببه الأول : هو النفس . ولذلك عندما قال سيدي أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه وهو في مواجهة حضرة ربه عز وجل:

يارب ! كيف الوصول إليك ؟

فقال: يا أبا يزيد ، اترك نفسك ، وتعال .

وقال سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري رضي الله عنه: موضحا هذه الحقيقة : " مكتوبٌ علي حضرة المليك القدوس لا يدخلها أرباب النفوس."

......فأصحاب النفوس لا يسمح لهم بدخول هذه الحضرة .

وقد قال إمامنا ومرشدنا مولانا الإمام أبو العزائم رضي الله عنه في منهج تربية العارفين للمريدين :

"نحن قوم نكتم أسرارنا عن الطالب حتي لا يكون له شهوة إلا في الحق"

......وقد أوضح هذا الأمر بجلاء في كتابه (مذكرة المرشد والمسترشد) ،.....ويستطيع الإنسان منا أن يجد بعض معاني هذه القصيدة ، وبعض معاني تقرب له معرفة عالم النفوس ، في :

كتاب (النور المبين في علوم اليقين ونيل السعادتين) ، وكتاب(معارج المقربين) ، و كتاب(شراب الأرواح من فضل الكريم الفتاح) ، وكتاب (مذكرة المرشدين والمسترشدين) .

و هذه الكتب الأربع ــ وهي كلها للإمام أبي العزائم ــ : تتناول من خلال بعض أبوابها ما يتعلق بالنفس ومجاهداتها .

الجهاد الموصل

و الجهاد الموصل لحقيقة معرفة الله ، لكي يكون الإنسان منا كما قال حبيب الله ومصطفاه: :

{ من عرف نفسه فقد عرف ربه } ١ .

فيقول رضي الله عنه وأرضاه موضحا هذه الحقيقة:

" نحن نمتحن الطالب ، فنبيح له بعض أسرارنا الخاصة الدنيوية ، فإذا ضيعها ، فهو لما سواها أضيع . وإلا كيف يؤتمن علي أسرار الحضرة ، وهو لا يؤتمن علي أسرار البيوت".

بمعني أن المشايخ قد يكشفون لبعض المريدين بعض أسرارهم الخاصة مع أولادهم ، أو مع إخوانهم ، أو زوجاتهم . فيظن المريد أنه أصبح صاحب سر – وليس هناك مانع – لكن المهم حفظ السر .

احفظن سري فسري لا يباح ... من يبح بالسر بعد العلم طاح

فالذي يبوح بالسر يُطاح من طريق القوم ، لأنه لا يؤتمن علي أسرارهم الخاصة ، وليس هذا منهج مولانا الإمام أبي العزائم وحده ، بل هو منهج الصالحين أجمعين .

فسيدي ذو النون المصري رضي الله عنه وأرضاه كان يسكن في الجيزة ، وأتاه رجل من أهل جده ، وقال :

(١) وقع فى أدب الدين والدنيا للماوردى عن عائشة ، سئل النبى ﷺ من أعرف الناس بربه ؟ قال : أعرفهم بنفسه

....يا سيدي ..!!...أريد أن أتعلم منك اسم الله الأعظم .
....فقال : ..نعم .
فجلس الرجل في صحبته وضيافته ، واستمرت الضيافة لأعوام تعـــدت احدي عشر عاما . وهذا هو حال الصالحين ، لا أحد يضحك علـــيهم ليأخذ السر في طرفة عين ، وإنما أولا امتحان وتجربة .....
وبعد احدى عشر عاما ، قال له :
.....ياسيدي اشتقت لأهلي... ، وأريد أن أذهب إليهم . فعلِّمني اسم الله الأعظم .... فأعطاه صندوقا ...، وقال له :
.....أوصل هذا الصندوق إلي أخي فلان في الروضة .
فأخذه و ذهب ، وبينما هو في الطريق إلي الروضة يمشي علي الكوبري ، سمع خشخشة في الصندوق ، فوسوست له نفسه :...كيف أحمل هذا الصندوق !! ولا أعرف ما فيه ؟
ففتح الصندوق ، فإذا به فأرة قفزت في النيل !!!!.
فرجع حيراناً ، كاسف البال. وعندما رآه الشيخ ....بمجرد النظـــر إلي وجهه ،..علم ما حدث ، فقال له :
....هل أوصلت الأمانة ؟
فلم يرد...، فقال :
..يا أخي.!.إذا لم تؤتمن علي فأرة ، فكيف تؤتمن علي اسم الله الأعظم ؟

مؤهلات الإمامة في طريق الله

﴿ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٦٧﴾ ﴾ [سورة الكهف]

.....فإذا كان سيدنا موسي ، لن يقدر أن يصبر مع العبد في معرفة هذه الحقائق ....، فما بالنا نحن !!؟ وأين نذهب نحن !!؟

فلابد من وجود الصبر .

والذي يريد أن يكون إماما في طريق القوم فما هي مؤهلاته ؟

مركز تخريج الأئمة في كتاب الله : عمل الشروط ، وانتـــهي منـــها ، وجعل الأمر فيها ليس فيه إستثناء :

﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا ﴾

ولم يقل: "جعلناهم" ، لكن قال: "منـــهم" – أي هنـــاك اختبـــارات وامتحانات ، متي يكون ذلك ؟

﴿ لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [السجدة]

....فالشروط هي : الصبر ، والإيقان .

وما حدود الصبر ؟

قال الله عز وجل لحبيبه ومصطفاه:

﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾

[الآية (٣٥) سورة الأحقاف] .

أي صبرك أنت ، يجب أن يعادل صبر أولي العزم كلهم ، فلابـــد مـــن الصبر القوي :

﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾ [الآية (٣٥) سورة فصلت].
فالإنسان الذي يريد معرفة الله عَزَّ وَجَلَّ ، لا بد أن يوطن نفسه من البداية علي الصبر مع الله ، ومع أولياء الله .
وليس الصبر علي طاعة الله ، وعلي نزول المصائب فقط !.
....لأن كل هذا لابد منه....، والذي يجعلك تصبر هو الله ،....لكن : ما هو صبرك أنت....!!؟
.....صبرك أنت علي سيرك مع الصالحين .
....لأن هذه أسرار الحضرة ، وتصاريف القدرة ــ ولا يطلع عليها كما قالوا المجرمون ــ لا يطلع عليها إلا المؤهلون ، والصالحون.....الذين إصطفاهم ، ونقاهم، ورقاهم ، وأدناهم ، وحباهم الله عَزَّ وَجَلَّ..، ورسوله ﷺ .
فلابد أن الإنسان يوطن نفسه علي الصبر الطويل ، الذي قال فيه الله:
﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ (الآيه ١٢٧- سورة النحل) ،
﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الآية(٣١) سورة محمد] .
....فالإبتلاء ربما يكون في النفس ، أو في المال ، أو في الأهل ، أو يكون في الوجهة ، وربما يكون في الدنيا ، وربما يكون في مطالب الآخرة .
....وقد يكون في أفراد الصالحين والمتقين : أنواع ، وأصناف ، وأشكال من الفتن ، لا يستطيع الإنسان أن ينجو منها ، إلا إذا كان معه رفيق في مقام الصديق ، كما كان الصديق مع النبي ﷺ .

والذي لا يريد أن يتحمل ،....فليعلم : أن الصالحين لا يريدون شيئا من أحد لأنفسهم .....فأنت الذي تريد ....، وأنت الطالب..!.

جهاد النفوس

والنفوس كما قال فيها الإمام أبو العـــزائم رضي الله عنه وأرضـــاه ، في قصيدته الأخرى...:

فطر النفـوس تقودها لعناهـا   والله بالشرع الشريف هداهـا
لولا الشريعة بينت سبل الهدي   ضلت نفوس في سحيق هواها
نفس تميل إلي الحظوظ بطبعها   والقهر والإفســاد كل مناها
والجسم آلات لها تسعـي بـه   وبريدها الحسُّ الذي أرداهـا

فالنفس بطبيعتها تميل للإفساد .
.....فأول الجهاد لمن أراد القرب والوداد من رب العباد :
.....أن يجاهد النفوس : "جاهد نفوسا فيك " ، أي أن الجهاد بداخلك أنت . "جاهد نفوسا فيك بالشرع الأمين ": أي بالـشرع المعتـدل ، بالشرع الذي يأتيك من الصالحين ، ومن أئمة المتقين ، ولا تمـش وراء الشاذين ، وتفتح الأبواب المهجورة من الشرع ، بل خذ الوسطية...:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾ [الآية(١٤٣) سورة البقرة].،
ولذلك قال في القصيدة الأخرى : "فكن وسطا يا طالب الإقبال ".
والمنهج الذي نسير عليه : الوسطية .

حقيقة النفس وأنواعها

فما النفس ؟
......وما النفوس التي أجاهدها ؟
......النفس هي القوة الغيبية التي تسيِّر الجسم ، وتجعله يسير ويتحرك ويمشي في هذا الكون .

والنفس هي التي يتم بها تدبير الغذاء للجسم . فهي التي تجعلك تحسُّ بالجوع ، و تحسُّ بالشبع ، وتقوم بترتيب النماء في الخلايا والأعضاء ، والإحلال والإماتة لكل الخلايا الموجودة في جسم الإنسان .
.....وهذه تسمي :

النفس النباتية ، أو النفس المغذية ، أو النفس الغذائية :
كما قال الله تعالى:
﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة نوح].
فهذه هي النفس النباتية .

والتي عليها الغذاء ، وترتيب النماء ، وترتيب الإشراف علـــي جميـــع الأعضاء ، حتى تظل في صحة وقوة ، كما يريد الله ﷻ ، وكما وضحَّ سيد الأمناء ﷺ .

أما النفس التي تميل للشهوات :... شهوة النكاح ، أو... شـــهوة المنصب ، والجاه ،.. أو غيرها من الشهوات التي تسيطر علي الإنسان : هذه نسميها في مجملها :

النفس الشهوانية : وهي تنقسم إلي قسمين :

نفس إبليسية :

وهي التي تختص بالشهوات النفسانية :..كحب العلو والظهور ، وحب الرياسة ، وهذه شهوات معنوية....و :

نفس حيوانية :

وهي التي تختص بالشهوات الجسدية . وهذه الشهوات الدنية الجسدية ، يقول فيها الإمام أبو العزائم :

والنفس شهوة مطعم أو مشرب أو ملبس ... أو منكح فاحذر بها الداء الدفين

وهذه هي النفس الحيوانية ، من مشرب ، وملبس ، و منكح.

أما النفس الثانية وهي الإبليسية :

والنفس داعية الرياسة فاحذرن ... فرعونها تنجو من الـــــداء الدفين

لأن هذه أشد الأدواء الخطيرة :... حـــب الرياســـة ،... والرغبـــة في السلطة ،..والـــسطوة ،...وحـــب العظمـــة ،... والتظـــاهر بـــالعزة والجبروت... ، والله سبحانه وتعالي قال :
((الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما قصمته ولا أبالي)).
فهؤلاء هم : النفس النباتية ، والنفس الحيوانية ، والنفس الإبليسية .

أما النفس التي تظهر ساعة الغضب ....، ويظهر عليها القهـــر ، والتسلط ، والمدافعة ، والمنازعة ، والمجادلة ، ....والملاددة في الخصام ، فتسمي :

النفس السبعية :

ولذلك فإن صاحبها يتصرف تصرف السباع عندما يغضب ، فهو :
إمّا :....يرفس : كالحمار ، أو الحصان ، وإما :...ينطح : كالثور ، وإما :....يضرب باليدين : مثل الأسد ، وإما :...يبصق : مثل الثعبان .
وكلها دائرة واحدة تسمي "دائرة الوحوش" ، وهي من النفس السبعية.

أما النفس الخامسة فهي :

النفس الملكوتية :

التي تتشبه بالملائكة....فهي تميل إلي... الطاعة ، والإســـتقامة ،... وإلي الميل إلي الهدي ....وتميل إلي الوداعة،..أي إلي التوادد ، والتحابـــب ، والتآلف ، والتزاور ، والتآخي ، والتعاون .
....وتسمي كل هذه بالنفس الملكوتية .

وفيها يظهر الإنسان كالمَلَك.
و المَلَكُ والإنسان فيها ، كما قال الرحمن :

﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾
[الآية (٦) سورة التحريم].

ولذلك ربنا ، سمَّي الملائكة : "عباد الرحمن"...في قوله:

﴿ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾
[الآية (١٩) سورة الزخرف]،

وقال في الإنسان...:

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡض هَوۡنًا﴾ [الآية (٦٣) سورة الفرقان] .

فالملائكة :.."عباد الرحمن "..، والمطيعون لله أيضا سمَّاهم : "عباد الرحمن". و عباد الرحمن...يترلون علي عباد الرحمن...في قوله :

﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ ... من هم يارب ؟
﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ ﴾
[الآية ٣٠- سورة فصلت].

حكّموا النفس الملكوتية في تسيير دفة المملكة الإنسانية ، فأصبحت هي التي تسيِّرُها ، وهي التي تمشِّيها ، وتتحكم فيها : في ذهابها ، وإيابها .

المشاهد الملكوتية والمجالي القدسية

وإذا مَنّ الله علي المرء ،..بعد إخضاع نفسه للنفس الملكوتية ، ينفخ فيه من روحه بنفسٍ ، وهذه خصوصية ، وتسمي هنا :
النفس القدسية .
وربنا قال فيها:﴿ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ ﴾ [سورة غافر].
وهم عباد مختارون ، فالحق يمنُّ عليهم بالنفس القدسية ، حتى يـــشاهد الواحد منهم....مشاهداً ملكوتية .
فيري : ملكوت الله ــــ والملكوت هو كل ما غـــاب عـــن العـــين ــــ ،
ويري ملكوت الإنسان ، وما فيه من غيب الرحمن ،
يري ملكوت الصدور ، وما فيه من خواطر سببها النور ،
ويري ملكوت القلوب ، وما فيه من خواطر يجريها علام الغيوب ،
ويري ملكوت السموات ، وما فيه من عوالم الملائكة ، وعوالم الجنَّات .
......لكن ليس له إطلاعٌ علي الحضرة القدسية .
......وعند سدرة المنتهي يقول :...ها هنا انتهي مقامي ..!.
لكن صاحب النفس القدسية ــــ التي هي من روح القدس ــــ هذا الذي يشاهد : المجالي الذاتية ، وعوالم العزة ، وعوالم الجبروت ، و عوالم اللاهوت ، وعوالم النعموت ، وعوالم لا يعلمها إلا الحي الذي لا يموت ، وهذه عوالم القدس الأعلي ، التي هي لأهل النفوس القدسية.

أوصاف النفس الجمادية

فالإنسان بعد كل مجهود يحتاج إلي راحة.... والراحة هذه ربما تمتد ، وتجعل الإنسان يكسل ، ويعيش في الكسل، أو الوخم ، أو الخمول ، أو القعود ... فهذه نفسٌ أخرى....، تسمي :

النفس الجمادية .

.....فالنفوس جميعها ..... سبع نفوس :

النفس الجمادية ، والنفس النباتية ، والنفس الإبليسية ، و النفس السبعية ، والنفس الحيوانية ، والنفس الملكوتية ، والنفس القدسية .

.....هم سبع نفوس موجودون في داخل هذا الإنسان.

.....والنفس الجمادية تعتبر من أخطر النفوس .... لأنها تسبب للإنسان وقف الحال !!!، كيف ؟

توسوس له ، وتقول له :أنت علي ما يرام !!، أنت قمت بما عليك !! ، أنت الآن تصلي الفرائض ، وتحافظ علي السنن والنوافل... ، وماذا يريد الله منك بعد هذا...!!! ؟

ولذلك فالإمام أبو العزائم ينادي عليها ، ويقول لها :

فهيا يا مريد الوصل وانهض ... ودع عنك التقاعد والتواني

أي أترك الخواطر السيئة : التي تميت الإنسان ، وتجمده ، وتجعله لا يتحرك .... وتقول له :....يكفيك ما تفعله ...!!

...... وما دام المرء بعيدا عن المعاصي ، ومستقيماً علي أداء الفرائض ، فهذا يكفي للذي يريد الغاية العليا وهي الجنة .
.....لكن الذي يريد المنة ،...ووجه الله...:
فهذا يحتاج لجهاد لا ينقطع ، يقول فيه الله :
﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ [الآية (٧٨) سورة الحج].
وحق الجهاد ما كيفيته ؟.....
سألوا الرجل الصالح .. : ماذا نفعل حتى نصل إلي الله..؟ فقال :

أيها الطالـــــب معني حسننا ... مهـــــــرنا غالٍ لمن يطلبنا

.....والمهر هو:

جســـد مضني وبدن في عنى ... وعيون لا تذوق طعم الوسنا

......فالجسد في الجهاد لا ينام ،
......والنفس في عناءٍ وحربٍ مستمرةٍ ،
......والعيون لا تنام .
......جاء الإمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه ، في شهر رمضان بعد انتهاء السهرة ، وقال لإخوانه :
تعالوا معي لزيارة سيدنا الحسين .
فوجدوا هناك بعض المقاهي ، والجالسين عليها في سهرٍ لا ينامون إلا بعد الفجر ، فقال لهم :
....إذا كان الجماعة الذين يرضون أنفسهم والشيطان ، لا ينـــامون إلا بعد مطلع الفجر..، فكيف بالذي يرضي الرحمن عز وجل ماذا يفعل !!!؟

وكيف ينام معشوق لليلي ... وليلي تشتهي منه القيام ؟!

......وفي مرة ــ وهو في الحج ــ وبعض إخوانه غلبهم النوم ، فقال لهم :.. هيا بنا نطوف حول الكعبة . وكان معهم الخادم الخاص به وهو الشيخ أحمد السبكي ــ رحمة الله عليه ــ فقال له :

أحمد السبكي تنام وتدَّعي حبنا ... نوم أهل القرب في الزلفي حرام

.....قال له هذا ، ليحثه علي الجهاد .
ولا ينتهي الجهاد ، ولا السهاد ، إلا بعد فراغ القلب من :
البلاد ، والعباد ، وكل الصور التي تمنعه عن المنعم الجواد . ويحيا حياة المتقين ، فينام نومة الهائمين .
وأيضا وهو صاحٍ ، فهو هائم .
فيكون مع الله في كل حال ،.....وهذا يكون قد انتهي أمره.... .

.....لكن الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا... فلابد له من الجهاد
.....إلى أن ينطوي القلب علي هذا الأمر ..!.
.....وكيف ينطوي هذا القلب ؟

يقظة القلب

الإمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه ، كان عندما ينام ، لا ينام إلا إذا جيء بأحد ، ويقرأ له القرآن حتي ينام . وكان الذي يقرأ له القـرآن أحيانا يقف ،..فيقول له -وهو نائم- : أكمل ما الذي أوقفك..؟
وعندما يخطيء كان يرده- وهو نائم- فهذا رجل حاله " تنام عـيني وقلبي لا ينام " ، وقد ورث هذا المقام .
أما الذي لم يرث هذا المقام ، فلا بد له من الجهاد في القيام ، والصيام ، حتي يصل إلي هذه الحالة ، لوراثة خير الأنام ﷺ .
وكان هذا الحال يلازمه ، وكان عندما يستغرق في النوم ، يسمع الذين حوله قلبه يقول : ...الله...الله....الله... ، أنفاسـه تقـول....الله ...، وهو في حالة النوم .
وهذا هو حال الصالحين ، و الوارثين لسيد الأولين والآخرين ﷺ .
فالذي لم يصل إلي هذا الحال فلا بد له من المجاهدة حتي يصل إلي هـذا المقام .
وهذا هو منهج الصالحين رضي الله عنهم وأرضاهم .

جاهد نفوسا فيك بالشرع الأمين..واحذر قوي الشيطان في القلب كمين

......وهذه النفوس لها مواصفات كثيرة ....
......وكيفية مجاهدتها لها طرق عديدة ....

......فنترك هذا المقام لوقت آخر ، نتحدث عنه في... مواصفات هذه النفوس.... ، وطرق جهادها ...:
...... من شرع الله ،
...... ومن سنة حبيب الله ومصطفاه ،
...... وعلي منهج الصالحين من عباد الله .

وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم .

نسأل الله عز وجل ...:
....أن ينصرنا علي أنفسنا....، وأن يهذب طباعنا ....،
....وأن يجمل أخلاقنا ،.... ، وأن يكمل أرواحنا....،
..... وأن يكشف لنا عن جماله العلي....، ويرزقنا من علمــه الــوهبي :....ما به نعرف نفوسنا ....، ونتوصل لحقيقة وصلنا ....، ونــذوق رحيق حضرة نبينا.... ،
.... ونكون من الذين أنعم الله عليهم.....
بجـــــــاه النـــــــــبي ﷺ ، وآل بيته الطيبين .

الباب الثاني

جهاد النفوس

- أنواع النفوس
- ميدان مجاهدة النفس
- التشبه برسول الله صلي الله عليه و سلم
- قيام الليل
- الشمائل المحمدية
- مراتب القرب
- التخلق بأخلاق الله
- النفس الأمارة
- النفس الجمادية
- الوسائل و الغايات
- وسائل بلوغ الكمال

(*) الحمد لله رب العالمين ،

والصلاة والسلام علي سيدنا محمد ، ميزاب الحضرة الإلهية ، وكوثر الفيوضات القدسية ، وإمام أهل السبحات الرضوانية ﷺ ، وعلي آله ، أهل النفوس الزكية ، الذين شاركوه في هذه المعية ،... وكل من تبعهم في هذه الطريقة الإحسانية ، رغبة في المشاهد الإيقانية ، ....وعلينا معهم أجمعين .

....آمين آمين.... يا رب العالمين .

أنواع النفوس

إخواني وأحبابي ....بارك الله ﷻ فيكم أجمعين .....

.....تحدثنا في جلسة سابقة في هذا المكان ....طوافا حول معاني النفس وأصنافها....، حتي يتبين للإنسان الأوصاف التي ينبغي أن يجاهدها في هذا الكيان، ....وأن النفس هي مجموعة الأوصاف الإلهية التي تهيمن علي هذه الحقيقة الآدميه ، وتسيرها ، وتسهل لها السير في الحياة الكونيه .

وذكرنا أنواع النفوس في دائرة الإنسان ، وقلنا أنها سبع :

النفس الجماديه ، والنفس النباتية ، والنفس الإبليسية ، و النفس السبعية ، والنفس الحيوانية ، والنفس الملكوتية ، والنفس القدسية .

(*) كان هذا الدرس بمقر الجمعية العامة للدعوة إلى الله بحدائق المعادى بالقاهرة يوم الخميس ٢٣ من شعبان ١٤٢٥ هـ الموافق ٧ من اكتوبر ٢٠٠٤ م .

وشرحنا أوصاف هذه النفوس ، حتي يعلم المؤمن كيف يجاهدها نفسا بعد نفس ..... ليصل إلي الغاية :.... وهي موت النفس عن حظوظها... ، وأهوائها... ، وشهواتها... ، وحياتها بربها لربها عز وجل .

وإن شاء الله ، سنوالي حلقات عن النفس ، ثم إذا قدَّر القدير عز وجل ،.... يصدر هذا في كتيب ، ليستطيع الإنسان منا أن يطالع نفسه في هذا الكتاب ....

.... ولا أفوتكم ...أنني أقتصر فى الحديث عن النفس ، من ناحية : كتاب الله ، وسنة رسول الله ، والجهاد الذي ينبغي لها — كما حققه رجال الصوفية في كل زمان ومكان — إن شاء الله...
حيث حرص الصوفية — في كل زمان ومكان — علي ألا يشغلوا السالك بالتعريفات الفلسفية عن النفس ، وما قاله فيها الفلاسفة وعلماء النفس قديما وحديثا ،.... لأن هذا في نظرهم ...:
.... علمٌ لا يضر جهله ......
....ما يحتاج إليه المرء ......:
هو الذي يحرص علي تعلمه ،....وما يحتاج إليه في كل عمل .....،
....ليبلغ أمله ......

ميدان مجاهدة النفس

واليوم ...نتكلم باختصار شديد ، عن ميـــدان مجاهـــدة الـــنفس ...وكيف يجاهدها الإنسان ..؟

والوسائل المُعينة علي هذا الجهاد ....حتى يبلغ الإنسان المراد ؟

جهاد النفس يا إخواني...

يقوم به طائفة مخصوصة ، مدحهم الله عَزَّ وَجَلَّ ، وأثني عليهم ، وقال فيهم عز شـــــأنه :

﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾

وهؤلاء في مقام ...... ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾

[سورة العنكبوت]

......أي في مقام الإحسان .

ولذلك فالله معهم.... بتأييده ، وبنصره ، وبقوته ، ومعونته ، وبحوله ، وطوله ، وإرادته ، ومشيئته ، عَزَّ وَجَلَّ.

ومن يجاهد النفس ، هو من يجاهدها : ليبلغ الكمالات في الخصال الإلهية ، والأوصاف النبوية ..... هم القوم الذين عشقوا كمالات الله ، وهاموا في أوصاف حبيب الله ومصطفاه ، وأرادوا أن يكمِّلوا أنفـــسهم بهذه الخصال ، وهذه الأوصاف....

.....ولذلك ، فجهاد النفس ، ميدانه الأساسي ليس العبـــادات ، ولا المكابدات ، ولا كثرة الأذكار ، ولا ترداد آيـــات كتـــاب الله عَزَّوَجَلَّ

.....وإنما.... أساس الجهاد :

.....هو التخـــلّي .....والتحـــلّي.....

....التخلّي ....عن : الأوصاف المذمومة .

....والتحلّي بالأوصاف الحميدة.

....وهذا هو مجمل الجهاد...... ومن لم يفهم هذه الحقيقة...: تـــاه في بادية الإلحاد....، ولم يصل ....وإن فني عمره في الجهاد إلي المراد...

....لأن الجهاد مجمله ....: " التحلي بالتخلي بعد محوي لمحلي "...

أن يفهم الإنسان ، ويعتقد ، ويعقد عزيمته : علي أن يبلغ الكمالات .

....والكمالات هنا :

....هي التخلق بأخلاق الله ، والتجمل بأوصاف حبيب الله ومصطفاه .

ولا يمكن له أن يتحلي بهذه الكمالات ، ويتحقق بهذه الكمـــالات ...، إلا إذا...: تخلي عن فطره المهملات ، وأخلاقه الـــتي لا تليـــق بهـــذه الكمالات ، وعاداته التي ليست علي نهج سيد السادات ﷺ....فلابد أن يتخلي الإنسان عن هذه الأشياء.... يتخلي عن عاداته ...: ليتجمل بعادات سيد الأولين والآخرين ....

التشبه برسول الله ﷺ

ومن هنا كان جهاد العارفين في البداية::.... أن يقيم نفسه في مقام المجاهدة ....للتشبه برسول الله ﷺ،....في مشيه ، وفي نومه ، وفي أكله ، وفي شربه ، وفي لبسه ، وفي حديثه ، وفي كلامه ، وفي إقباله علي الخلق ، وفي معاملته للمعرضين ، وفي تودده للمقربين......

.....وكانوا يحرصون كل الحرص علي أن يتشبهوا تشبها كاملا بسيد الأولين والآخرين ،.... في هذه الأبواب ...وغيرها من الأبواب التي لا يتسع الوقت لذكرها .....

.....كان رسول الله ﷺ ينام علي جنبه الأيمن ...فيحكم علي نفسه أن تنام علي الجانب الأيمن ، وإن اعترضت وتملصت ، يظل يجاهدها حتي تنطبع علي هذه العادة المحمدية .....حتي تصير لا ترتاح ....إلا إذا نامت علي الجانب الأيمن ....لماذا ؟

......تشبها برسول الله ﷺ :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾
[سورة الأحزاب].

......سيدنا رسول الله ﷺ كان إذا نام علي جنبه الأيمن ، ينام علي وضوء ، ويقول ﷺ :

{ إذا نام العبد علي طهارةٍ ، رُفعت روحه إلي الـعرش } [1]

......ويستغفر الله...

......ثم يتلو آيات من كتاب الله : وهي آية الكرسي ، وأواخر سورة البقرة ، وسورة الإخلاص ، و المعوذّتين....

......ثم لا يزال يذكر الله ﷻ حتي تنام عيناه .

والسالك في طريق الله ...لا ينام إلا إذا طبقَّ هذه السنَّة الواردة عـــن سيد الأنام ﷺ .

ومن شدة محافظته علي هذه السنَّة ينال وراثة :

" تنام عيني وقلبي لا ينام " ....

فالوراثة تأتي من شدة المحافظة علي السنَّة .... فكلما حافظـــت علـــي السنن النبوية ، ورثت المقام العالي عن خير البرية في هذا الباب .

---

(١) أخرجه البخارى من حديث حذيفة ومسلم

قيـــام الليـــل

أيضا ، رسول الله ﷺ ، كان إذا استيقظ من النوم.. قال :

{الحمد لله الذي أحيانا بعد مماتنا وإليه النشور }[٢].

ثم ينهض ، ويتوضأ ، وينظر إلي السماء ويقرأ :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠ ﴾ [سورة آل عمران]

ويقول في هذه الآيات ...:

{ويل لمن قرأهن ولم يتفكر}[٣] وفي رواية **(ويل لمن قرأهن ولم يتدبر)** ....ثم يدعو دعاء القيام ....ويصلي لله عز وجل ما سمح به الوقت.... مثني مثني . يصلي ركعتين ، تقول فيهما السيدة عائشة رضي الله عنها :

" كان يصلي أربع ركعات لا تسأل عن حسنهن وطولهن ".

وكان الصحابة الكرام ، يحرصون علي متابعته في ذلك ، ويستأذنونه ﷺ أن يبيتوا عنده ، ليحضروا هذه المشاهد العالية .

....ومن هؤلاء ابن عباس رضي الله عنهما ، وسيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وقد صلي خلف رسول ﷺ ، ....وأثبت تقريره في كتب الصحاح عن هذه الصلاة...، فقال رضي الله عنه:

" صليت مع رسول الله ﷺ ، فاستفتح الركعة الأولي بعد

---

(٢) رواه البخارى من حديث حذيفة ومسلم من حديث البراء

(٣) رواه ابن أبى الدنيا عن سفيان

الفاتحة بالبقرة وآل عمران ، والنساء ، والمائدة حتى هممت بأمر عظيم ...،...

قيل له : وما هو ..؟

قال:هممت أن أقعد من شدة ما أصابني من الجهد والتعب...

لأن رسول الله ﷺ كان يناجي الله....، ومشاهد الرضوان التي تتوالي علي أفياء قلبه... كانت تجعله لا يحس بنصب ، ولا تعب ، ....فكان كأنه في جنة المأوي...... يردد قول الله:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾

[الآية(٣٤) سورة فاطر].

......وهكذا كل من دخل هذا الباب ، صار من الأحباب ، من الذين نسمع عنهم : ....أنهم كانوا يصلون في الليل ألف ركعة... أو ثلاث مائة ركعة... أو أكثر أو أقل....!!

......لأنهم دخلوا إلي رياض الشهود ، فلم يحسوا بتعب ولا مجهود ، لأنهم كانوا دائما في مواجهات من حضرة المعبود سبحانه وتعالى....

......والحمد لله ....، سيدنا رسول الله ﷺ ، لم يشق علينا....: فمن لم يستطع إطالة القيام ..، فليأخذ بقدر من القيام ، ولو بركعتين خفيفتين وقد قال رسول الله ﷺ :

{ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل الآخر خير من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق علي أمتي لفرضتهما عليهم}[٤].

(٤) رواه أبو منصور والديلمي

......المهم شيء من المتابعة حتي يحظي الإنسان بالخير الوافر والمــيراث الكامل الذي جعله الله عَزَّ وَجَلَّ ......لمن يقوم بهذه المتابعة....:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ ﴾ [سورة المزمل].

....ثم تحدَّث عَزَّ وَجَلَّ عن الذين شاركوه في هذا الميدان ، وورثوا عنه هذا المقام ، فقال :

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾

[الآية (٢٠)سورة المزمل].

ولم يقل.. "الذين معك" ، وإنما قال "طائفة".... أعانهم الله ، وقــواهم علي هذا القيام ، ليرثوا الحبيب المصطفي ﷺ في هذا المقام.....

......وهذا مقام عالٍ...:

﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ - لماذا ؟ - عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩ ﴾ [الإسراء].

......وقال أحد الصالحين.. :

(من أراد أن ترفع له الأعلام يوم القيامة فليحافظ علي صلاة القيــام)

وقد قال ﷺ :

{بشر المشائين في الظلام ، بالنور التام يوم القيامة} (٥) ،

وقال لنا، ولمن اجتباهم الله ، واختارهم ممن قبلنا ، ومن بعدنا:

---

(٥) (بشر المشائين فى الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة) رواه أبوداود و الترمذى عن بريده

(عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين من قبلكم- أي عادة الصالحين التي كانوا يداومون عليها - **ومطهرة للداء من الجسد ومغفرة لذنوبكم)**[٦].

.....ولذلك كان الصالحون ولا يزالون ، كما قال الله في قرآنه:

﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة الذاريات]

وقد ورد في قول الله عَزَّ وَجَلَّ ، عن سيدنا يعقوب – علي نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم التسليم – عندما قال لبنيه :

﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ﴾ [الآية (٩٨) سورة يوسف].

أنه أخَّرهم لوقت السحر....، لأنه وقت الإجابة...، لم يعجل الإستغفار عندما قالوا له :" يا أبانا استغفر لنا " ، فقال : " سوف أستغفر لكم ربي " ...، وأخَّرهم إلي وقت السحر لأنه وقت الإجابة .

فقد سُئل سيدي عبد العزيز الدباغ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـــ وهو الأمي الذي كان يسأل حضرة النبي في كل سؤال يوجه إليه ـــ لماذا كان وقت السحر وقت الإجابة.. ؟

قال :لأنه الوقت الذي ولد فيه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فجعل الله عَزَّ وَجَلَّ الوقت الذي مس فيه جسمه الشريف الأرض ، وقت إجابة الدعاء ، وتحقيق الرجاء.

...... ولذلك يقول الله فيه في كل ليلة كما أخبر سيد الأنبياء :

---

(٦) نص الحديث من كتاب إحياء علوم الدين (عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين من قبلكم فإن قيام الليل قربة إلى الله عز وجل وتكفير للذنوب ومطهرة للداء من الجسد ومنهاة عن الإثم) رواه الطبرانى والبيهقى

{إن الله يتجلي لعباده في الثلث الأخير من الليل في كل ليلة فيقول هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من مسترزق.... فأرزقه ؟.... هل من مبتلي.... فأعافيه ؟.. هل من كذا ؟.... هل من كذا ؟....حتى مطلع الفجر }[7]

......فهذا دأب الصالحين ، وسنَّة سيد الأولين والآخرين ﷺ ،

......فالصالحون يحرصون علي أن يطبعوا أجسادهم علي عادات سيد الأولين والآخرين :

في اليقظة ، والمنام ، والمشي ، والحديث ، والكلام ، ومجالسة الأنام ، وهذا أمر يطول شرحه .

الشمائل المحمدية

ولذلك وجدنا جلَّ إهتمام أئمة الصالحين ، بجانب عظيم من جوانب سيد الأولين والآخرينﷺ .

فلم يهتموا بغزواته ، وحروبه ، وإنما اهتموا بشمائله ، وأوصافه .

(٧) نص الحديث من كتاب إحياء علوم الدين (يتنزل الله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير ويقول عز وجل من يدعونى فأستجب له ؟ من يسألنى فأعطيه ؟ من يستغفرنى فأغفر له ؟ متفق عليه

وكان كل ما يهتمون به ، كتب تسمي : كتب الشمائل ...، وهي عن الأوصاف الذاتية المحمدية...:كتاب (الشمائل للحكيم الترمذى) رضي الله عنه ، وله شروح كثيرة ، وكتاب(المواهب اللدنية) ، وشرحه فيه استفاضة واسعة ، وكتاب (الشفا للقاضي العياض) .

......فكانوا يهتمون بهذه الشمائل المحمدية ، لينطبعوا علي هذه الأوصاف الكمالية ، لأنها هي مجاهدات العارفين....

فقد قيل لسيدي أبي يزيد البسطامى رضي الله عنه...:

....إن فلاناً يطير في الهواء .فقال ...:

....ما زاد عن طائر. وقيل له...:

....إن فلاناً يمشي علي الماء .. فقال .....:

....الأسماك تفعل أكثر من ذلك . وقيل له...:

....إن فلاناً يقطع ما بين المشرق والمغرب في لحظة . فقال...:

....إبليس يفعل ذلك . فقيل له...: وما الكرامة إذن ؟

فقال :.... ليست الكرامة أن تطير في الهواء ، ولا أن تمشي علي الماء ، ولا أن تقطع ما بين المشرق والمغرب في لحظة ، ولكن الكرامة أن تغير خُلقا سيئا فيك بخُلق حسن .

....وهذا حقيقة جهاد النفس عند الصالحين .

لأن الإنسان لو جاهد نفسه فيما ذكرناه في قيام الليل ، وقام الليل كله من أوله إلي آخره ــ لمدة أربعين عاما ــ ولكنه لم يغير خلق البخل الذي يتصف به !! إلي كرم سيد الأنام.....،

فهل هذا جاهد نفسه ؟!!!

لا.....

....بل إن جهاد النفس.... في التخلي عـن الأوصـاف المذمومـة ، والتحلي بالأخلاق المحمودة .

فإنه يتخلي عن عاداته ، ليتجمل بعادات سيد الأولين والآخـرين ﷺ.

.....عاداته في : الطعام ، والشراب ، والأكل ، وما شابه ذلك.

وهذه العادات ...جمعتها كتب : اليوم والليلة مثل: كتاب (عمل اليوم والليلة لإبن ماجه) ، وكتاب(عمل اليوم والليلة للترمذي) ، وكتاب (عمل اليوم والليلة لأبي داود) ، وأجمع هذه الكتب ..كتاب (الأذكار المنتخب من كلام سيد الأبرار) للإمام النووي رضي الله عنه ، لأن فيه العادات التي وصلت إلينا من السلف الصالح عن النبي المختار في كل الأطوار .

......فإذا تخلي عن عاداته .....، وتجمـل بعـادات سـيد الأولـين والآخرين ﷺ ، تخلي عن أوصافه الذميمة ، وأولها ، وأعظمها :

......الجهل ، والبخل ، والأثرة ، والأنانية ، والـشح ، والغـضب ، والعجلة ، والشره ، وغيرها من الأوصاف التي نعى كتـاب الله علـي المتصفين بها ، ونبه المؤمنين إلي أخطارها ، وطلب منـهم أن يتـصفوا بأضدادها......، بأن يتصف المرء :

......بالعلم ، وبالحلم ، وبالحكمة ، وبالتواضع ، وباللين .

......وهذه يا إخواني تحتاج إلي جهاد شديد .

......لأن تغيير الخُلق أمرٌ يحتاج إلي عزيمة لا تلين ، وإلي همة لا تستكين ، وإلي أمل غالٍ ، وعالٍ ، لا تغفل عنه النفس طرفة عين ، لأنه يريد تحقيق هذا الأملَ .

مراتب القرب

وأمل الإنسان الصالح أن يكون ...:

﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ [الآية (٦٩) سورة النساء].

وإذا كان أمله أعظم فإنه يطمع أن يكون مع :

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [الآية(٢٩) سورة الفتح]

....وهذه معية خاصة .

....أما الأخرى فمعية عامة لكل النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . لكن هذه معية خاصة... "والذين معه" .

....أما إذا كان يريد أن يكون في معية الذات الإلهية :﴿

إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [سورة النحل]،

أو في مقام أعظم ، وهو مقام العندية :

﴿ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر]

وهذه مقامات سامية ، ومنازل راقية .
وشرح هذه المقامات لا ينبغي أن يكون بالعبارات ، أو بالكلمات ....، وإنما بالمشاهدات ، والتجليات لأهل القلوب النيرات .
وأعظم هذه المقامات الإلهية :

﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦ ﴾
[سورة النمل].

وهذا مقام خاص برسول الله ﷺ.
ويعطيه الله أيضا بالفضل لعباد الله :

﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾
[آية (٦٥) سورة الكهف]،.

وهو مقام اللدنية ...، فمقام المعية ....، ومقام العندية ....، ومقام اللدنية .....،مقامات إلهية رضوانية.... تحتاج إلي همة عظيمة في النفس الإنسانية ، تجعل الإنسان ينشغل بالكلية بهذه الكمالات ، وهذه الجمالات ، ويود أن يتصف بها ليكون من أهلها....ويرث المقام المذكور بشأنها في كتاب الله.... فيتجمل بأنوارها ، ويتحلي بجمالها ، ويشهد مشاهداتها....

....فإن التخلّي ، بعده التحلّي ، وبعده التجلّي ، وبعده التملّي .

....وهذه مراتب القرب :

يتخلّي ....ثم يتحلّي.... فإذا تحلي بأوصاف الحبيب ﷺ ، تجلي الله له ...بكمالاته ، وعظمة ذاته .

ثم يتملي ...فيشاهد ما غاب عن العيون ، مما لا يراه إلا خاصة المقربون
﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ ﴾ [سورة التكاثر].

......إذن ميدان جهاد النفس يا إخواني ..، هو كما قلت لطالب الوصول ، ولطالب القرب ، وللراغب في المقامات العلية :
جهاد في التخلي عن عاداته النفسية .
والتجمل بعادات سيد البرية المذكورة في سيرته في الأحاديث المروية.
ثم يتخلي عن أخلاقه البشرية التي يتحكم فيها الطبع ،والجسم .وقد أوجد الله الإنسان عليها. إنه كان قبل البيان.... وقبل الجنان .....ظلوما جهولا.
وعندما يجاهد نفسه يبدل الظلم بالعدل والجهل بالعلم والنور :
﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ - ثم يقول - سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ۝٣٧ ﴾ [سورة الأنبياء].
يُغيِّر خُلق العجلة... بالأناة ، ويغير الغضب.... بالحلم.

وهذه المجاهدات : كيفيتها ، وطريقتها ، مذكورة في كتاب الله ، ومبينة في الكيفيات التي عالج بها سيدنا رسول الله أصحابه الكرام ، وعليها العارفون قائمون...بالنسبة لكمل المريدين ، وحكماء الطالبين ، ....الذين يجاهدون في هذا الميدان .

....فلابد في هذا الطور.... من العارف الذي يعطيني الكيفية التي بها أُخَلِّص نفسي من هذه الأخلاق....: إن كانت حيوانية ، أو إبليسية ، أو جمادية ، أو نباتية ، لأتجمل بالأخلاق النبوية ....، والأوصاف والكمالات الإلهية.

والبيان في هذا المقام يحتاج إلي مجال آخر...، ولكننا نضع رؤوس هذه الموضوعات لمن يريد القرب من الله عَزَّ وَجَلَّ ومعية سيد السادات ﷺ ، ....وهذا هو طور الجهاد للعارفين في النفس.

التخلق بأخلاق الله

وهناك جهاد للقلب .

وذكرنا أنه بعد الانتهاء من النفس ...نتحدث عن أحوال القلب وجهاده ...،كيف يدخل الإنسان علي مولاه ، وهو لم يتجمَّل بالجمال الذي يحبه الله ويرضاه ؟!!

.... والله لا يحب إلا الجمال الذي ذكره ، وأثني عليه لأهل الكمال ، وقال في شأنه لأهل الوصال :

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾
[آية (١٩٩) سورة الأعراف]

فثمرة الجهاد..... هو التخلق بأخلاق كتاب الله .

....وكان ﷺ خلقه القرآن .
....الجهاد للتخلق ....
....لذلك بعض سلفنا الصالح — رضي الله عنهم — كانوا يعطون مريديهم بعض الأسماء الحسني الإلهية ، ليذكروا بها الله ، مثل اسم القهار ، أو القيوم ، أو الحي ، أو غيرها...
فالإمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه ، بيَّن لنا البيان الشافي ، واختصر لنا الطريق في هذا الأمر ، فبيَّن رضي الله عنه :
....أن الأسماء الحسنى الإلهية للتخلق ، واسم الله عز وجل للتعلق .
أي لابد أن أتخلق أولاً بأسماء الله الحسني....، ثم بعد ذلك : اذكر اسم الله المنفرد بالجمال والكمال ، تعلقاً بحضرته .
لكن اذكر اسم الله ....وأنا لم أتخلق بأخلاق الله !!!...
كيف يكون ذلك...؟
لا يجوز ذلك ،....... فلابد أن أتخلق أولا بأخلاق الله :

تخلق بأخلاق الإله وحافظن ... علي منهج المختار في العقد تنسق

ومثال ذلك :
.....إذا ذكر إنسانٌ اسم الله العفو ، وقال :يا عفو – مائة ألف مرة – وهو بطبيعته ، ليس عنده عفْو لمن ظلمه..... فما الذي عاد عليه من ذكر الله باسم العفو !!! ؟
لاشيء....... لأن ذكر الله باسمه العفو : ...هو أن أعفو عمن ظلمني.

....وكذلك حقيقة ذكر الله عزّ وجلّ باسمه الحي : ثمرته ، أن يحي القلوب التي تجالسني ، وأجالسها ، وتؤنسني ، وأؤنسها .....فكل من يجالسني يحدث له حياة،....وقلبه يحي بالله وبذكر الله....، لكن عندما أذكر الله باسمه الحي ، وأنا جالس مع أموات.... ليس لهم ذكر بالله..، وذكرهم في الشهوات ، والحظـوظ ، والأهـواء ، والملـذات ، والريـالات ، والدولارات ، والعقارات ، وغيرها ،.... فأين ذكر الله هنا !! ؟

....وهكذا .....فذكر الله في هذا المقام :

التخلق بأخلاق الله مع عباد الله.... حتي يذكرني الله بالكيفية التي بهـا أتخلق بهذا الإسم مع حضرة الله جلَ في علاه .

....وهذا هو طور الجهاد المقرب لمنازل القرب والوداد ...

......وهذا يستطيع الإنسان أن يقطعه في نفَـس ....، وقـد يمكـث الإنسان سنين عدة .....، ولا يستطيع أن يُغيِّر خُلقـا مـن أخلاقـه .....لأن هذا يحتاج إلي همة وعزيمة.....

......والباعث الذي يبعث الإنسان علي هذه الأحوال ، هو التعلق بهذه الكمالات ، والرغبة في هذه المواجهات .

فإن الله عزّ وجلّ كما قال صلى الله عليه وسلم:

{إن الله يحب مِن خَلقه مَن كان علي خُلقه}[8]

ولم يقل من يطيل القيام ، أو يطيل الصيام ، أو يطيل الذكر ، أو غـيره من العبادات ، فكل هذه الوسائل معينةُ علي بلوغ هذا المراد ..

---

(٨) روى الطبراني في الكبير والأوسط عن عمار بن ياسر : حسن الخلق خلق الله الأعظم

....لكن الذي يريد أن يصل إلي المراد ....فباب الجهاد هو الذي بَيَّناه .
ولذلك فإن سيدنا رسول الله ﷺ ، عندما كان يذهب إليه فردٌ يطلب هذه المقامات العالية..... كان ينظر إليه ببصيرته و نورانيته العليــة...

....فيقول له :... أوصني....

....فيقول له : ...لا تكذب .

....والآخر يقول له: ... لا تغضب .

....والآخر يقول له: ... لا تعجل .

وهذا مثالٌ طيب لما وضحناه....: هذا الرجل الذي ذهب إليه هو وقومه ليعلنوا إسلامهم ، وكان اسمه الأشج بن عبد القيس – وكـان زعـيم قومه– وعندما وصلوا إلي مشارف المدينة ، أسرعوا إلي حضرة الـنبي من شدة سرورهم .

ولما طلبوا منه أن يصحبهم ، قال لهم :

....إنني قد جهزت ثوبا جديدا ، فلابد أن أغتسل أولا ، ثم أتوضـأ ، وأتعطَّر ، وألبس هذا الثوب ، ثم أذهب إلي حضرة النبي .

فلما وصلوا إلي حضرة النبي ، سأل عنه وقال لهم :

.....أين الأشج ؟

....فقالو : ا إنه سيأتي بعد .

....فلما حضر.... قال له :

....**إن فيك خصلتان يحبهما الله ورسوله .**

....فقال: ما هما يا رسول الله ؟

....قال: **الحلم والأناة .**

....فقال يا رسول الله : هذا من عندك ، أم نزل به الوحي .
....فقال ﷺ : **بل نزل به الوحي من الله عَزَّ وَجَلَّ** .
فلم يتميز هذا الرجل بالعبادة ..كالصلاة ، والصيام ، ولذلك قال ﷺ :
{إن العبد ليبلغ بحسن خلقه ، عظيم درجات الآخرة ، وشرف المنازل ، وإنه لضعيف في العبادة .} [٩] .

وهذه العبادات قال فيها حضرة النبي :
{ لجاهل سخي ، أحب عند الله من عابد بخيل، وأدوأ الداء البخل} [١٠].

وعندما مدح الله الأنصار ماذا قال ..؟
﴿ يُحِبُّون مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ - حبهم لرسول الله - وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الآية (٩) سورة الحشر]

وهذه هي ميادين الجهاد يا إخواني ....
،فلا يأتني أحدكم ويقول: لي عشرون سنة ولم يفتح علي بشيء...
ولكن انظر إلي لوحة المفاتيح التي عندك ...، هل غيرت فيها...
في أخلاقك لتحظي بوفاقك ...،
ليتجلي عليك هذا الإسم ...،

---

(٩) أخرجه الطبراني والخرايطي من حديث أنس
(١٠) رواه ابن حبان عن أبى هريرة

وتنال نصيبك من ميراث هذا الخلق....
......وجميع المقامات في هذه المجاهدات...

والذي جعل معظم الناس قديما وحديثا ...يقعون في اللبس ....:
هو اهتمامهم : بالوسائل المعينة ...، وجعلوها غاية المراد ،
....فالعبادات ، والأذكار : وسائلٌ تعين علي هذا الجهاد .
فلما اشتغلوا بهذه الوسائل ، وتركوا أساس ميادين الجهاد — التي ذكرناها — ....لم ينالوا الفتح ...
وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم.

(*) الحمد لله علي ما تفضل وتكرم .....

والشكر لله علي ما أعطي وأنعم ....

والصلاة والسلام علي النبي المكرم ، صاحب السر الأعظم ، والنور الأفخم ، والمظهر الأكرم ، سيدنا محمد ، واسطة عقد النبيين ﷺ وعلي آله الطيبين ، وصحابته المباركين ، وكل من اهتدي بهديه إلي يوم الدين .

آمين آمين .....يا رب العالمين .

مازلنا عند البيت الأول.......،

لمولانا الإمام أبي العزائم رضي الله عنه وأرضاه ....

في قصيدته التي نسأل الله عز وجل أن يفقهنا في فحواها ، وأن يعيننا علي العمل بعلومها ومعناها ، وأن يرزقنا أسرارها وفتحها وهداها .

والبيت الأول هو:

جاهد نفوسا فيك بالشرع الأمين.....واحذر قوي الشيطان في القلب كمين

(*) كانت هذه المحاضرة استكمالاً لسابقتها بمقر الجمعية العامة للدعوة إلى الله بحدائق المعادى يوم الخميس ٢٣ من شعبان ١٤٢٥ هـ الموافق ٧ من أكتوبر ٢٠٠٤ م.

النفسُ الأمَّـــارة

وقد بينا في اللقاء السابق : النفوس ، من حيث ما هيَّتها ، وموجزاً عن مجاهدة هذه النفوس ...، ولا يزال الإنسان يجاهد نفـــسه ......حـــتى ينطوي فيه أحوال المقربين، وأوصاف الصالحين ، فيكون علي النـــهج الصافي الصادق الذي يحبه ربُّ العالمين عَزَّوَجَلَّ لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

{ المؤمن بين خمس شدائد: مؤمنٍ يحسده ، ومنافقٍ يبغضه ، وكافرٍ يقاتله ، وشيطانٍ يضله ، ونفسٍ تنازعه }[11].

......ولأن النفس لها دسائس ، ولها وساوس ، ولها أحـــوال ، تجعـــل الإنسان إذا إتبعها يقع في الوحل ، وفي الخبال .

.....وإليها الإشارة بقول الواحد المتعال :

﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [الآية(٥٣) سورة يوسف]

ولم يقل "وإن النفس لآمرة "...لأنه لو قال :"لآمرة"... يكون الأمر مرة واحدة ، لكنه وصفها بأنها "أمَّارة " ـــ بصيغة المبالغة ـــــ أي كـــثيرة الأمر......، فلا تمل من تكرار أمر الإنسان بالسوء ....،والسوء : قل فيه ما شئت:......

ما يفسد الجسد ، وما يفسد القلب ، وما يفسد ما بين الإنسان وأخيه الإنسان ، .....وما يقطع الأرحام ، وما يجعل الإنسان في غفلة تامة عن الملك العلاَّم .

.....كل هذه المعاصي ، والمحن ، والفتن ، تُسمَي : السوء .

---

(١١) أخرجه أبو بكر بن لال من حديث أنس .

......فذكر الله لنا في قرآنه ، وبيَّن النبي ﷺ لنا في سـنته ، ووضَّـح الصالحون في جهادهم ، الوسائل التي تعين الإنسان علي هذا الجهـاد : وهو جهاد النفس ....حتى ينتهي من هذا الجهاد في سـرعة سـريعة ، .....لأن العمر قصير ....، والمطلوب عظيم ....، والـنفس تـراوغ الإنسان ....، فإذا أمسكها في وادٍ...، ذهبت إلي وادٍ آخر...، ولهـا دسائس تخفي حتى علي كبار العارفين...

ولذلك قال مولانا الإمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه :

"لا ينتهي جهاد النفس حتى مع كمل العارفين إلا مع خروج النَفَس الأخير".........

......فإياك أن تظن أن جهاد النفس انتهى معك ، لأن نفس هذا الظن ، خدعةٌ من خدع النفس تخدعك بها..... وتجعلك تُقطع بالكلية ، عن حضرة الله عز وجل،

.....لكن جهادها دائم ....، ودائب ....، ومستمر....

ما الذي يعينك علي هذا الجهاد ؟

.....وضّح الصالحون : أن الذي يجعل النفس تسيطر علي الإنـسان ، وتحركه ، وتسيره ، هو :

كثرة اختلاطها بالخَلق ، واهتمام الإنسان بمطالبها ، وشهواتها : كشهوة الطعام ، وشهوة الشراب ، وشهوة النكاح ، وشهوة الملبس ، وشـهوة الرياش ، والأثاث ، وكثرة الكلام ، ـــ لأن الكلام في ذاته شـهوة ـــ وربما يقصد الإنسان أن يتباهي بعلمه....

أو يفتخر بمعارفه ....أو ينمِّقُ ألفاظه وعباراته.....،
والكلام نفسه شهوة....... تحتاج من المرء أن يجاهدهـــــــــا.

النفسُ الجمـــادية

والجمود يساعد النفس ، لأنه يؤدي إلي الخمود .
ومعني الجمود : كثرة النوم وكثرة الجلوس مع أهل الغفلـــة ....تجعـــل الإنسان يخمد وينام .
فجعل العارفون للنفس أمرا عاما ، يستطيع الإنسان أن يرتكز عليـــه في الجهاد ، وهو أن :

جهـــــــادها في مخالفتهـــــــــا .

أي كلما تأمر الإنسان بأمر ، يخالف هذا الأمر .

وجاهد النفس والشيطان واعصهما ... وإن هما محَضَّاك النصح فاتهما

....أي وإن أعطتك أيضا النصح ....فإتهمها فيه...، لماذا..؟
لأنها تميل للراحة والكسل ، ولذلك كان مولانا الإمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه ، دائما يوقظ أرباب النفوس... ويقول لهم :

فهيا يا مريد الوصل وانهض.....ودع عنك التقاعد والتواني

.....أي كفاية كسل....،
.....لأنه سيجيء علينا يوم ...، ننام فيه نومة طويلة ..لا تنتهي......،
....والتقاعد .....يكون بالوقوف مع الشهوات وغيرها....،
وهي كلها لذائذ مؤقتة......
....لكنا نريد اللذة الدائمة...،
....ولا تكون إلا في :... الوصال والمشاهدات .....في معية من يقـــول للشيء كن فيكون.

الوسائل والغايات

وهكذا ....
......فإن معظم اللَبس حدث من اختلاط الوسائل..... بالجهاد.....
ظناً من النفس : أن الوسائل هي الغايات..... فوقفت عندها...
لكن هذه كلها ...: وسائل .
......مثال ذلك أن ٩٩% من البشر ، وقفوا عند المال ، وما هـــو إلا وسيلة لمآرب الإنسان في هذه الحياة ، ونيل سعادته يوم لقاء الله .
لكن المال ليس غاية....

فالذين جعلوا كل همهم ....في السعي للحصول علي المال..... علي أنه هو الغاية.........،

.....ثم.... يجمعون و يجمعون......،

وفجأة !!

....يناديهم من يقول للشيء كن فيكون... فيقول :

﴿ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ﴾ [الآيتان(٩٩، ١٠٠) سورة المؤمنون].

.... يا رب اتركني اتصدق ، فيقول له :

....هلا تصدقت به وأنت صحيح شحيح...؟

فجعلوا المال غاية...، وهذه مصيبة المصائب لأي إنسان في هذه الأكوان لأن المال ما هو إلا وسيلة ......، والغايات موجودة في القلوب.....، والوسائل موجودة في الأيدي......

.....فالذي يجعل الوسائل غايات....، أي في القلوب ،....فورا يحجب عن علام الغيوب ﷻ

....ولذلك كان أصحاب سيدنا رسول الله ﷺ ، عندما يتحدثون عن المال يقولون :

"اللهم اجعله في أيدينا ولا تجعله في قلوبنا ".

ولذلك كانوا يجمعونه ، وإذا طلب منهم في الجهاد ، يلقون بـــه ، ولا تخرج نفوسهم خلفه . لأنهم أخرجوه من قلـــوبهم ، ومـــن نفوســـهم ، وجعلوه وسيلة لنيل مآربهم عند ربهم ﷻ.

وسائل بلوغ الكمال

فالوسائل التي تعين الإنسان علي بلوغ الكمالات هي :
......الإقلال من الطعـــــام ،
......و الإقلال من المنــــــــام ،
......و الإقلال من محادثة الأنـــــــام ،
......ودوام الذكر لله عز وجل في كل مقـــام .
ثم بعد ذلك ...لابد للإنسان من :
......الإلمام بما لابد له منه ، من شرع الملك العلام ، حتى لا يخطـئ في السير والسلوك نتيجة الجهل ......
ولا بد له من :
......إمامٍ مرشد ، دالٍ على الله بالله ، يأخذ بيده ، حتى يوصله إلي ما ينبغي له من مقامٍ .،.. وينبغي له أن يكون ملازما للأدب في هذا المقام . الأدب الذي كان عليه الصحابة الكرام ، مع المصطفي عليـــه أفــضل الصلاة وأتم السلام .

جمع الإمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه بعض هذه الوسائل في قوله رضي الله عنه:

جع إضعفنها وحاذرن من غيها ... غض الجفون وحاذرن فتك الكمين

.....فالإنسان إذا ملأ المعدة بالطعام ، ، فورا تتحرك الـــنفس لـــدفع الإنسان إلي المعاصي والذنوب والآثام .

ولذلك سيدنا الإمام علي رضي الله عنه كان يقول...والسيدة عائشة رضي الله عنها كانت تقول..:

" أول بدعة حدثت بعد رسول الله ﷺ الشبع ، إن القـــوم لما شبعت بطونهم ، جمحت بهم نفوسهم إلي الدنيا...".

لكن أيام رسول الله ﷺ ...:

" لا نأكل حتى نجوع ...، وإذا أكلنا لا نشبع.. ".

.....وهذا هو طريق القوم .

.....وإذا جاع الإنســـــــان :

قلت بواعث الشهوة في نفسه ، فيقل نومه ، ويكثر صمته ، ولا يستزيد من سماع الأحاديث ، ولا يتحرك هنا أو هناك .

فوجدوا أن الجوع من أقوي الأسباب المعينة للإنسان علي بلوغه هـــذا المقام . فتنافسوا في الصيام ، ....لا عداً للأيام...، ولا تكثيراً للحسنات العظام....ـــ من وراء أيام الصيام ـــ ، وإنما هَـــدَّاً لقـــوي الـــنفس الشهوانية...، حتى تقوي النفس الملكوتية..... فتسيِّرُ الجسم علي شرع الله عز وجل ، وعلي نهج المصطفي ﷺ .

.....فالنية هنا اختلفت بالكلية...:

فالعابد يصوم لأخذ ثواب الصيام ، لكن العارف يصوم ليعين نفسه علي كسر الشهوة ، وعلي حَدِّ الرغبات الجامحة في النفس ، لتعلو همته فيما عند الله عز وجل :

﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴾ [الآية (٦٠) سورة القصص].

.....ولذلك ركز بعضهم ، وهو يجاهد في هذا المقام ، على : "أن يقلل" ، ولم يقولوا بترك الطعام ــ بل بالتقليل ــ لأن ترك الطعام : يجعل الإنسان يحدث له هوسٌ .

.....لكن التقليل بمعني ....: كان يأكل ثلاثة أرغفة فى الوجبة ، يجعلهم اثنان ونصف ، وبعد ذلك رغيفان ، وبعد ذلك رغيف ونصف ، وبعد ذلك رغيف واحد .

......وهكذا فكان بعضهم يقول :

" لأن اترك لقمة من عشائي أحب إلي من قيام ليلة ".

.....أي إذا قدرت علي نفسي ، وخفضت وجبة العشاء لقمة ، فهو أحسن من قيام ليلة ،.... لأنه ربما يكون القيام شهوة للإنسان....، لكن عندما يقلل الطعام....، فإنه بذلك يكون صاحب عزيمة...،، وخاصة إذا قام من الطعام... وهو يشتهيه. فيقلل من الطعام ، حتى يكرمه الله عَزَّ وَجَلَّ ، فيرث مقام :

" أبيت عند ربي فيطعمني ويسقين ".

.....وهذا حدث لكثير من الصالحين .

فسيدي أحمد البدوي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأرضاه ، كان يقف أربعين يوما وليلة في غار حراء ، يتعبد لله عَزَّ وَجَلَّ ...لا يأكل ...،ولا يشرب...،، ولا ينام....، أربعين يوما .

وكان سيدنا الإمام الجنيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأرضاه : يصوم ولا يفطر ، إلا كل أربعين يوما....ويفطر علي تمرة ، ثم يواصل الصيام..

لا تقل كيف!!!! ؟.... لأن هؤلاء داخلون في قول الله :

﴿ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [سورة البقرة]
وهذا الكلام في طور الجهاد ، لكن في طور الإرشاد ...، لابد أن يأكلوا لكي يعلّموا الناس : كيفية الأكل ، بالطريقة السديدة ، الواردة عن سيد الأنام ﷺ.

.....وهل كان سيدنا رسول الله يحتاج إلي طعام ؟

.....لا،.....لكنه كان يأكل ليعلّمنا : كيف نأكل ، ويشرب ليعلّمنا....كيف نشرب ، وهو كان في مقام :

"أبيت عند ربي فيطعمني ويسقين" .

وغيرهم من الصالحين ....

وديوان الصالحين ، مليء بهؤلاء الرجال الذين ملكوا نفوسهم ، ولم تملكهم نفوسهم ، فتصرفوا فيها بأمر الواحد المتعال عَزَّ وَجَلَّ ،ولذلك قالوا:

" الرجل من ملك نفسه ، وليس من ملكته نفسه " .

وكانوا يتفنّنون في علاجها ....حتى تصل إلي الإقتداء بسيد الأنام ...فيما ورد عنه " أنه كان يأكل ما وجد ".

من الذي يأكل ؟

المعدة....، أو الفم ....، أو النفس....؟

النفس هي التي تأكل....، فعندما تنظر إلي الطعام ...، والنفس تشتهيه...: كل الأعضاء تتحرك...، وتبدأ في الأكل....

و عندما تنظر إلي الطعام ، ولا تشتهيه..!!.. هل هناك أي عضو يكون قابلاً للتحرك......؟ كلا .....

فلا اللعاب يترل...، ولا الفم يفتح....،
لأن النفس هي التي تحرك الأعضاء..
فيظل العبد يجاهد نفسه.....، حتى يصبح الطعام عنده مثـــل الـــدواء ....يداوي به داء الجوع...، فلا يأكل عن شهوة...، وإنما يأكل ليسد داء الجوع ، لأنه منشغل بالكلية بربه عَزَّ وَجَلَّ ، ولسان حاله يقول :

جعنا فأطعمنا اليقين إلــهنا ... واسقي الجميع محبة المختار

......فهو يريدك أن تأكل اليقين ، تأكل من معارف القرآن ، والعلوم الإلهية ، والأسرار الربانية .
وهذا سر الآية القرآنية :
﴿ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا ﴾ [الآية(٦٢) سورة الكهف]
فالغداء هنا : ليس فراخ ولحمة وسمك ،
بل غذاء من الحقائق الربانية ، تقوت النفس ، وتجعلها تهـــيم في هـــذه الجمالات ، ولا تمل من عشق هذه الكمالات ، ويكرمها الله عَزَّ وَجَلَّ بهذه الهبات ، وهذه العطاءات .

فلابد يا إخواني من التقليل من الطعام ، والشراب ، ولذلك فإننا جميعا نلاحظ في شهر الصيام : إذا اتبعنا فيه هدي خير الأنـــام ، تعلـــو الحياة الروحانية .
......فلابد من التقليل في الطعام ، و التقليل من الكلام ، فلا يوجـــد سالك في طريق الله عَزَّ وَجَلَّ يتحدث علي الفاضي والمليان ، طحونة شغالة

، فكيف يكون سالكٌ ....!!! واسمه سالك..!!؟

.....فالسالك : لا يخرج من فمه كلمة :

إلا إذا وزنها بنور قلبه ، وبشرع ربه ،.... فإذا أذن له القلــب ...— استفت قلبك —...ووافق عليها الشرع ، أخرجها ....وإلا كتمهـا ولم يبدها... لماذا ؟

لأنه يعلم أن الكلام عمل :

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾
[سورة ق]

......سيدنا أبو بكر يقول :

" كنا نتعلم الصمت كما تتعلمون الكلام."

وقد قال ﷺ:

(أربع لا يدركن إلا بالتعب : الصمت وهو أول العبادة ، والتواضع ، وكثرة الذكر ، وقلة الشيء).[12]

وسيدنا رسول الله ﷺ ، كان يعطيهم محاضرات في الصمت ، والإمام أبي العزائم رضي الله عنه وأرضاه ، قال:

والصمت معراج وجوعك طهرة ... والصمت رفرف حضرة التواب

......الصمت معراج لله عز وجل ..لأنه إذا صمت اللسان ، وغضَّ البصر ، وكفَّ السمع .... هام القلب ، وساحت الروح في ملكوت حــضرة السبوح عز وجل،

---

(١٢) رواه الحاكم والطبراني

وقد قال سادتنا الصالحون رضى الله عنهم وأرضاهم :

" مَن عَدَّ كلامه مِن عمله ، قلَّ كلامه".

وقد قال رسول الله ﷺ:

{الناس ثلاثة :غانم ، وسالم ، وشاحب ، أما الغانم: فهو الذي يذكر الله تعالي ، وأما السالم : فهو الساكت ، وأما الشاحب : فهو الذي يخوض في الباطل }[١٣] .

وقال بعض الحكماء:

(إن لسان المؤمن وراء قلبه ، فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه ، ثم أمضاه بلسانه . وإن لسان المنافق أمام قلبه ، فإذا أراد أن يتكلم بشيء أمضاه بلسانه ، و لم يتدبره بقلبه) .

.....ألا تدرون أن معظم الكبائر والمصائب مِن اللسان!!؟

الكذب ، وشهادة الزور ، والسبُّ ، والشتم ، واللعن ، والغيبة ، والنميمة ، كل هؤلاء.... جاء من اللسان .

.....فقد قال ﷺ:

{ إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكَّر اللسان ، أي تقول :...إتق الله فينا ، فإنك إن استقمت استقمنا...، وإن إعوججت اعوججنا}[١٤] .

فإذا قفل الإنسان باب اللسان فملَكَ عنان نفسه دخل ف قوله ﷺ:

---

(١٣) أخرجه الطبرانى عن حديث أبى سعيد الخدري

(١٤) أخرجه الترمذى عن حديث أبى سعيد الخدري

{ من وقي شر قبقبة (البطن) وذبذبة (الفرج) ولقلقة (اللسان) فقد وقي الشر كله }[١٥]

فهذا هو التدريب العملي الذي يتدرب عليه السالك في طريق الله ﷻ .....أنه لا يتكلم ، .....إلا إذا كان سيرضي من حوله ، .....ويرضي حضرة الله .

....سيدي مكين الدين الأسمر – رضي الله عنه وأرضاه– تلميذ سيدي أبي الحسن الشاذلي – رضي الله عنه و أرضاه – وكان رجلا ترزيا ، وقال فيه سيدي أبو الحسن الشاذلي : مكين الدين رجلٌ من الأبدال ،...وصل إلي مقام البدلية ...وهذا مقام عظيم .

.....والترزي – كما تعلمون – الناس يجلسون عنده ، يتحدثون .

فسأله إخوانه الذين يريدون الإقتداء به... ماذا تفعل؟

....قال: إني أجلس مع ربي قبل غروب الشمس ، فأستحضر ما تكلمت به في يومي... فأجد نفسي تحدثت بضع كلمات ...لا تزيد عن العشر كلمات طوال اليوم.... فما وجدت فيها من خير ، حمدت الله عليه ، وما وجدت فيها غير ذلك استغفرت الله علي ذلك .

....وهذا إقتداء بالصادقين عندما سمعوا حضرة النبي يقول:

{ إذا رأيت الرجل قد أوتي صمتا و زهدا فاقتربوا منه فإنه يلقن الحكمة} .

و في رواية أخري..:

(١٥) أخرجه أبو منصور الديلمى عن أنس

{ إذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا ، فادنوا منه ، فإنه يلقن الحكمة }[١٦] .

......طلاب الحكمة العلية ، الذين دخلوا مدرسة الحكمة الإلهية ، ما سماهم...؟ وما علاماهم....؟

....قلة الكلام ليأخذوا الحكمة :

﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ ﴾ [الآية(٢٦٩) سورة البقرة].

.....لكن الذي يطلق للسانه العنان ....، ولا يستطيع أن يضبط فرامل اللسان ، فهذا حتى وإن كان ليله كله قائماً ، ويومه كله عبادة ، لن يكفي له بعض فلتات اللسان....

.... وأنتم تعلمون جيدا من هم المفلسون..؟

....هم الذين تركوا اللسان علي الفاضي وعلي المليان....

....وما علامة الصالحين ؟

الصمت ، والإقلال من الكلام .

وهذا يحتاج إلي جهاد...، ولا بد أن يعود الإنسان نفسه ..ألا يتحدث ، إلا بعد وزن الكلام بنور قلبه ، وموافقته لشرع ربه ، وهذا هو الذي قال فيه النبي ﷺ : :

{ رحم الله عبدا تكلم فغنم ، أو سكت فسلم }[١٧] .

وقال ﷺ في حديث آخر :

---

(١٦) أخرجه ابن ماجه

(١٧) أخرجه ابن أبى الدنيا والبيهقى

{ طـــوبي لمن أمسك الفضـــل من لسانه ، وأنفق الفضـــل من ماله .}[١٨] .

والصمت معراج وجوعك طهرة ... والصمت رفرف حضرة التواب

فالإقلال من الكلام ، و الإقلال من المنام ، بمعني أنه لا ينام إلا إذا غلبه النوم ، وهذا حال الصالحين .....لإستثمار وقتهم ...:

فابذل الوقت في نوال نفيس ... بجهاد تحت فيـــه رضاه

.....يحرصون علي الوقت حتي لا يضيع منهم هبـــاءا ، والإمـــام أبـــو العزائم رضي الله عنه وأرضاه – من ضِمْن تأويله– لقول الله :

﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾
[آية (٢٦_٢٧) الإسراء].

.....قال : إن من أعظم التبذير ، أن يبذر الإنسان أنفاسه ، ووقتـــه في غير طاعة الله عز وجل.....

.....وأنتم تعلمون : أن تبذير المال ...سهل ، لأن المال يذهب ، ويجيء ، ويمكن تعويضه ...... لكن الأنفاس التي خرجت من الإنسان كيـــف يعوضها مرة أخري....!!؟

والأيام التي مضت كيف يرجعها....!!؟

، فأعظم التبذير ...وأخطر التبذير.... أن يبعثر الإنـــسان الأيـــام ، و الأنفاس في غير طاعة الله عز وجل...لأنه لا يستطيع أن يعوضها أبـــــدا .

---

(١٨) رواه البراز عن حديث أنس

،...وإذا أكرم الله عز وجل عبداً... وقام لدعوة الخلق....
فإن الله عز وجل يؤيده ، ويسدده ،.... وهذا ليس لنا شأن به....،
بل نجاهد أنفسنا فقط....، والإمام أبو العزائم – رضي الله عنه وأرضاه – قال لنا في هذا الكلام ..:

وليس الكل مطلـــوب لهــذا .... ولكن خص لبعض أفراد قليله
فداري أهل عصرك واجتنبهم .... وواصلهم علي قدر الضـــرورة
فمنكرهم يسيء ومـــن يسلم ....فقربـــه ولا تأمـــن شـــروره

.....فلابد أن يقلل السالك من مخالطة النـــاس ، وعليـــه أن يخـــالط الصالحين المتقين ، والمشتغلين بطاعة رب العالمين عز وجل .
ولذلك قيل في الحكمة :

" الوحدة خير من الجليس السوء" .

وقد أكملها سيدي أبي العزائم وقال:

" والجليس الصالح خير من الوحدة".

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [سورة التوبة].

....لكن الأنام الذين شغلهم كله في الغيبة ، والنميمة ، وقيل ، وقال ، ....نتركهم بالكلية....، لأن الله عز وجل قال فيهم:

﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [سورة الأنعام].

.....لأنهم ظلموا أنفسهم ....فعدم مجالستهم أفضل ...،

.....بل نجالس الصادقين ، كما قال رب العالمين ، وهم عباد الله المتقين ، الذين وقتهم ثمين في طاعة الله في كل وقت وحين .

ولابد أن يلازم الإنسان ذكر الله عز وجل علي الدوام ،
......و هذه الوسيلةُ الخامسة :
فلابد أن يكون لسانك رطبا بذكر الله عز وجل ...
و كان صلى الله عليه وسلم يذكر الله علي كل أحواله....

و لابد أن يديم الإنسان : التفكير ، والتفكر ، و التدبر في آيـــات الله ، و في خلق الله ، .....حتى يهتدي بقدرة الله إلي نور الله المنبث في كون الله ، و يدخل في قول الله :

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [الآية(٥٣) سورة فصلت].

و لكي يستعين الإنسان ياإخواني علي جهاد نفسه ،....
فأول أساس بعد الإخلاص...:
......المطعم الحلال.....،
......فإذا أهمل جانب المطعم ..، فكل أعماله : حابطة ، و هابطة ، و باطلة....، قال صلى الله عليه وسلم :

{ لكل شيء أساس ، و أساس هذا الدين المطعم الحلال ، وإن المرء ليقذف باللقمة الحرام في جوفه، لا يقبل منه عبـــادة

أربعين يوما }[١٩]
......فلابد من المطعم الحلال ، و هذا هو الأساس .

وأيضا لكي يستعين علي جهاد النفس ...لابد أن يعرف ما لابد له منه من الأحكام الشرعية : سواء في العبادات ، أو في المعاملات ، أو في العقيدة ، أو في الأخلاق .

.....لأن النفس و الشيطان ، يدخلان للإنسان من الجهة التي يجهل فيها حكم شرع الرحمن عز وجل ، فلابد أن يعرف حكم الشرع في أي أمر ، و يقوم فيه بالعمل لله عز وجل .

.....ولابد من المرشد ، الذي يأخذ بيديه علي الطريق القويم ، و علي الصراط المستقيم : و سيدنا موسي ـــ مع أن الله اختـــاره لنبوتـــه ، و أنزل عليه رسالته ـــ إلا أن الله عز وجل لما أراد له الكمـــال ، و بلـــوغ مقامات كمل الرجال ، ووجد أن النفس مازالت منه علي بال ، أمـــره أن يذهب إلي رجل من الصالحين ليتكمل علي يديه .

نسأل الله عزَّ و جلَّ ....
أن يجملنا بجماله ، و أن يكملنا بكماله ، و أن يعيننا به علي بلوغ فضله و نواله . وأن يوفقنا في كل أنفاسنا و حركاتنا و سكناتنا، للعمل الذي ينال قبوله و إقباله ، و صلي الله علي سيدنا محمد ، و علـــي آلـــه ، و صحبه و سلم.

---

(١٩) أخرجه الطبراني عن ابن عباس

الباب الثالث

ترويح النفوس بشيء من أحوال العارفين في ترويض النفوس

- جهاد سيدي أحمد البدوي لنفسه
- مطلب الصادقين
- تربية المريدين
- تجريد التوحيد

ترويح النفوس بشيء من أحوال العارفين في ترويض النفوس (*)

نحمد الله عَزَّ وَجَلَّ علي عميم عطاياه ، و علي كثير فضله ، و خاصة جدواه ، و الصلاة و السلام علي معدن الإصطفا ، و سُلم أهل الصفا و الوفا... سيدنا محمد النبي المصطفي ، و آله و صحبه ، و من لهديه أقتفي ، و علينا معهم أجمعين ...
آمين آمين ....يا رب العالمين.

نروح النفوس بشيء من أحوال العارفين في جهاد النفوس و ترويض النفوس ...
.....لأن العارفين يجاهدون نفوسهم ، لكنهم يروضون نفوس غيرهم . و النفوس تحتاج إلي ترويض شديد ....، فلا يوجد مدرب سيرك في الوجود كله..، يستطيع أن يتحمل ما يتحمله أصغر عارف ، في ترويض نفوس من حوله من النفوس .
.....فالنفوس كما وصفها سيدنا رسول الله في حديث ما معناه :(**هي كالأوابد المتوحشة**) أي المعقولة... و التي تريد فك عقالها....!!
.....فمثلا ما النفس السبعية..؟

(*) كان هذا الدرس بمقر الجمعية العامة للدعوة إلى الله بحدائق المعادى بالقاهرة يوم الجمعة ٢٣ من شعبان ١٤٢٥هـ الموافق ٧ من أكتوبر ٢٠٠٤م بعد صلاة الجمعة .

.....هي في الحقيقة سبع بداخلك ...!!.و أنت حبستَه..في هذا القفص (الجسد) ....!!،.و يحاول أن يخرج ...!!

.....و كذلك النفس الإبليسية .....؟

هي في الحقيقة إبليس ...!!.و قد سجنتَه.....!!.و يريد أن يخرج من السجن...!!، و السجن هنا سجن الشريعة ـــ أي أحكام الشريعة ـــ التي تطالبه بالعمل بها ، و هو يريد أن يتحلل من أحكام الشريعة ، ليمشي علي حسب هواه ..

..... وهذه هي طبيعة النفس البشرية....،

..... و هكذا الإنسان في أي زمان و مكان...،

..... كل ما فيه من نفوس ، يدعوه للتحلل من شرع الرحمن.....، و إلي أن يسير علي هواه في كل زمان و مكان.......!!!!!!

.....و لذلك فالذي يخضع لأولي العرفان ، نفر قليل في كل زمان و مكان ..... و يمكن بعض الناس يقولون : نستمع إلي علوم و أسرار ، لم لا يسمعها الناس ..؟

فنقول له : الناس تريد أن تسمع أو تري ....و قَلّ منهم من يريد أن يلتزم ...، و يعمل بما سمع و رأى .

فإذا وجد من يقول له :... التزم ....، و هذا ممنوع....، و هذا مرغوب...، و هذا مكروه ....، و هذا محبوب....،

فمن الذي يتحمل هذا ...؟

.....لا يتحمل ذلك إلا النفوس المنتقاة : التي اختارهـــا الله ﷻ أن تكون في معية حبيبه و مصطفاه ، و هم الذين يقيدون نفوســـهم ...ولا أحد يقيدهم ....وكذلك هم الذين يُكتِّفون جوارحهم وأعضائهم..
لماذا....!!!!؟
.....للأمنية ....و الرغبة العلية ....
.....فهي التي تدعوه إلي هذه المجاهدات الفادحة ......،
أملا في الوصول إلي ما ينول .

ولذلك فلابد أن يكون هناك رجل من العارفين.....يشرف علـــي الترويض ....لماذا..؟
.....لأن النفس ، إذا أراد الإنسان أن يروضها بنفسه ، ربما أخرجتـــه من دوائر الاستقامة ،.... ، و هو علي وشك أن ينال خُلعَ الكرامة ... ، إلي أودية الندامة ....!!!!.
.....لأنه أطاع نفسه ، طرفة عين ، فتخلّـــى عـــن طاعـــة الله ﷻ، ، فساقته نفسه إلي حتفه ... ، و هو لا يشعر....!!!!
.....فبدواتُ النفس ، ووساوس النفس ، وهواجس النفس ، ودسائس النفس ، تخِيل علي كُمَّل العارفين .... ، إلا إذا تفضَّل علـــيهم الله بنظرة من حَبيب الله و مصطفاه.

جهاد سيدي أحمد البدوي لنفسه

و سنأخذ مثالاً واحداً لذلك ، سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه وأرضاه ، فنعرُج علي سيرته ، لنأخذ نموذجاً أو نموذجين في ترويضه للنفوس .

......أما جهاده هو :.....

.....فقد جاهد نفسه في ذات الله ، سبع سنين في غار حراء ....:

حيث انفرد فيه يعبد مولاه عز وجل .... ، يتخلّي.... ليتحلّى.....

وعندما كان له ربه يتجلّى.... :

كان يغيب عن نفسه ، وعمن حوله ، ويظل واقفاً....: لا يأكل ....، ولا يشرب.... ، ولا ينام.... ، أربعين يوماً علي التمام....!! .

وهذا من باب :

﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ [الآية(١٤٣)سورة الأعراف]

فإذا تجلّى الله عز وجل ....

من حضرة الربوبية علي الإنسان الذي يجاهد علي خُطي سـيد البريـة :.... دك أرض نفسه.... ، وزلزل أرض قلبه.... ،

وجعله كله في حالة فناء.....، لا يري بعين قلبـه إلا عـالم الطهـر والبقاء.... !!.

وإذا تجلّى الفتاح بلمحة من جماله ، أو كماله ...لـلأرواح ....، صعقت....: إذا لم تتداركها عناية الكريم الفتاح عز وجل .

وهذا الصعق يحدث لأهل الفناء ....، ويقول فيه الإمام أبو العـــزائم رضي الله عنه وأرضاه :

صعقت وقد دك تحتي الجبل ... أفقت فكنت لأصلي المثـــل
تمنيت رؤية غيب مصـــون ... وقدري تـــرب فعزَّ الأمـــل
ولا حول لى بل ولا قـــوة ... على ذا الجهاد وعقلى سأل
طبائع نفسي عناديـــــة ... جهادي لها فوق قدر البطل
وأمارتي سارعت للجفـــا ... أغثني وأشف جميع العـــلل
تجلَّ بشافٍ تنزل غفـــور ... وهب لي العطايا أقمنى بـــدل

.....فأنا أتمني أن أري الغيب المصون ، وأنا تراب ...،
والرغبة في تحقيق هذا الأمل تهون الجهاد..... ،
فالأمل هو الذي يدفع للعمل ،
والذي ليس عنده أمل ، لا ينتظر منه عمل.....!

طبائع نفسي عناديـــــة ... جهادي لها فوق قدر البطل

مطلب الصادقين

هذه هي المعادلة الصعبة ، التي يسعي لتحقيقها الصالحون والسالكون،..... وهي : " تمنيت رؤية غيب مصون"....!! ،
.....ويتمني أن يري الغيب المصون ...!!...الذي هو غيب ذات الله...
، وغيب الأسماء الحسني ....، وغيب الصفات العليا .... ، وغيب الملكوت الأقدس.... .
.....وليس غيب الأكوان ....الذي قد يصل إلي الإطلاع علي بعض أنواعه السحرة ، والذين يشتغلون مع الجان.
و غيب الأكوان يقصد به :....أن يكشف لك خبيئتك ، كأن يقول لك أنت خبأت في المكان الفلاني كذا ، وأنت أمس عملت كذا ، ....غيب الأكوان للجن من باب ....:

﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾
[الآية(٢٧)سورة الأعراف].

.....وهذا أمر سهل ، فالبوذيون في الهند ، بتمارين اليوجا المنتشرة في العالم كله ، يصلون إلي هذا النوع من الكشف.....: فيقول لك...: الدولاب الخاص بك به بدلة كحلي..، ويعُد لك البدل والكرافتات الموجودة في الدولاب ، كيف عرف ذلك..؟
رآهم بالجلاء البصري ...، وهذه عملية سهلة جدا .

لكن أيستطيع أن يري الغيب المصون ، أو النور المكنون ، أو العلم المخزون ..؟

......كلا .....

......لأن هذا لا يراه إلا ....:

......عبد مأمون ، أطلعه الله ﷻ علي هذه الحقائق ، بعد أن محا من دائرة نفسه كل الأهواء ، والظنون ، وأصبح قلبه بربه بصيرا...:

﴿ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ﴾ [الآية(٢٦)سورة الكهف].

......المعادلة الصعبة للسالكين والواصلين هنا......:

أن النفس لها مطالب يصعب التوفيق بينها جميعا :

.....فالنفس الشهوانية تطلب أكل أو شرب أو نكاح ،

....النفس الإبليسية تطلب السلطة والكبرياء وحب الرياسة ،

....لكن النفس الملكوتية تطلب الغيب ، أي تريد أن تكاشف به ، وتطلع عليه ...،

.....النفس القدسية تطلب القدس الأعلى .... ، وتشتاق للجمالات الإلهية ... ، والكمالات الربانية....:

أبدا إلي هذا الجناب حنيني ... لا صبر لي حتى تراه عيوني

فالمعادلة الصعبة هنا ، أشار إليها الإمام أبو العزائم ﷺ :

تمنيت رؤية غيب مصون ... وقدري ترب فعزَّ الأمل

.....كيف يري التراب ، جمال حضرة الوهاب..!!؟

هذا هو عجب العجاب...!!،

لكن لا حرج علي فضل الله ، لمن تعرض وتأسي في هذا الجهاد.. بحبيب الله ومصطفاه ، وسلم نفسه لفرد من الأفراد الذين اجتباهم سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ .

فسيدي أحمد البدوي رضي الله عنه ، جهاده :

......هو أنه ظل يعبد الله سبع سنين في غار حـــراء ، ومـــن عجيـــب مجاهداته في الغار : أن بينه وبين مكة سبعة كيلو متـــرات ، وطلوعـــه حوالي ساعتين . وكان كما ورد عنه : لا يترك فريضة في جماعة في وقتها في البيت الحرام....!!، كيف...!!؟

......هذه أحوال الصالحين وكراماتهم .

وما الكرامة..؟

.....أمر تتوق إليه نفس الرجل الصالح ، ولا تبلغه الأسباب ، فيري الله عز وجل ، شدة توقه ، وحرقة قلبه ،..... فيخرق له الأســـباب ، لأن الله آلى علي نفسه أن يرضي هؤلاء الأحباب....:

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ [الآية(٣٤)سورة الزمر].

لكن هذا في الضرورات.... ،

ولذلك لا يخرقون الأسباب ، ولا يطلبونها إلا في الضرورات .

لأن الذي يطلبها ليس منهم ....،

فطالب الكرامة يحتاج إلي أن يدخل إلي روضات الـــصالحين ، ليتـــأدب بأدب المريدين ....: حتى ولو طلبها بقلبه... وليس بلسانه...

...... رجل من الصالحين كان يمشي في الطريق ، وقذفه رجل بطوبة في قدمه ، فسال الدم من قدمه ، ولم يلتفت إليه ، ومشي بضع خطوات ، فإذا بالرجل يموت..... فأسرع الناس إليه ، وقالوا له :

....لم لا تعفو عنه ؟...وأنتم أهل العفو وأهل الصفح!! ؟

.... فقال : ما الذي جري؟

فحكوا له ، فقال :والله لا أعلم ولا أدري ما الذي جري له ، ...ولكن الله يغار علي أحبابه :

يغار علينا أن يمـــس جنابنـــا ... أولو البعد والطغيان أهل الجهالة

وظل في هذا الغار حتي أتاه الإذن من النبي المختار...، وقال له :
....يا أحمد ، اذهب إلي طنطدا ، فإن لك بها حالا ، وستربي بها رجالا:
عبد العال ، وعبد الرحمن ، وفلان ، وفلان ، وأعطاه الكشف .
وشأن الله ، وحبيب الله ومصطفاه : " إذا أقامك أعانك "...!
....كيف يذهب إلي طنطا. ، وهو لا يعرفها ؟ ولم يذهب إليها من قبل ؟
ذهب إلي البيت الحرام.... ،
فإذا بالحجيج قد أقبلوا ، وإذا برجل يتوسم فيه خير ، يـــستأذنه في أن يجالسه . وبعد المجالسة ، طلب منه أن يسافر معه ، ليكون في ضيافته ، وقال له :
....يا سيدي لعلك ترضـــي أن تكـــون في ضـــيافتي ..؟وأن تـــأتي إلي بلدتي...، فسأله: من أنت..؟
فقال: أنا الشيخ شحيط ، شيخ البلد لمدينة اسمها طنطدا ...!!
.....انظر إلي نظام الله مع أوليائه .....:
أرسل إليه شيخ البلد ....، ليدعوه للضيافة...:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾
[الآية(٨)سورة المنافقون].

وهذا نظام أهل الاختصاص من بدء الدنيا إلي يوم الدين .

.....لكن الذي يعمل نفسه شيخ ...!!،
يوكله الله إلي نفسه..... !!.
.....فالذي يصدر له إذن ، وتوكيل ، يكون المصنع كفيلاً بأن يورد له كل المعدات ، وكل قطع الغيار ، وكل المستلزمات....
.....لكن الذي يفتح بنفسه... لنفسه ...يقوم هو بشأنه .

فذهب إلي طنطدا مع الرجل ، فلما وصلوا ، قال له :
.....أين مترلك.. ؟.....فدله عليه .

انظر إلي أدب الصالحين : لنتعلم البراق الذي صعدوا عليه ، وركبوه إلي رضوان رب العالمين : براق الأدب ، ولذلك قال سيدي أبو العزائم رضي الله عنه : " حافظ علي الأدب ، ولو رقيت إلي أعلي الرتب " .
.....ونزل مع الرجل ضيفاً ، أول يوم وأكل وشرب ، ثم قال له:
.....أرني سطح مترلك.، فأراه إياه ، فقال له :....اصنع لي سلما من خارج المترل ، أصعد وأنزل عليه ، أنا وضيوفي فذلك أرفق بي وبك.
يريد أن يحفظ ستر مترله فلا يطلع أحد علي عورات مترله وأهله.
ولذلك لُقب بالسطوحي ، لأنه اختار السطح ، رغم أنه لم يكن مبنيا .!!
.....كيف كان ينام..؟.... كان يغطيه من لا يغفل ولا ينام...!

فالصالحون قد يصلون إلي حالة ، أن الواحد منهم لو نام حتى في المنطقة القطبية ، فإن الله عز وجل يهيء له بيتة هنية ، فالسخانات الإلهية ، والدفايات الربانية ، تغنيه عن الأغطية البشرية ...!!.

تربية المريدين

وبدأ في تربية المريدين...،

.....وطريقته في تربية المريدين ...لا تعتمد علي العبادات ، والأوراد ، وإنما تعتمد علي المجاهدات الفادحة ، التي تخلص النفس من : الغرور ، والزهو ، ومن الكبر ، والخيلاء ، ومن الأثرة ، ومن الأنانية ، ومن الحقد ، ومن الطمع ، ومن حب الذات ، ومن كل هذه الخصال المهلكات : التي بينها الله وجمعها في قوله عزَّ شأنه :

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الآية(٤٧)سورة الحجر].

وسنأخذ مثالا واحدا من هؤلاء المريدين ......:

.....هو سيدي عبد الوهاب الجوهري رضي الله عنه.

.....الذي تربي علي يد سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه ، ووصل إلي حال ، كان إذا دخل عليه رجل يطلب صحبته ، يقول له: انتظر!!

ثم يمسك بالشاكوش ، ومسمار –والجدار من طين– فإذا استطاع دق المسمار في الجدار ، يقول له :

أنت في اللوح المحفوظ من أحبابي وإخواني.

،وإذا لم يستطع أن يثبت المسمار في الجدار، يقول له :

أنت لست مريدا لي ، فابحث عن شيخك....!

.....وهل دقّ المسمار في الجدار ، موضوع صعب..؟

كلا... لكن الأقدار لها شأن في يد العارفين والصالحين والأبرار.

.....لأنه يخرج من الإختيار ، ويترك الأمر بالكلية للواحد القهار .

كيف وصل لهذا المقام ...؟

.....كان تاجر جواهر وذهب ، وكان رجلا مترفا من الأثرياء والأغنياء والوجهاء . ومر عليه يوماً سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه ، فاختطفت روحُه روحَه.... ، فترك المحل ، ومشي وراءه....!!

ولما ألح علي صحبته .... ، قال له :

.....ائتني بما عندك من الذهب والجواهر !! – وهذه إشارة مجملها : إذا أردت أن تصحب الرجل الصالح ، لابد أن ترمي كل ما يشغلك عنـــه من الشواغل– فأتى بالجواهر والذهب الذي عنده. فقال له :

.....ضعها في هذا الدلو .

.....وكان في هذا الوقت ، قد جعل المريدين له زاوية صغيرة ، يصلون فيها ، وبها بئر ماء للوضوء . فألقي بالذهب والجواهر في هذا البئر.

..... ثم بدأ يهذب نفسه ، وقال :

.....عملك الذي نكلفك به لتهذيب نفسك ، أن تريح هذا الثور الذي يدير الساقية لإخراج الماء ، فتتناوب معه العمل.....!!

وهل الرجل المرفه الوجيه ....يشتغل في هذا العمل.....!!؟

هكذا جهاد النفس...:

فإن الذي عنده ذرة من الكبر ، ليس له نصيب في طريق الصالحين ، وفي ذلك يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه :

ألا من يكن في قلبه بعض ذرة ... من الكبر والأحقاد ما هو ذائق

......وليس شرطا أن يكون الكبر عند رجل غني ، بل ربما يكون أعظم عند الفقراء الذين يرون لأنفسهم شأنا.
ولذلك ربنا قال في الحديث القدسي :

" أبغض ثلاثاً ، وبغضي لثلاث أشد ، أبغض الغني المتكبر ، وبغضي للفقير المتكبر أشد ".

لأن الغني قد يكون عنده ما يستدعي الكبر، والذي يدعي الكـــبر... النفس الإبليسية ، ولذلك قال الله تعالي:

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾
[الآية (١٢٣) سورة آل عمران].

فهذا الداء ، داء الكبر ، لا يزول إلا بهذا الكي .
......وفي مرة ، وهو يعمل في الساقية ، حدثته نفسه – بما كان فيه وبما هو فيه الآن – فلم يستتم خاطره ، إلا والشيخ أمامه – أي سـيدي أحمد البدوي رضي الله عنه – فناداه : ...يا عبد الوهاب....!
قال له : نعم،
قال : إملأ هذا الدلو من البئر ...، فملأه .
فقال :ألقه علي الأرض ..، فألقاه ...، فإذا كل ذهبه وجواهره...!!
فقال : خذها ، ولا حاجة لنا بك !!

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [الآية(٦٥)سورة النساء].

......فالذي يعترض ينطرد ،..وهذا عرف الصالحين...

.....فأدرك أنه أخطأ .. ، فاستغفر ، وتاب ، وأناب ، وعاهده علي التوبة النصوح ، ...أي لا يخطر له علي البال ، أي من هذه الخواطر أبدا..... فأمره بإلقائها في البئر مرة ثانية .

....وظل يعمل في هذا العمل ، ثم أراد أن يبلغه المحل الأعلى ، والمقام الأسمى ، فقال :

.....أترك هذا العمل ، وعليك أن تقوم بتنظيف دورات المياه الخاصة بالأحباب ،..... فظل ينظف المراحيض – وما أدراكم ما هيئتها في عصره – ومرة أخري....،، خطرت له في نفسه خاطرة... :

.....كيف أعمل هذا ، وهذا ، وأنا كنت كذا ، وكذا ..!!؟

.....لكنه كان قد تمكن في مقام المجاهدة ، فأراد أن يذل نفسه ، وانكفأ علي الأرض لينظف المرحاض بلحيته ،.... وإذا بيد تمتد تحت لحيته.... تمنعها من الوصول للأرض....، وإذا بالشيخ يأتي ، ويقول له :

.....يا عبد الوهاب...! ذللتها ...فأعززناك...

﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾
[الآية(٥٤) سورة المائدة].

.....هذا يا أحباب مثل من أمثلة ترويض الصالحين للنفوس ، لتصل إلي ما تبغيه من الكمالات ، والجمالات ، في حضرة المليك القدوس عز وجل ، ولذلك فإن الإمام أبي العزائم رضي الله عنه ، يقول في هذا المقام:

هذب النفس إن رمت الوصول ... غير هذا عندنا علم الفضول
هذب النفس بتوحيد العلي ... عن بيان الآي من فرد قئول.

تجريد التوحيد

كيف يهذبها ...؟

.....من بيان الصالحين ، المرشدين ، المأذونين من خير الأولين والآخرين ،... لماذا...؟

....لأنه يوصله لمقام في التوحيد ، يري نفسه فيه أنه فانٍ ، والله ﷻ ، يفعل به ما يريده جلّ وعلا....

....يقول : أنا آلة ، والله جلّ الفاعل ...

هذه أحوال ، وترقيات : يسير عليها الإنسان في أطـــوار المجاهـــدات ، ليصل إلي مقامات المشاهدات ، ......وهذا ما يفعله الصالحون رضـــي الله عنهم .....في كل وقت وحين..

سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه ، لم يروض المريدين فقط... ، بل روض أيضا العارفين .....،كيف...؟

.....وهو في مكة عرض عليه أخوه ــ السيد حسن ــ أن يذهبا لزيارة أولياء العراق... ، فذهبا سوياً . وبينما هما في زيارة سيدي أحمد الرفاعي رضي الله عنه ، في بلدة أم عبيدة ــ وهذه البلدة قريبة من البـــــصرة ـــ رأي سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه- في المنام- سيدي عبـــد القـــادر الجـــيلاني وسيدي أحمد الرفاعي رضي الله عنهما ، وقد قدموا له مفاتيح العراق.

.......وقالوا له :

هذه مفاتيح العراق ، ولكنه كان عالي الهمة فقال لهما :

.....أنا لا آخذ المفتاح إلا من يد الفتاح....

..... فقالوا له: اذهب إلي بنت بري ، فخلص السالكين من شرها.
.....وفاطمة بنت بري ــ امرأة من الـصالحات ــ كانت في شمال العراق ، في منطقة الأكراد حاليا ، ووصلت بالمجاهدة إلي مقام المكاشفة ، فكانت من أهل الكشف.
وأكرمها الله ﷻ ، ومكنها ، فكثر خيرها.... حتى صار لها ما يزيد عن الثمانين ألف رأس ، من الجمال ، غير الأغنام ، والماعز ، وغيرها.
وسخر الله لها القبائل جميعا ، يأتمرون بأمرها ، وكانت مع الجمال الروحاني ، تتمتع بجمال حسي يخطف الأبصار .
.... ولما كانت أحوال الصالحين تقتضي :
أن العارف ، إذا ذهب إليه مريد ، وتحقق صدقه في سلوك طريق الإرادة ، يختبره ليري مبلغ صدقه !!وينظر ، هل يستطيع أن يسير في الطريق ، ويقطع عقباته ، أم لا يستطيع !!؟
.....وأعظم هذه الاختبارات : أن يدعو الله له ، أن تنفتح أمامه أبواب الدنيا ، فيجد المال الكثير ، والخير الوفير...... فإذا انشغل به عن الله ﷻ ... غرق في أودية الشهوات.....أما إذا تيقظ ....، ولم يغيره المال عن الإقدام....، فيكون مطلوبا لله ﷻ..
......وهذا هو الذي يواليه ، ويمنحه ، حتى يوصله بسلام إلي حضرة السلام ﷻ ، وهذا ما يقول فيه الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:
"أول ما نمتحن مريدنا بالمال ، فإن نجا منه ، فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينجو منه فما بعده أشد منه ".

......لكن بنت بري كانت تمتحن المريدين بجمالها ، فتعـــرض علـــيهم جمالها ....!!، وهذه فتنة قل من ينجو منها من المريـــدين....... لأنهـــا كانت باهرة الجمال .

فالصالحون – حتى المنتقلين – تألموا لهذا الوضع ، ولم يعجبهم هذا الأمر ، وكلفوا هذا الرجل ، بأن يذهب إليها ، لعلها تتوب وتقلع عن هـــذا الشـــــــــــأن.

و لأنها من أهل الكشف ، رأت في المنام هيئته وصورته ، وقيل لها :

أن هذا الرجل هو الذي سيسلبك حالك.....

فأخبرت من حولها ، وقالت لهم :

إذا أتاكم رجل ، صفته كذا ، وهيئته كذا ، فأتوني به .

......فانظر إلي جهاد الرجال ، ....تصنَّع أنه أبكم ، وأنه أصم (أي أنه لا ينطق ولا يسمع) حتى يحقق بغيته ...،

فكلما كلموه ...لا يرد ، ويتظاهر بأنه لا يسمع ، فأخذوه ، وذهبـــوا إليها ، وقالوا لها..:

.....هذا رجل لا يسمع ، ولا يتكلم..!

وقال رضي الله عنه:

.....حتى أن أحدهم وضع فمه علي أذني ، وصاح بأعلى صوته ، حتى خشيت أن يخرق أذني ، لكنني ظللت متماسكا حتى لا تنكشف الحيلة.

ثم أمرَهم أن يخرجوه... ، فطلبوا منها أن تجعله يعمل معهم في رعايـــة الجمال...

.....وظل يرعي الجمال فترة.....

.....وفي ليلة من الليالي العظام .....
أخذ يذكر الله ....
، فغاب عن حسه ، وعن نفسه ، وذكر الله بصوت عالٍ ، والجمال من طبيعتها ...تستجيب لأهل الكمال ، فاستجابت له الجمال ، وأخــذت تذكر الله معـــــــــه :

﴿ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾
[آية (١٠) سورة سبأ].

.....وجاء الرعاة أنفسهم وأخذوا يذكرون الله عز وجل ، وذكروا كلهم ، وفي نهاية هذا الذكر ، عاهدهم علي طاعة الله ، وعلي الإستقامة.
وبعد أن عاهد الرعاة ، وأصبحوا أتباعا له ، دعـــا الله عز وجل ، فماتـــت الجمال كلها في لحظة واحدة .
وذلك ليجردها مما يطغيها ، فأدركت ....وجاءت بـــسرعة علـــي فرسها ....فعرفت أنه هو الرجل الذي رأته في مكاشفاتها.....
وعلمت أن نهايتها ، وسلب حالها علي يديه .
فاستعرضت أحوالها الروحانية ..... ،
ورد هو بما معه من أحوال روحانية أعظم وأكمل ... ،
فمدت يدها في الهواء ، وجاءت بكوب مملوء بالماء ، وقدمتـــه لـــه ــ استعراضا للقوي الروحانية ــ فسلب الله عز وجل الحول والطول منـــها ، ومن فرسها ، فلم تعد تستطع أن تتحرك ، أو تتكلم.
......المهم أنه بعد ذلك عرفها خطأها....،
......وعاهدها أن تتوب إلي الله عز وجل من فعلها ....،

...... وأمرها أن تتضرع إلي الله عز وجل ، في أن يرد حـــال كـــل مـــن تعرضت له وسلبته حاله بجمالها....

......وعرضت عليه أن يتزوجها ، ويبقي معها .

فأخبرها أنه ليس له شأن في هذا الأمر ، لأنه أمر الله عز وجل ....

وعاد إلي غار حراء رضي الله عنه وأرضاه....

.....ونكتفي بهذا القدر في سيرة هذا الرجل العظيم .

نسأل الله عز وجل.....

أن يلحقنا بالصالحين....،

وأن يفتح علينا بما فتح به علي عباده المقربين......،

وأن يكرمنا بأحوالهم وعلومهم في الدنيا.....،

وبصحبتهم ومعيتهم يوم الدين ....،

وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم.

الباب الرابع

توحيد العارفين

- سر الشكر لله
- مشهد المؤمن للأسباب
- كنوز الرضا
- حقيقة غنى الصالحين
- سر السعي للأسباب

توحيد العارفين*

الحمد لله رب العالمين....،
وشكرا لله على ما منَّ به علينا من الكرم ، والصلاة والسلام على مصدر الكرم والجود ، وسر العطاء الذي يتنزل لنا من المولى بغير حدود .... ، سيدنا محمد ، وآله الحافين به في المقام المحمود ، وأنصاره الذين دخلت قلوبهم مع حضرته في مقام الركع السجود
﴿ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا ﴾ [الآية(٢٩)سورة الفتح].
وأحبابه ، وأتباعه الذين ولّوا ظهورهم للدنيا ، وأقبلوا بالكلية على الواحد الأحد المعبود ،..... فأغناهم بفضله ، وكرمه ، وجوده ، عن جميع الشئون ......، وجعلهم دائما وأبدا في غيب الله المكنون .... راكعون ، وفى حضرته القدسية... عاكفون .
صلى الله عليه و سلم ، وعلى آله ، وصحبه ، وأتباعه ، ومن كان معهم ، أو أحبهم ، إلى يوم الدين......،
وعلينا معهم أجمعين .....
آمين آمين......... يا رب العالمين.

في الحقيقة يا أخواني – بارك الله فيكم ، وأعزكم بعز الطاعة ، وجعلكم دائما وأبدا ، من أهل الغنى بهذه البضاعة – جعل الله عز وجل

*كان هذا الدرس بمقر جمعية الدعوة إلى الله بحدائق المعادى بالقاهرة يوم الجمعة ٦ من شوال ١٤٢٥هـ الموافق ١٩من نوفمبر ٢٠٠٤م .

المؤمن غناه في قلبه – كما قال حبيبي وقرة عيني ﷺ – وجعل غير المؤمن ، الفقر بين عينيه .

.....فالمؤمن غناه في قلبه...، لأن غناه في اعتماده ، وتوكله ، واعتزازه ، بربه عز وجل، ...والله عز وجل إذا تجلى بكمالاته ، وظهر بجمالاته في قلب عبده .... أغناه بهباته عن جميع كائناته.....،

ولست أقول "عن جميع مخلوقاته"....، بل عن جميع كائناته...،

أكرر الحكمة مرة أخرى –وهى حكمة وقتية ، لا سماعية ولا كتابية – :

" إذا تجلى الله عز وجل في قلب عبده بجمالاته ، وتنزل فيه بكمالاته ، أغناه بهباته ، وعطاءه ، عن جميع كائناته ".

إذا كان العبد العادي مثلنا ، لو حل به ضيف ، ونزل بداره، يستحي أن يقصِّر في إكرامه ....، فيحتاج هذا الضيف إلى أن يطلب شيئا من جاره..؟

...... فلا يجوز للضيف أن يطلب إفطاره من الجار.!!.أو حتى قدح شاي من الجار...!!،

فما بالك بأكرم الأكرمين...عز وجل ، وسر غنى جميع الأنبياء من الأولين إلى الآخرين ، إن كان ظاهرا ، أو باطنا ....:

.....ظاهرا للأغنياء بالأموال والأطيان ، والعقارات....،

.....وباطنا لأغنياء الحال ، وأغنياء الفضل ، وأغنياء العطاءات من النبيين ، والمرسلين ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين.....

فكل غنى ، سببه:كنوز حضرة المغنى عز وجل ، فإذا رُزِق العبد من المُغنى ......هل يليق أن يحوجه المغنى إلى سواه ؟

.....لو استغاث بك إنسان في أي زمان ، أومكان ...واستمسك بك ، وأعلن أنه لا ملجأ له ولا منجا له إلا أنت...، هل يليق بك أن تتركـــه يتوجه لسواك. ؟

فما بالك برب العباد... عَزَّ وَجَلَّ ؟!

سر الشكر لله

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [سورة فاطر].

ولم يقل "والله هو الغنى.. وكفى"..، بل هو الغنى الذي يـــستحق أن يحمد على جميل عطاءه ، وعلى كريم نواله ....

لأنه يعطى ...لا لعلّة ، ولا لغرض ، ولا لحاجة منك ، ولا لطلب ، وانما يعطى عطاء متفضل.......

.....ماذا يريد الله منك لكي يمنحك.. ؟ وما المقابل الذي يطلبه الكريم منك ، من أجل كرمه ، وجوده ، وعطاءه...؟

......إياك أن تقول ـــ كما يقول بعض الناس غـــير الفاقهين ـــ : يريد مني الشكر ...، هو لا يريد الشكر لذاته .....

لكن يريد الشكر لك....! لزيادة الإنعام .....، وكمال الكرم ....

....لكن هل هو يحتاج إلى هذا الشكر ؟..... قال تعالى...:

﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [آية (٧) إبراهيم].

.....وهذه لك في الزيادة ، فالشكر منك ...لكي يزيدك ، ولكي يتوالى لك العطاء ،.... لكن الله عز وجل غني عن شكر الشاكرين ، وعن حمد الحامدين ، وعن عبادة العابدين ، وعن طاعة الطائعين – من بدء الدنيا إلى يوم الدين – لأنه الله العزيز الحكيم.

.....فأنت الذي تحتاج إلى كل هذا ...

والله عز وجل لما علم جهل الإنسان ما يريده لنفسه ؟.....وضحَّ له الطريق السليم ، والمنهج الرشيد .

.....وظن بعض الغافلين : أن هذا المنهج يحتاجه الله...!! وقالوا : أن الله عز وجل يغنيك ، ويريد منك الشكر ،.. إياك أن تقولها ، أو تظنها.

....إن كنت عالما فإياك أن تقولها، وإن كنت عابداً فإياك أن تظنها.

....لكنه رسم لك المنهج ، ليعطيك المزيد – إن كنت من طلاب المزيد.

....وإذا كنت تريد المزيد – أما الصالحات فقد قال فيها عز وجل :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [سورة الجاثية].

....فمقتضى الأدب الرباني هنا : إياك أن تظن أن الطاعة ، وبضاعة الطاعة : يريد الله منها شيئا لذاته.....

....لكن هي لك ، وفقط ، عند هذا المقام :

.... لزيادة ثوابك إن كنت من أهل اليمين ، ....ولزيادة قربك ورقيك إن كنت من أهل القرب ، ....ولزيادة فتحك إن كنت من أهل الفتح ، .....ولزيادة خيرك وبرك إذا كنت تطلب الخير والبر..

......هي كلها لك ، والله ﷻ غنى بذاته ، وكمالاته ، وجمالاتـــه ، وجلالاته ، عن جميع مخلوقاته ، لا يحتاج إلى أحد ، ويحتاج إليه كل أحد.
.....هو نفسه ، ووحده ، الفرد الصمد ...والصمد معناه :
.....أنه يتوجه إليه كل من عداه ، يطلبون قضاء حوائجهم .
ولا يتوجه جلّ وعلا في حاجة إلى سواه .
و أمره بين الكاف والنون : تقريب للعقول :... حتى لا تدخل في دائرة الحدس ، والظنون .
.... أما في عالم الحقيقة : ...فأمره أقرب من الكاف والنون ...، وأقرب من كن فيكون ، ...لأنه فعال لما يريد ..، أين الكاف والنون هنا..؟
إذا أراد فلا يحتاج إلى كاف ولا نون..!!
وتقريبا إلى الحقيقة ...حتى لا يتوه العقل في عالم الحدس ، وعالم الظنون ، لأن كل ما خطر ببالك فالله تعالى من وراء ذلك....

مشهد المؤمن للأسباب

إذن مقصد الله ﷻ ، ورسوله ﷺ ، والصالحين من عباد الله :
.....أن يجعلوا المؤمن ، يحدث له غنى بالله في قلبه .
فإذا حدث له غنى بالله ، فدخل في مقام : **" إذا سـألت فاسـأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله "** وهذه حالة عليا ، لأنه لا يسأل فيهـــا

إلا مولاه ، في أي أمر قليل ، أو كثير.

....ولذلك قال ربى عزَّ شأنه ، وتبارك اسمه ، ولا إله غـــيره ، مؤدبـــا أنبياءه ورسله :

" يا موسى !!..سلني في كل شيء ، حتى في شسع نعلك "

أي لو أن النعل ، حدث به تمزيق أو قطع ، فقبل أن تتوجه به إلى مـــن يصلحه ، سلني أنا أولاً..

وكذلك سلني " **في ملح طعامك** "،... فإذا كان الطعام يحتـــاج إلى ملح ، ومعك المال اللازم ، والسوبر ماركت مفتوح ، فقبل أن تذهب لإحضاره : قل : يا رب.... ليعينك....

.....لأنه ربما لو اعتمدت على نفسك ، لم ييسر لك الله الحصول على ما تريد ...مع وجود المال في جيبك ، والبضاعة في الخارج .

....فإنما الأمور بتيسير من بيده جميع الأمور عز وجل :

....لو شاء يسَّر الأسباب ، وجعلها تجرى بغير حساب ......

....ولو جمد الأسباب...، وفعل الإنسان كل ما أوتى مـــن قـــوة...، واستخدم كل ما يعلمه من حساب....، فلن يصل إلى ما يريد...:

لأن الأسباب لا تفعل إلا إذا أخذت الأمر من مسبب الأسباب عز وجل .

.....ولذلك قال:

" يا موسى سلني في كل شئ حتى في شسع نعلك ، و في ملح طعامك ، قال يا رب إن لي حالة أستحي أن أسألك فيها – يقصد قضاء الحاجة – **فقال يا موسى وهل تقضيها إلا بإذني ؟ "!**

أي أنا الذي أصدر الأمر لجهاز الإخراج ، ليخرج الفضلات التي فيك ،

فلو أصدرت أنت ...ألف أمر ، ....ولم تأخذ تصريحاً ممن بيده الأمـــر ....ما الذي يحدث ؟

....لو أخذت كل المسهلات ، بل ربما لو أي حقن ؟...لن يفلـــح أي دواء ...ما دام لم يأتِ الإذن من السماء...!!

﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ﴾ [آية(٥٤) سورة الأعراف].

فله الخلق والأمر معا...، وليس هناك أي أمر في الأعضاء التي فيك ، أو في القوى التي خارجك ، يكون له صلاحية العمل :

.....إلاّ إذا كانت من الله ﷻ لأن له الخلق والأمر معا.

....فكان سيدنا موسى يطلب كل شئ من الله ﷻ ، سواء من حوائج الدنيا ، أو من حوائج الآخرة ، فإذا كان جائعا ويطلب الطعام ، قال له:

﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [القصص].

.....فلم يسأل في قارعة الطريق ، ولا طلبَ ، ولا نظر إلى من حوله من الخلق ، نظرة ذلة ، أو مسكنة ، ليرحموه ويعطوه....،

....ولكن توجه بالسؤال إلى من بيده وحده العطاء والنوال ...،

.....فيصدر الله ﷻ الأمر للأسباب ، لكي تتولى الجواب ، والجواب في الحقيقة من الوهاب ...:

فمن رأى الجواب من الأسباب ، فقد أخطأ الحساب في عالم التوحيـــد ، ومن رأى الجواب من الوهاب ، فقد سلك طريق الصواب.

من يشهد الغير فَعَّال فمنقطع ... لأنه مشرك قد مال للسفل

.....فهو فعال لما يريد...، ولكنه فعَّال بالأسباب ....

....فكلنا أكلنا الآن ـــ والحمد لله ـــ من الذي جعلنا نحسّ بالشبع ؟
....هل المعدة ، أو العين ، أو غيره ..؟ قال ﷺ :
{ المؤمن يأكل في إناء واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء}[١]
....لماذا ...؟....لأن المؤمن يأكل بربه ....، فأقل الأسباب يكفيه .
.... لأن الحول ، والطول ، والقوة ، يستمده من خالقه وباريه.
....والكافر يظن أن القوة من القوت : فيأكل بشراهة ، وبـــشهوة في الطبع . ولذلك عندما جاء رجل كافر إلى حضرة النبى ﷺ ، وقـــدموا له الطعام – وكان قدحا كبيرا من اللبن – فنظر إليهم ، وقال هـــذا لا يكفيني ـــلأنه يأكل بالأسباب ، ويرى أن معدته الكبيرة ، لا يكفيهـــا هذا الطعام ـــ فقال ﷺ :
....(قل بسم الله وكل) ..
فقال : لو كنت آمنت بالله ، لقلت بسم الله . فقال له :
....(قل باسم رب محمد)، ،
فقال : باسم رب محمد . وبدأ يأكل ، فلم يستطع أن ينهى الإناء فقال حبيبي وقرة عيني ﷺ :
{الكافر يأكل في سبعة أمعاء والمؤمن يأكل في معي واحده }[٢]
.....لأنه يأكل بربه ....، فالكافر يأكل بالأسباب ...ولا يشبع .
.....واعلم أن أي سبب من الأسباب ، تناله بالله ..، يبـــارك فيـــه الله ، ويجعله زخرا لك في الدنيا ، وسعادة لك يوم لقاء الله .

---
(١) رواه البخارى عن ابن عمر
(٢)رواه البخارى عن ابن عمر

.....وكل شئ تأخذه بنفسك ، وتحاول أن تحصله بكسبك ، وأن تزيده بفكرك ، وأن تكثره بمواهبك العلمية ، وطاقاتك الدنيوية ، فليس فيه بركة من ربك عز وجل ، ومهما كثر فإنه لا يغني......ولذلك قال صلى الله عليه وسلم :

{ **لو كان لابن آدم** — ولم يقل للمؤمن ، لابن آدم : الذي يأخذ بالأسباب فقط- **لو كان لابن آدم وادي من ذهب لتمنى الثاني ، ولو كان لابن آدم واديان من ذهب لتمنى الثالث ، ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب**}[٣].

كنوز الرضا

فالمؤمن معه كتر الرضا بالله عز وجل .

.....فيفتح الله ، بالرضا عن الله ، له كتر القناعة...وأعظم بها بضاعة.

....فإذا تجلى الله عليه في قلبه بالقناعة ، فهي كتر لا يفنى ،....

....لكن إذا لم يعطه الله كتراً من كنوز القناعة ،.. ما الذي يغنيه ..؟

وما الذي من عالم الدنيا يكفيه ..؟

...وإذا أعطاه الله من الدنيا.. فإنها تطغيه..، وهذه مصيبة ،..ولـذلك قال صلى الله عليه وسلم :

{ يا ابن آدم لا من قليل تشبع، ولا من كثير تقنع }[٤].

(٣) رواه البخارى عن أنس
(٤) رواه ابن عدى والبيهقى عن ابن عمر

....لكن المؤمن غناه بربه ، فيتجلى الله على قلبه بكنوز المناعة ، وكنوز القناعة ، وكنوز الرضا ، فيجعله دائما وأبـــدا ....راضـــيا عـــن الله ، فيدخل في ديوان أهل الرضا : الذين يقول عنـــهم الله : **"رضـى الله عنـهم ورضوا عنـه"** ،...وتلحقه دعوة حبيب الله ومصطفاه :

{ ارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس } [٥] .

....ولم يقل أغنى المؤمنين ، فيكون أغنى الناس جميعا.....:

....لأنه رضى عن الله ﷻ.

هذه هي البضاعة النبوية ، الربانية ، التي يحرص عليها أهل الصلاح والتقى ، أن يضعوها في قلوبهم .....

.....وهذا الذي يعدل الميزان فيك :

.....لأن النفس فيها الشره ، والجشع ، وفيها الطمع ، وفيها الطغيان ، وفيها الشهوات ، وفيها الأهواء....وليس هناك شئ يكفى النفس أبدا.

.....فالذي يجعل النفس متوازنة :

إذا مُلئ القلب بالقناعة ، والرضا ، والثقة في الله ﷻ ، والاعتمـــاد على مولاه، فترجح هنا كفة القلب ، فيكون العبد مـــع الله ، ويتـــولاه مولاه ، وهو يتولى الصالحين ....

فيغنيه بذاته ، وكنوز فضله وهباته ، عن جميع كائناته.....

---

(٥) رواه أحمد والترمذى عن أبى هريرة

حقيقة غنى الصالحين

وقد أردت أن أزيل هذه الشبهة عن بعض إخـــواني الـــسالكين ، الذين يظنون أن غنى الصالحين :حسي ، أي عندهم حسابات جارية ، وعقارات ، وعمارات .

.....فالحسابات الجارية : وراثة قارون ، وهل الصالحون يمـــشون وراء قارون في هذه الوراثة ؟!

....و حتى لو أحببنا أن نسعى في ذلك ...فالأسباب، لا تساعدنا .

لأن الله عز وجل أمرها أن تعصانا ، لكي نتجه إليه.... ، فهذا دليل حب الله للمؤمن ، وأمرها أن تطيع المبعدين عن حضرته ، لأنه لا يحبهم.

....لكن المؤمن يقول فيه حبيب الله ومصطفاه ﷺ :

{ إن الله يحمى عبده المؤمن من الدنيا، كما يحمى أحدكم مريضه من الطعام والماء حتى يشفى }[٦].

فالمريض ، إذا كان بعض المأكولات يضره ، فلا داعي لها ، وهذا أيضا إشفاق عليه ، وطلبا لصحته وعافيته.

....كذلك الله عز وجل يأمر الدنيا أن تستعصي على السالكين ، حـــتى تخرج من قلوبهم ....، فإذا صارت في أيديهم..... ملّكها لهم ، وهـــذا هو المطلوب....!

ومن كلام بعض أهل الإشـــــارات في هذا الأمر:

أن طالوت وقومه ، وهم سائرون ، مروا على نهر ، فقال لهم طالوت :

---

(٦) رواه ابن عدى عن عقبة بن نافع .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦ ﴾

[الآية(٢٤٩) سورة البقرة].

....فالرجل الصالح يتبعه قومه ، فيمرون بنهر الدنيا .....:

....فالذي يشرب منه ...، ويحرص على أن يرتفع فيها ...، لا ينفع في طريق الله أبدا ، لأنه لا توافق بين هذه وهذه....

....والذي لا يغرف منها ، فإنه يمشى في طريق الصالحين ، إلاّ للضرورة – غرفة يعنى للضرورة –

....وعندما قال الله عَزَّ وَجَلَّ لسيدنا موسى....:

﴿ قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ١٩ ﴾ [سورة طه].

يعنى انزعها من قلبك ، وارمها على الأرض ، فوجد حقيقتها – **(فإذا هي حية تسعى)** – فلما خرجت من القلب ...، قال له **:(خذها ولا تخف)** أي خذها بأمرنا**....(سنعيدها سيرتها الأولى)** ، يعنى تصير معك الدنيا كما تريد .....طالما أخذتها من الله ....

....لكن إذا كانت النفس هي التي تبحث عنها....، فهذا دليل على انشغال المرء بها .

.....فإذا خرجت من النفس ....، وخرجت من القلب....، يعطيها لك الله....، لأن الله يتولاك ، ويجعلها طوع أمرك – وطوعك هو طوع أمر مولاك عَزَّ وَجَلَّ– فأنت في هذا المقام : لا تريد شيئا من الدنيا ، لا كثير ، ولا قليل ....

.....وهذا هو منهج الصالحين.

جع أضعفنها واحذرن من غيها .... فالنفس شيطان يبيد السالكين

......فمنهج العارفين أن يتجه القلب بالكلية إلى حـــضرة الوهـــاب ، ويتعلق به : في الغدوّ ، والرواح ، والذهاب ، والإياب ، فيـــسخر الله ﷻ له الأسباب.....

..... لكن إذا تعلق المرء بالأسباب.... ، وَكَلَــهُ الله إلى نفـــسه ....، وتركه إلى همه ......، وإذا ركبه الهمُّ.... فهذا أعظم تأديـــب مـــن الله ﷻ لعبده...، وهل هناك شئ فوق الهم ؟!!

.....لكن الإنسان :..إذا كان لا همَّ له إلاّ مولاه ، ولا همَّ له إلاّ رضاه ، ولا همَّ له إلاّ طاعته ـــ في صباحه ومساه ـــ ....، أغناه الله بفضله ، وكرمه ، وجوده ، عن كل من سواه.....

وطبعا ، لو دخلنا في دواوين الصالحين ونظرنا فيمـــا ذكرنـــاه ، فحدّث ولا حرج.....، وكرامات الأولياء من هذا الباب :

....فالإنسان لو اعتمد على الله في أي بـــاب ، وفى أي أمـــر ، وفى أي طريق ، وفى أي عمل ، يتحقق له أي أمل .

.....فالشيخ حسن العدوى ، جاء من بلد اسمها العدوه ـــ تابعة لمحافظة المنيا ـــ ، وجاء إلى القاهرة ، يطلب العلم في الأزهر .

.....فنفد ما معه من الزاد ، ونفد ما معه من المال ، ومكث حتى جاع جوعا فظيعا....، فاحتار !!!، وكان جالسا في الأزهر ، وإذا برجل يمر عليه ، وينادى ويقول :.... يا كريم!

.....فقال : أين هو الكريم ؟

.....فقال له : تعالَ...، وأخذ بيده ، وذهب به إلى سيدنا الحسين ، ودخل به إلى الضريح المبارك ، وأجلسه ، وفوجئ برجل يقدم له طعاما ، فأكل منه وشبع ..... وظل على هذا الحال ....كلما يجوع ، يذهب إلى سيدنا الحسين ، فيجد من يقدم له الطعام .....

.....إلى أن انتهت فترة دراسته الأزهرية ، وعين شيخا للأزهر.

.....وفى إحدى جلسات المشايخ مع بعضهم ، احتدم النقاش حول قضية هل الحسين برأسه فقط في مصر أم رأسه وجسده ؟

–وكان هو رأيه ، بأن سيدنا الحسين موجود برأسه فقط– فلما انتهى النقاش ، وذهب ونام ، رأى سيدنا الحسين رضي الله عنه في المنام ، وقال له :

.....يا حسن من الذي كان يطعمك الطعام ..؟، رأس الحسين أم الجسد كله على بعضه ؟

....فانتبه من النوم ، وذهب إلى إخوانه ، وجمعهم ، وأقر واعترف لهم بأن الحسين رضي الله عنه كلٌ لا يتجزأ، وطلب منهم أن يسامحوه واعتذر لهم.

.....الشاهد الذى أستشهد به هنا:

.....أنه من أين كان يأكل ؟

.....من الكريم مباشرة.....أم من الأسباب.....

وهكذا ، فأمثلة الصالحين في هذا المجال ، لا عد لها ، ولا حد لها :

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الآية (٣) الطلاق].

وهذا بشرط ألا يكون عنده ذرة واحدة من الشك...

بل يكون عنده يقين ، لا يعتريه شك...
ومن وصل إلى هذا اليقين ، تولاه الله عز وجل بعطائه ، وأغناه عن الخلق أجمعين......

.....وهذه هي الحالة التي نريد فيها المجاهدة ، لكي نصل إلى اليقين ، وإذا وصلت إلى ذلك : فأنت وليّ لله ، و إذا لم تصل إليها : جاهد.... وجاهد....، فأنت سالك : مفتوح لك الرحاب....، و إذا جاهدت بصدق ، صرت من الأحباب....، وتولى الله أمرك كله ، ظاهرا ، وباطنا........، فيرزقك من غير حساب !! .

سر السعي للأسباب

فالمؤمن يسعى إلى أن يدخل دائرة الولاية العظمى ، التي يقول فيها الله عز وجل :
﴿ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٨﴾ ﴾ [سورة النور].
......فإياك أن تقيم نفسك في هذا الباب ....، لأنك إذا أقمت نفسك قبل أن يقيموك....، وتقول للناس : "ربنا يتولانى ، وربنا يرزق من يشاء بغير حساب.." ، وتقعد ، فمن الذي يعطيك...؟
....والناس تحتاج إلى ردّ الجميل ، إذا أعطوك؟
والإمام الشافعي رضي الله عنه ، كان يقول :

لنقل الصخر من قلل الجبال (قمم) ..... أحب إلى من منن الرجال

.....أي : لأن اطلع الجبال ، وأقطع الصخر ، وأشتغل ، لكي أكسب الرزق بنفسي....، أحب إلى من مد يدي إلى غيري.

.....ولذلك فقد ورد عن الصالحين في أدهم : أن سيدنا إبـــراهيم بـــن أدهم رضي الله عنه وأرضاه ، رأى رجلا من الصالحين ، جالسا ، يتعبد...،

فقال له :.... ماذا تفعل ؟

قال : ....أتعبد لله .

فقال : ....من الذي يأتيك بالأكل ؟

فقال :.أتوكل على الله ـــ فسأله ليعلم : أهو مقام أم قد أقام نفسه ـــ : ....كيف دخلت فى مقام التوكل؟

فقال له :... رأيت حية عمياء في أعلى شجرة ، ورأيت طائرا يطعمها ، فإذا طعمت ، يذهب ، ويملأ فمه بالماء ، ثم يناولها..، فقلت : يا رب..!! .....هل أنا أقل من هذه الحية ...؟ وتوكلت على الله.....

فقال : ولِمَ لمْ تجعل نفسك الطائر الذي يعطى ؟ ورضيت بالمقام الأدنى !!

لأن صاحب الهمة العلية ، يطلب دائما المقام الأعلى .

.....فإذا لم يقام العبد من مولاه ، فليحافظ على الأسباب بالتمام .

.....وإذا فتح لك الوهاب ، باب علم وهبي ، ورزق لدنى ، من كتاب الله ، وسنة حبيب الله ومصطفاه ...:

ففي هذه الحالة لا تحتاج لتحصيل...، لأنك تحضر روحـــــك في عالم

الغيب ، ليهب لك الله عز وجل ، ما به تطعم من حولك مـــن المـــساكين الطالبين لهذا العلم الإلهي الوهبى....
....لكن إذا كنت تقيم نفسك في هذا المقام :
وتحضر كلمة من هنا، وكلمة من هنا ، فإنك تضيِّع نفسك.... وتضيع الموجودين من حولك...، وتجعلهم يشكون ، ويشككون في الصالحين.
....لكنه إذا أقامك أعانك....

وهكذا الأمر يا أحباب الله ، في عالم الأسباب كلها.
....ونحن مأمورون أن نأخذ بالأسباب ، ولكن نأخذ الأسباب... بسم الله ...، ونتناولها بيقين : أن الفاعل فيها هو الله ، وهذه هي الحقيقة.

.....ما الذي يشفى في الدواء ؟
المادة الفعالة التي فيه ...والمادة الفعالة في أي عمل :
هي قدرة الله عز وجل ، وأمر الله ، وتدبير الله ، وتصريف الله ، في الأسباب التي يسببها الله .
....وهذه تظهر في المواد كلها : ببسم الله....،
....فطالما أنت تسمِّى الله ظاهرا....، وتتجه إلى الله باطنا....بالافتقار ، والاحتياج ....، وتحس بأنك : ...عبد ،... فقير ،.... تحتاج في كـــل شئ إلى العلي القدير.....:
.....فهنا :.....يُفتح لك الرحاب ، ويكلـــؤك الله عز وجل بعنايتـــه ، ولا يلجئك إلى غيره طرفة عين ولا أقل ، وهو الذي يسوق لك الأسباب .

.....وهكذا....: فقليل اليقين : يبحث عن الأسباب...، فلا تطعه ..،
وقوى اليقين : تبحث الأسباب عنه ، وتسعى إليه ، وتحثه ليأخـــذها ،
لتنال رضاه .

وقد ورد أن الحبيب ﷺ ، كان عندما يتناول الطعام :
.....يسارع الطعام إلى يده ، فكان التمر ، يسارع إلى يده الـــشريفة ،
وتريد كل تمرة أن تقع في يده ، قبل جارتها ، وأخواتها ، لماذا ؟
لأن الله أمرها أن تسعى لمن اعتمد على الله وتوكل عليه....
....لكن لو سعى الإنسان إليها ، وبحث عنها ، يجد هذه بها عطـــب ،
وهذه بها آفة ، وهكذا......

فهنيئا للصالحين .....الذين أصلحوا قلوبهم .....،
.....ووجهوها بالكلية لله....،
.....وجعلوها تعتمد عليه في كل أمر....،
.....ثم تناولوا الأسباب بالله عز وجل، في كل أمر....،

وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

الباب الخامس

الفتح الربانى

- الشرعة والمنهاج
- طريق الفتح الربانى
- علامات الإلهام الربانى
- التوجهات والنيات
- منهاج الفتح النورانى
- حقيقة "بشر مثلكم"
- وصف الإلهام
- من أنواع الإلهام
- إلهامات الله للصالحين
- الإمدادات الملكوتية

الشرعة والمنهاج (*)

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ....﴾
[الآية(٤٨)سورة المائدة].

الحمد لله ، الذي أنعم علينا بحبيبه ومصطفاه..،
وتنزل لنا بخير كتاب أنزله إلي خلق الله ، وهدانا إلي المنهج الأقوم ، والصراط الأمثل في السابقين ، واللاحقين ، للوصول إلي حضرة الله.
.....والصلاة والسلام علي ألف البداية ، وياء النهاية ، وسر أسرار أهل العناية ، والأنوار الربانية الإلهية القدسية ، المشرقة من البداية إلي النهاية ، سيدنا محمد ، غاية كل غاية ، وآله أهل العناية ، وأصحابه المتوجين بتاج الولاية ، وكل من مشي علي منهجهم ، وسار علي دربهم ، وعلينا معهم أجمعين......،
.....آمين آمين يا رب العالمين ......

إخواني وأحبابي ، بارك الله ﷻ فيكم أجمعين :
.....قال الله سبحانه وتعالي ، عما جاء به وأرسل به الرسل ..:
﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [آية(٤٨) المائدة].
....لكل رسول ، ولكل نبي : شريعة ظاهرة ، بها صلاح الظواهر ، و المظاهر : فصلاح الأبدان ، و صلاح البلدان ، و صلاح الأفراد ، و

(*) درس بعد الجمعة بمنزل د/ على كريم – عزبة اسحق – ديرب نجم – الزقازيق يوم ١٣ من شوال ١٤٢٥هـ الموافق ٢٦من نوفمبر ٢٠٠٤م.

صلاح العباد :

....بإقامة شرع الله ، والعمل به علي منهج حبيبه ومصطفاه. .....

وجعل الله ﷻ ، صلاح البواطن ، وصلاح القلوب ، وإصلاح النفوس ، وإسعاد الأرواح :

....بالعمل بالمنهاج الذي خص الله به الرسل الكرام ، وخاصة أتباعهم ، في كل زمان ومكان.....

......فالمنهاج :

هو الأعمال الخاصة لأهل الإختصاص ، وهي جهاد النفس ، ومجاهـــدة القلب ، حتى يصل إلي مقام الصفاء والنقاء ، فيشرق الله عليه بـــأنوار الجمال ، وكمال البهاء ، والضياء ، وإشراقات الروح .

......كل هذه لابد لها من منهج ذاتي ، يؤخذ من الحبيب المصطفي ﷺ ، لكل صفي ووفي منهج.

......الشريعة جامعة ، وهى للجميع ، والمنهاج خاص للخواص .

......وكل رجل له منهج خاص ، يأخذه مباشرة من ســـيدنا ومولانـــا رسول الله ﷺ ..

طريق الفتح الرباني

ويطول بنا الأمر ، إذا تحدثنا عن هذا المنهاج .

.....لكننا نتكلم في نقطة ، نريد توفيتها وهي :

كما أن أهل الظاهر ، لو تعكرت مظاهرهم ، وتباطـأت أرزاقهـم ، وانحرفت أمزجتهم ، وسقمت أجسادهم : يكون ذلك بسبب عـدم قيامهم التام ، بشرع الملك العلام ﷻ .

......كذلك يا إخواني.... فإن أهل الفتح ، الذين يريـدون فـتح الله ﷻ ، لابد لهم من السير علي المنهاج ، الذي كان عليه سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

......وفي ذلك ورد أن أصحاب النبي ﷺ ، كانوا صنفين :

منهم من يأخذ بقوله ، ومنهم من يأخذ بفعله .

منهم من كان يسمع ما يقوله ، فينفذ، ـــ وكان ﷺ يأمر بما فيه اليسر ــ ، ومنهم من كان لا يرضي أن يتابعه في القول ـــ لأنه يعلم أن هـذا أمر عام لجميع الأنام ـــ فقط :

فكان يقتدي بفعله ـــ لأنه يعلم أن فعله عزيمة ، وقوله رخصة ـــ فيعمل بالعزيمة ليكون من أهل العزائم.

......وأنتم تعلمون أمر الثلاثة الذين ذهبوا إلي مترله ﷺ ، يسألون عن عبادته الخاصة التي فيها عزائم ليقتدوا بها ، ويهتدوا بهديها ، فيفتح الله ﷻ عليهم ، بما فتح به علي العاملين بها .

.....والمنهاج يا إخواني ، بعض السـالكين يظن أنه علي حسب مزاجه

الشخصي ، وهواه الذاتي ......، وهذا ما يجعله : يقف في موقفه ، ولا يتقدم ، ولا يتحرك ، ولا يُفتَح عليه...!!.

.....ولذلك من يريد الفتح ......:

لابد أن يراجع المنهاج علي منهج حبيب الله ومصطفاه ، الخاص ، الذاتي ، فمثلا:..... العوام ....:

أمرهم الله ﷻ بخمس فرائض في الصلوات :

الصبح ، والظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء ، لكن الحبيب كلّفه الله بفريضة سادسة :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ ﴾ [المزمل].

.....وهذا أمر ، لذا أصبح قيام الليل عليه فريضة ، وليس نافلة ....، ولماذا يقوم ....؟.... بيّـن له الحكمة :

﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ - والسر- عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩ ﴾ [سورة الإسراء].

.....فالذي يريد أن يتابعه في المنهاج ، هو الذي يفرض علي نفسه قيام الليل ، كما قال الله ﷻ...:

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾ [آية (٢٠) سورة المزمل].

وهم الذين مع رسول الله ، في معية الأنوار الذاتية، والعناية الربانية ، والعلوم الوهبية ، والأسرار الكثرية.....

وهؤلاء.....: كل فرد منهم ، يفرض علي نفسه قيام الليل ، ولا يتعلل لنفسه بأن الفتح فضل من الله ، وقيام الليل فرض علي رسول الله فقط

، وهو ليس مطالب بذلك .
فإذا تكاسل عن ذلك ، فمن أين يأتيه الفتح ..!!؟
.....إذن الذين يريدون أن يكونوا من أهل المنهاج : إنما يريدون بذلك أن يصلوا إلي الفتوحات الربانية ، القلبية ، والروحية ، والقدسية .
وهذه فتوحات كلها : فيها إلهام ، وفيها فراسة ، وفيها نور ، وفيها كشف ، وفيها عناية من الله عَزَّ وَجَلَّ .
......فلابد لكل رجل من هؤلاء :
أن يراجع نفسه علي هذا المنهاج ، وإذا التمس العذر لنفسه : حرم من هذا المقام ، لكن الذي يريد هذا المقام : دائما يراجع نفسه ، ويلومها.
...... ولذلك عندما تراجع سير الصالحين الكمل ، تجدهم جميعا:
كانوا يلومون أنفسهم ، فمهما وصل الرجل منهم ، تجده يلوم نفسه ، ويقول لها ...:
أنا ما أنفعش في حاجة ...!، أنا ما أعرفش حاجة...! ، أنا فقير...! ، أنا مسكين...! ، لماذا؟
لأنه عارف :....أن هذا هو الباب للفتح.
....ولذلك فالإمام البوصيري رضي الله عنه ، بعد أن أكرمه الله غاية الإكرام ، وأنشد في مواجهة المصطفي قصيدته البردة المباركة ، وسيدنا رسول الله أكمل له بعض أبياتها ، إلا أنه قال :
أمرتك الخير، لكن ما ائتمرت به ... وما استقمت، فما قولي لك استقم
أي أمرتك بالخير ...، لكن أنا ما زلت لم أكتمل في الجهاد ...، ولا في الصفاء ...، والنقاء... ، فكان دائما يلوم نفسه .

...فعلامة المــلازم لطريق الفتح : أنه يلوم نفسه دائما ، ولا يلوم غيره.
أما المريد الكسول ....، فهو الذي ينسب التقصير إلي شيخه ...!!
فإذا أبطأ عليه الفتح ....، زعم أن الشيخ ...لا يحبه..!!
....لكن المريد الملازم ، هو الذي يُرجِع القصور ، والتقصير: لنفــسه، ودائما يلوم نفسه ، لأنه لو أُهِّل....: فلن يستطيع أحــد في الأولــين والآخرين ، أن يحرمه من فضل الله ، أو يمنع عنه فتح الله جلَّ في علاه ، لأنه تأهل لذلك الفضل .
.....لكنه ، لو لم يتأهل ....: من الذي يستطيع أن يسوق له الفتح من الله ، وهو غير مؤهل ؟
......لا أحد يستطيع أن يفتح ...حتى علي ابنه ـــ ولو كان من كُمَّل أهل الفتح ـــ فالرجل الصالح ، الذي أعطي ابنه أورادا ، ودخل الخلوة ، وظل فترة طويلة ....يجاهد ، وخرج .
ولما سأله ، ووجده لم يفتح عليه ، أعطاه أورادا ثانية ، وثالثة .
وفي النهاية ، قال له :
يا بني !!....لو كان الفتح بيديَ ، لكنت أول مريد عندي في الطريق ، ولكن الفتح بيد الله ، يعطيه من يشاء....
......أي هذه عناية من الله ، وتحتاج منك إلي التأهيل ، فالتأهيل عليك ، والمنن ، والفضل علي الله عزّ وجلّ .
....فإذا كنت لا تريد أن تجمِّل نفسك : بالصفاء ، والنقاء ....والنفس مليئة بشيء من الكبر ، أو شيء من الزهو ، والغرور ، أو شــيء مــن الإعجاب بالنفس ، ..فكيف يترل فيها فضل ربك عزّ وجلّ؟

......لا يجوز ، أن يترل فضل الله علي نفس مغرورة ، أو نفس مزهوة ، أو نفس معتزة بذاها ، أو نفس تري أها من أهل الكمال ، وهـــي مـــا زالت في الوبال..... ، كيف يأتيها فضل الله ...!!؟

......ولذلك لا بد للمريد أن يراجع نفسه : ليري أين يترل ، ويقف ، كيف يراجع نفسه......؟

يقيس أحواله ، وأفعاله ، وأخلاقه .... بالصالحين ......

وينظر في نفسه إلي ثمرات الفتح ، التي أُوتيها الـــصالحون .....فيقـــول لنفسه...:......هل أنا عندي إلهام رباني ....!!؟

علامات الإلهـــام الربـــّاني

......والإلهام الربـــّاني :

شرطه الأول : أن يكون في آيات كتاب الله أو في حديث رسول الله.

وشرطه الثاني : ألا يخالف هذا الإلهام شرع الله .

وشرطه الثالث :أن لا يناقض العقل حتى لا أتعرض لما لا يحمد عقباه .

......فإذا كان الإلهام الذي لدي ....: ينال القبول ، ويوافق شرع الله ، فهو باب فتحه لِيَ الله ﷻ ......لكن إذا كـــان تكلفـــاً ، وتعمُـــلاً ، وتفكراً :..... فأقـــرأُ لأقول للغير ، فهل هذا يكون فتحـــاً ؟

كلا ......!!!!

......كان سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه وأرضاه ، لما يختبر أحوال أهل العناية ، يقول لهم :
تكلموا فيتكلمون ، ...واحد يقول : أنا قرأت من قوت القلوب كذا وكذا ، والثاني يتكلم من إحياء علوم الدين ، والثالث يتكلم من كلام الشيخ محي الدين بن عربي ، فينكر الشيخ عليهم ذلك ويقول : حدثونا بما فتح الله عليكم ، ولا تحدثونا عن غيركم .
......فالفتح علم خاص لأهل الاختصاص ...بعد الصفاء ، والنقاء ، والطهارة ، يتنـــزل عليه فضل من الله ، من باب :
﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آية(٢٨٢) سورة البقرة].
......علامته ، كما قلت :
أن يكون فتحاً قرآنياً... ، أو نبوياً ... ، يصادف ما عند السامع... ، أي عندما أتكلم ...فالسامع يخيل إليه أنني عرفت ما في نفسه ... ، وأنا في الحقيقة ...لم أطلع علي شيء في داخله . ولكنه فتح من الله !!! ، ويظن أنني معي نظارة باطنية وقرأت ما في نفسه.....
لكن هي العناية الإلهية تجعل الأمر لابد أن يوافق ما في نفسه ، وكذلك في خطبة الجمعة : يوافق الحديث أمراً ذا بال في القرية أو الحى ، فيتساءلون .....ما الذي عرَّفه هذا الموضوع..!!؟
وهو في الحقيقة لم يصل إلي علمه أي خبر لما ذكر.... ، لكن هكذا الفتح الإلهي ، يتلقي فيه الإنسان من محطة الواحد المتعال .
......قال لنا في هذه الموجات :
﴿ عِظْهُم وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلاَۢ بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [النساء]

......أي كلّمهم بما في نفوسهم ، وهذا هو القول البليــغ ، أي يبلــغ الذي عندهم ، فما يريدون سماعه سيسمعونه ....!!، من غير أن تتفَوه به ألسنتهم ....!!، أو يعرضونه بكلامهم ...!!.

وهذا ما يحدث مع الصالحين .

......لكن الفتح الذي يدعيه أهل الفكر : بأن يفكر ، ماذا يقــول في الخطبة؟.... فيكتب عناصراً ، ويقرأ في الكتب ما يناسبها ، فهذا لــيس بفتح !!!!، ولكنه جمع معلومات .

أما الفتح ....: فيأتي في الحال ، وفي الوقت .

مثال ذلك : ....السماء...: تكون صافية ليس فيهــا أي ســحابة ، وفجأة !!... تجد السماء ...تغيرت ، وإمتلأت بالسحب ، ونزل المطر ، بدون سابق مقدمات.......!!

التوجُّــهات والنيَّــات

فإذا كنت لم أصل إلي مثل هذه الأحوال....:

......أراجع نفسي ، وأراجع المنهج الذي أسير عليه ....

......وأول ما أراجع بالنسبة للمنهج الرباني :

ليس الأعمال ....، ولكن التوجهات والنيات !!...:

ما نيتي في هذا العمل ؟ وما توجهي في هذه العباده؟

أريد حسنات ، .....أم أطلب فتوحات؟
أم بغيتي وجه الله ....، لا أريد سواه ...؟لأنه ﷻ يعطيني علي قــدر نيتي ، قالﷺ :

{ إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل إمريء ما نوي }[١]،

وقال تعالي:

﴿ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا – من أين هذا الخير– مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ ﴾ [الآية(٧٠) سورة الأنفال].
وهذا بنياتكم ...
......وكذلك لا بد للسالك ، أن يتعرف علي أحوال أهل الفتوحــات في عصر سيد السادات ، ويسير علي منوالهم ، و منهاجهم ، ولا يسير علي حسب هواه.
......فمثلا : سيدنا أبو بكر ، وسيدنا عمر رضي الله عنهم وأرضاهم :
كان سيدنا رسول الله ، يراجعهم فيسألهم :
كيف يقرأون القرآن؟
فقال أبو بكر : أقرأ في نفسي ....فقال ﷺ : لماذا ؟ ......فقــال : لأسمع من أناجي .
فقال ﷺ : وأنت يا عمر !..
فقال:أرفع صوتي.... فقال ﷺ :لماذا؟...فقال : لأوقــظ الوســنان ، وأطرد الشيطان.... فقالﷺ :
أنت يا أبا بكر ارفع قليلا ...! وأنت يا عمر اخفض قليلا....!

---

(١) متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه

ما المقصد هنا ؟

إنه بذلك يخرج من هواه ....إلي مراد رسول الله .

ولذلك لابد للسالك الصادق ....أن يخرج من هواه ، لمراد رسول الله ، ليأتيه الفتح من الله ، سر قوله ﷺ :

{ والله لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به}[٢]،

......هذا هو طريق الفتح ، فمن كان له هوي ، مال عن طريق الفتح ، ولا يتم الفتح ....حتى يكون هواه مطابقا لهوي رسول الله...

وكذلك كان مبدأهم :

﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾

[آية (٢٨٥) سورة البقرة].

.....لكن عندما يقول الشيخ للمريد – الذي يريد الفتح – :

افعل كذا ، ففيه شفاؤك ، فيتكاسل عن العمل ...، حتى يسأله الشيخ : هل فعلت كذا ؟ فيقول : أصل كـذا ، و أصـل كـذا ، وينتحـل الأسباب.....!!!

مثل هذا كيف يأتيه الفتح ؟

......فالمريد الذي يريد الفتح له علامة :

إذا خالف ما عنده ، ما عند شيخه – بدون كلام – فهو لم يـصل إلي درجة المرام .... ، لأنه لابد أن يصل إلي حالة :

يكون ما يحس به داخليا ....: يعرف به ما يريده الشيخ باطنيا.

لأن المريد الصادق ...يفهم إشارة المرشد قبل كلامه..!!

---

(٢) رواه الترمذى الحكيم والخطيب عن ابن عمرو رضى الله عنهما

لكن ، كونه يأمره الشيخ بما ينفعه : فيتكاسل ، ويتباطأ...: فلا يـــروم الفتح..... ، لأن الله تعالي يقول :

﴿ إِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ﴾ [الآية(٥٤) سورة النور]

ويقول ﷻ أيضا: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [الآية(٧)سورة الحشر] .

......فالمريد الصادق :

هو الذي يمشي علي هذا المنوال ، وفي هذا الإتجاه .

بل إن المريد الذي يريد الفتح ، يستكثر من العبادات التي يؤمر بهـــا ، حتى يجاوز الحد .... حتى إن سيدنا رسول الله كان يأمرهم بالتخفيف !!

مثلما :..... أمر عبد الله بن عمر :

بصيام يوم ، وإفطار يوم ، بدلا من صيام الدهر كله .

وكذلك أمره أن يقوم بعض الليل ، وينام بعضه ، بدلا من قيام الليـــل كله ،.... وأمره أيضا أن يقرأ القرآن ، ويختمه كل ثلاث.

فكان رسول الله ﷺ هو الذي يأمر العابدين بالتخفيف .

......لكن المريد الذي لا يقوم إلا بالشدة ليطيع الخلاق.!!. ، فكيـــف يصير مثل هذا من أهل الوفاق ؟

بل وكيف يترقي في المعارج حتى يصل إلي التلاق؟

فلابد أن يكون الدافع للمريد الصادق من داخله ، ومن باطنه ، حتى لا يلتمس لنفسه الأعذار....، ولا يمشي علي هواه...، ليكون مع الـــذين أنعم الله عليهم من النبيين ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين .

منهاج الفتح النوراني

......وهكذا فالمريد الصادق ، الذي يريد أن يفتح عليه الله ، يمـــشي علي المنهاج ،...

......وما المنهاج؟

هو الأخذ بالعزائم التي كان يأخذ بها سيدنا رسول الله نفسه ، كما كان الخاصة من أصحابه يفعلون ، ويتأدب بالآداب التي كان يتـــأدب بهـــا أصحاب رسول الله مع رسول الله.

.....إذن المنهاج يتكون من شقين:

الأول ....: أن يأخذ نفسه بالعزائم التي كان يفعلها رسول الله ، وليس التي كان يأمر بها ﷺ .

والثاني.....: أن يدرس الآداب التي كان عليها عليـــة الأصـــحاب ، ويهذب نفسه بها ، ويؤدب نفسه بها ، حتى يصل إلي المراد ، ويكون ممن قال فيهم سيدنا رسول الله ﷺ :

{ ما فضل أبو بكر الناس بكثرة صلاة و لا صيام و لا كثرة رواية ولا فتوى ولا كلام و لكن بشيء وقر في صدره }[٣]

......لذلك كان سيدنا أبو بكر ....:

هو الذي يعرف الإشارات التي يلوّح بهـــا ســـيدنا رســـول الله ......، وأصحابه كانوا يتسابقون.... ليسمعوا منه هذه الإشارات .

سيدنا أبو بكر لم يكن صاحب عبارات ، ولكنه كان صاحب إشارات.

---

(٣) أخرجه الترمذى

وهو الذي كان يفقه هذه الإشارات ، حتى أن سيدنا عمر : كان يتعجب من هذه الأحوال ، ولما نزل قول الله عز وجل :

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [الآية(٣) سورة المائدة]،

بكي سيدنا أبو بكر ، فسأله أصحاب رسول الله :لم تبكي؟

فقال : لأن هذا نعي رسول الله ﷺ ، لأنه مع باطن رسول الله مباشرة ، وكذلك ، لما نزل قول الله ﷻ :...

﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣ ﴾ [سورة النصر].

فبكي ثانية فسألوه ، فقال:توابا ، أي رجاعا ، وهذا معناه رجوع رسول الله ﷺ إلي ربه ، أي وفاته .

فكان دوما يفقه ما في باطن رسول الله ﷺ ، قبل أن ينطق به رسول الله ، لشدة تعلق قلبه ، بحبيب الله ومصطفاه ﷺ.

......أما سيدنا عمر......:

فكان يأتي بالخبر من السماء ، قبل أن يترل به كتاب الله !!، وكان يترل القرآن بعد ذلك علي رأيه !!، ،كيف يتم له ذلك...؟

روحه علت ، فهامت ، فإستشرفت هذه الأخبار قبل أن يترل بها جبريل علي النبي المختار ﷺ ، فيأتي بها من عالم السر ، لأن سره في عالم السر والنجوي : يجول دائما .

وهذه الخصوصية ليست لعمر فقط ، ....بل أيضا .....:

......سعد بن معاذ ......:

عندما حكم علي اليهود ، قال له حضرة النبي :

(لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات).

أي أنت الحاجب للمحكمة الإلهية !!، فأنت نطقت بـــالحكم ، لكـــن المحكمة حكمت بالحكم ، وأنت بَلّغت.....!!

.......ما هذه الأرواح..!!؟

هذه الأرواح هي التي ملكت الأشباح ، وكانت لا تفعل صـــغيرة ، ولا كبيرة ، إلا علي هدي من حبيب الله ومصطفاه ﷺ ....

......هذا هو المنهج الذي يسير عليه أهل الفتح :......

فهم دائما مع أحوال سيدنا رسول الله ، وأفعـــال ســـيدنا رســـول الله الخاصة ، التي ألزم بها نفسه : وقد ألزموا بها أنفسهم .

ونظروا إلي أحوال الأصحاب وتعلموا منهم الآداب ، لأن أدبا واحـــدا يتركه الإنسان ، ربما يجعله يخرج من دائرة معية الـــنبي العـــدنان ﷺ ، فإبليس خرج من معية الله بذنب واحد ، وكان عن تأويل – عندما قال له ربه– :

﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾

[آية(٧٥) سورة ص].

فما الذي منعه من السجود....؟

أنه إعتقد أنه لا يجوز السجود إلا لله ، وخطأه : أنه نسي أن الذي أمره بالسجود ، هو الله عز وجل ، وفي ذلك يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه :

هفوة العارفين أكبر ذنب ... فابذل النفس تمنحاً رضواني

......فليس الإنسان العادي كالإنسان الكبير ، و إنما زلة العالِم زلـــةٌ للعالَم....، أي العَالَـــم الذين واره كلهم .

و لذلك فالعالِم دائما يراجع نفسه :

ليصحح فؤاده ....، و يجعل حبل وداده متـــصـــلا بحبيـــــب الله ، و مصطفاه ...، و يخرج بالكلية من حظه و هواه ....، و لا يسمح لهـــم بالعودة أبدا إلي يوم أن يلقي الله....

......لأن أول شرط للصالحين و المتقين :

ألا يكون لهم هوي إلا لله و رسوله . أما الذي مازال له هوي في المال ، أو هوي في فلان ، أو هوى في هذا المنصب ، أو هوى في أمر من أمور الدنيا ، أو أمور الظهور ، أو أمور المشيخة ، أو غيره،...: فهذا يحتاج إلي أدب جم كبير ، حتى يصير علي منهج البشير النذيرﷺ.

نسأل الله ...:

أن يعمنا بعطاياه..... ،

و يفتح لنا أبواب قربه و نجواه...،

و يجعلنا نتابع ظاهرا و باطنا بالكلية حبيبه و مصطفاه... ،

و يدخلنا في عباده أهل الفتح الأعظم من أهل القرب من حضره الله..،

و يفتح لنا ، و يفتح بنا ، و يفتح علينا ، ...فتحا مبينا.....

و صلي الله علي سيدنا محمد ، و علي آله و صحبه و سلم .

حقيقة "بشر مثلكم"(*)

لَمَ يقول الله ﷻ لسيدنا رسول الله ﷺ :" **قل** "؟

أي : قل لهم :" **إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ**".

صحيح أن المثلية هنا ، ليست معناها المشابهة :... لأن بعض الناس من قصار النظر ، قالوا : بشر مثلكم ... يعنى في الأعضاء ، والملامح ، والتقاطيع ، وهذه الأشياء ....

لكن المثلية هنا ليست من هذا الباب...!!: لكن "**مثلكم**" : أي : مثلكم جميعا ...... يعنى: أنا بمفردي.... مثلكم جميعا !

.......وهذا الذي فسرته الأحاديث الصحيحة ، عندما يحكى بنفسه سيدنا رسول الله ﷺ ، أنه عندما كان عند السيدة حليمة ـــ رضي الله عنها –وعنده أربع سنوات– :

وجاءه أربع من الملائكة ، وأضجعوه ، وشقوا صدره إلى منتهى عانته ، وأخرجوا قلبه ، ووضعوه في طست من ذهب ، وأخذوا منه حظ الشيطان ، وغسلوه بماء زمزم ، ثم ردوه مكانه ، ثم قالوا –وهذه هي الرواية الصحيحة– :

{ زنوه بعشرة من أمته ، قال : فوزنوني فرجحتهم .
قالوا : زنوه بمائة من أمته ، فوزنوني فرجحتهم .
قالوا : زنوه بألف من أمته، فوزنوني فرجحتهم .

(*) كان هذا اللقاء بمقر جمعية الدعوة إلى الله بالمجفف يوم ٥ من ذي القعدة ١٤٢٥هـ الموافق ١٧من ديسمبر ٢٠٠٤م .

قالوا زنوه بعشرة آلاف من أمته ، قال : فوزنوني فرجحتهم . فقالوا : دعوه ، فلو وزنتموه بأمته كلها لرجحهم }.

وإذا كان الصديق يقول فيه ﷺ :

{ لو وزن إيمان هذه الأمة ، بإيمان أبى بكر ، لرجحت كفة أبى بكر } [٤]

فما بالك بمن هو سبب في إيمان الصديق ، وكل صديق إلى يوم الدين ؟

سيدنا رسول الله ....

فالمثلية هنا يعنى مثلكم جميعا......

.......فلما قال له ربنا :

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ [الآية(٦) فصلت].

كأن الله ﷻ يقول له ......: قل :

إن كان يوحى إليّ ......، فأنتم لكم نصيب في هذا الوحي ....،

وهو الإلهام ....،

فإن الله جعل لكل منكم حظا ونصيبا في الإلهام من الله ﷻ.

---

(٤) رواه البيهقى عن عمر بن الخطاب

وصف الإلهام

والإلهام : هو التلقي مباشرة من الله ، بلا كتاب ، ولا سماع ، ولا سبب ،.... سر قول الله ﷻ في العبد الرباني :

﴿ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الآية(٦٥) الكهف].

......والإلهام ، إذا تفضل الله به على عبد .....:

أكرمه بحقائق من المعاني العلية... ، ونعّمه بالأسرار القرآنية... ، وفهّمه فحوى السنة النبوية... ، وجعله على حال قويم من الله ﷻ.

من أنواع الإلهام

والإلهام أنواع كثيرة.....، لا عد لها ، ولا حد لها...:

......منـــها على سبيل المثال :

الإلهام عن طريق الملك ، وقد قال بعض الصالحين :(لكل عبـــد ملـــك يلهمه وشيطان يوسوس له) ، وفى روايـــة **"لكل عبد ملك يلهمه ويسدده"** .....وهذا تجده على القلب : والقلب يتلقى الخـــواطر ، وكأنه مثل شاشة التليفزيون ..... القناة المفتوحة : يظهر إرسالها علـــى الشاشة ، فإذا كانت القناة المفتوحة : هي قناة الطاعـــة ، ....فالـــذي يرسل الخواطر هنا ....هو الملك ....

ما هي الخواطر التي يرسلها الملك لنا كلنا... ؟
يلهمني بعمل الخير ، لأن أي شخص يعمل الخير على أي أساس يعمله ؟ بناءاً على إلهام نزل في قلبه ......،
مثال ذلك : أن أُلهم..... أنني أحج هذا العام ، فهذا ليس فكـــر ...، ولكنه إلهام ، أو إلهام بأن يبنى مسجدا.... ، أو إلهام بأنه يقوم الليل.... ، كل هذا إلهام ...... ، من الذي يلهم الإنسان ؟
الله.... : لكن عن طريق الملك... لأن الإنسان لا يحتمل أن يتلقى الإلهام من الله ﷻ مباشرة....، ومن هنا قال الأنصار رضي الله عنهم :
اللهم لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدقنـــا ولا صلينـــا
ما اهتدينا !..... هذا شئ طبيعي ، .....لأن الهدى هدى الله ، ..لكن : ولا تصدقنا ولا صلينا... لمَ...!! ؟
لأنه من الذي يلهم الإنسان : أن يتصدق ، أو يـــصلى ، أو يعمـــل أي عمل صالح ؟ الله ....أيضا عن طريق الملك ...
وهذه قال فيها الله ﷻ:
﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا فَأَلْهَمَهَا – وهذا هو الإلهام – فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾[آية (٧و٨)سورة الشمس].
ولم يقل الله..: "ألهمها فجورها أو تقواها "... لكن الاثنين..: لأن الاثنين يترلان مع دائرة القلب....
لأنه لو قال: " فجورها أو تقواها " يصبح التقى ...: تقيا أبدا ، وليس له أي نصيب من الفجور ، ....ولماذا سيحاسب ؟
هنا يكون ليس له حساب لأنه ليس له جهاد .

والفاجر هنا أيضا .....يكون فجوره مستمرا.، وأيضا إذن لماذا يحاسب ؟.....! لكنه يعطى الاثنين.....، وأنت تميز ....!!!

إلهامات الله للصالحين

فالإلهام : إما عن طريق الملك....، وإما عن طريق الله ﷻ مباشرة...، والذي يأتي عن طريق الله :

إما بالنفث في الروع ، مثلما قال سيدنا رسول الله في حديثه :

{ إن روح القدس نفث في روعي أحبب ما شئت فإنك مفارقه ، واعمل ما شئت فإنك مجزى به ، وكما تدين تدان}[٥]

هذا عن طريق النفث في الروع .

وإما عن طريق الله ﷻ مباشرة ، وهذا لأهل المقامات العالية ، والمنازل السامية ، ....الذين يرثون مقام.....:

﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾

[آية (٦) سورة النمل]،

وهذا مقام سيدنا رسول الله ﷺ........، وإما وراثة....:

﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾

مقام اللدنية : هو التلقي مباشرة من الحضرة الإلهية .

(٥) رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط وأبو نعيم فى الحلية عن على

وهذا مقام خاص لأهل الإختصاص ، وقد يكون الإلهـام عـن طريـق حضرة النبي ﷺ ....، ففيما روى عن أبي ذر قال :

{ ما ترك رسول الله ﷺ شيئاً مما صبّه جبريل وميكائيل — عليهما السلام — في صدره ، إلا صبّه في صدري }[٦]

ما هذا ....؟

الهام من الله لرسول الله ....، ومن رسول الله للعبد..... عـن طريـق رسول الله ﷺ .

وهذا أيضا قد يكون : ....إمدادا غيبيا من باب قول الله ﷻ ، على لسان نبي الله يعقوب عليه السلام :

﴿ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الآية(٨٦) يوسف].

لأنه يكلم أولاده ، ويقول لهم :

أين البث الذي أرسلته لكم... المباشـر والغير مباشـر ؟... أيـن ذهب ؟... ضـاع كله وقتلتم أخيكم !!

فاسمه :....البث ...... ما البث !!؟

هو خطاب الأرواح للأرواح . .....وهل بث الإذاعة ، أو التلفاز ، يراه أحد بالعين ....؟... كذلك الأمر.... :

فقد يكون بثا من الحبيب لمقرب غير معيب وحبيب. قد يكون مباشرا : بأن يرى الحضرة المحمدية مناما ، أو يقظة ، وتـشافهه ، وتكافحـه ، وتكلمه ، وتحادثه بأمور غيبية ، أو بأشياء علمية من الهبـات القدسـية للحضرة المحمدية .

---

(٦) رواه الطبراني

وقد يكون إمدادا باطنيا ، غيبيا ، ...من باب قول الله ﷻ:

﴿ كُلاًّ نُّمِدُّ هَـٰؤُلَآءِ وَهَـٰؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ﴾

[آية(٢٠) الإسراء].

وهذا هو الإمداد....:

أي المدد .... المهم كلام الله ....والمدد هنا من الله .

......لكن قال لحبيبه ومصطفاه.....:

﴿ هَـٰذَا عَطَآؤُنَا (معك كله) فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

[الآية(٣٩) سورة ص]

فالعطاء هنا مِنَّة ....وليس أجراً.. بل فضلاً... . قال رسول الله :

{ الله المعطى وأنا القاسم }[٧].

أي أنا الذي أوزع .... ، ماذا يوزع..!!؟

العطاءات الربانية ...، والإمدادات الإلهية...، بحسب التعيينات الربانية .

هل سيوزع من عنده.... !!؟

لا.... حسب ما يقول له ... يعطى العطايا ﷺ .

فهذه إلهـــامات ربانية .....عن طريق الحضرة المحمدية ،... قد تكون : غيبيـــــــة ، أو شهوديـــــــة .

---

(٧) رواه البخارى عن معاوية

الامدادت الملكوتية

وقد يكون الامداد ، ملكوتيا ..من عالم الملكوت الأعلى.

......إلهام ملكوتى ، يلهمه أهل السماء ، لأنه من السعداء :

يلهمونه علما ، أو يلهمونه حكمة ، أو يلهمونه أقوالا ، تكون كأنها السحر الحلال ، ......يقول فيها النبى ﷺ :

{ إن من البيان لسحرا }[٨].

وهى الكلمات التي تشد القلوب من الله شدا غريبا وعجيبا . لماذا ؟..

لأنها ...والكل.... من الله ﷻ.

......والعلوم التي يلهمه بها الملائكة الكرام : على حسب مقاماتهم ، وتعييناتهم ، ووظائفهم ، ....التي أقامهم فيها ربهم ﷻ...:

فإذا ألهمه الله ......عن طريق جبريل عليه السلام...: كانت علوما خاصة بأسرار الروح.

وإذا ألهمه الله ﷻ .....من ميكائيل عليه السلام ....: كانت علوما خاصة بالأرزاق الحسية ، أو الوهبية ، أو المعنوية.

وإذا كانت علوما خاصة من إسرافيل عليه السلام : كانت علوما خاصة بالحياة البرزخية ، والحياة الأخروية ، (لأنه موكل بالنفخ في الصور).

وهكذا ....:

كل ملك يجمّله ويمده... بما آتاه الله ﷻ من فضله وكرمه وجوده .

......وقد تكون الهامات نبوية ، من أنبياء الله ورسل الله السابقين :

---

(٨) رواه البخارى عن ابن عمر

وهذا يحدث للمقربين .
وإياكم أن تماروا ، أو تشكّوا في هذا الأمر.... إن لم تكونوا بالغيه !!
فإن هذا أمر في كتاب الله ، وفى سنة حبيب الله ومـــصطفاه ، .... رآه من رآه ، ....ولن يصل إليه إلا عبدٌ أوّاب....
ومن لم يصل إليه.... ،
فإياه...: أن يعترض ......؟؟، أو ينكر ......؟؟،
فيتزل عليه عقاب الله .
فإن كل ولى من هذه الأمة ....على قدم نبي من الأمم السابقة .
وعلى قدمه ....: يعنى يرث علمه ، وأحواله ، ويمده بما أمده الله عز وجل به من عطائه ونواله.
ولذلك سيدنا رسول الله ، بيَّن هذه الحقـــائق وقال :
{ ورأيت عيسى بن مريم عليه السلام ، فإذا أقرب الناس به شبهاً ، عروة بن مسعود } [9]
والكلام واضح وليس فيه فصال .
وقال صلى الله عليه وسلم :
{ إن الله ليُلين قلوب رجال فيه، حتى تكون ألين من اللبن ، وإن الله ليشد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة ، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل ابراهيم عليه السلام، قال " من تبعنى فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم" ، ومثلك يا أبا بكر كمثل عيسى ، قال " إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر

(٩) رواه قتيبة عن جابر

لهم فإنك أنت العزيز الحكيم" ، وإن مثلك يا عمر كمثل نوح ، قال " رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً" ،وإن مثلك يا عمر كمثل موسى ، قال " رب أشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم" }[١٠].

وقال ﷺ للإمام علي :

{ أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا وحي بعدي}[١١]

ويطول بنا الأمر ....لو أردنا أن نستقصي كل هذه التلويحات النبوية...

فنكتفي بهذا القدر ....

لأننا في مقام التلويح ....،

وليس في مقام البيان والتصريح ....

وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم

---

(١٠) رواه البخاري عن عبدالله بن عمر .

(١١) رواه أبو يعلى في مسنده عن عبدالله بن رواحه .

الباب السادس

مقامات الرجال عند الله

- الكمال ومقامات الرجال
- الرجال فى كتاب الله
- الحياة والمعيشة
- الحياة الإيمانية
- الرجل من ملك نفسه
- بداية العارفين
- جهاد العارفين للنفس
- يأتوك رجالا
- الفضل والإمداد
- الطهارة الكاملة
- أطوار الإنسان المعنوية
- مقام الفتوة
- صفاء القلوب

(*)الحمد لله ....،

.....الذي وفقنا من قبل القبل ، لاتباع سبيل هدايته ، والعمل لرضاه ، والصلاة والسلام على الإمام الأكمل ، والسيد الأجلّ الأعظم ، مقصد الأرواح ، ومصباح القلوب ، وفاتح خزائن الغيوب ، سيدنا محمد الحبيب المحبوب ....، وآله وصحبه وسلم.

إخواني وأحبابي ....:

بارك الله عَزَّ وَجَلَّ فيكم أجمعين ....

، تحدثنا فيما سبق عن أنواع النفوس...، وكيفية جهادها...، والخلاص من ظلمانياتها...، والتجمل بالنورانية ، والشفافية ، والأحوال العلية.

الكمال ومقامات الرجال

وهنا يرد إلى الذهن سؤال.....

......لم ركّز العارفون والصالحون على جهاد النفوس ، وأولوه عنايتهم ، وركزوا عليه في كل أحوالهم وأفعالهم وأطوارهم ؟

لأن العارفين يريدون أن يصلوا إلى مقامات الكمال، التي نادى عليها الله في كتاب الله ، والتى أثنى عليها الله فى من وصل إليها من رجالات الله ، من النبيين ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين.

(*) كان هذا الدرس بمقر الجمعية العامة للدعوة إلى الله بحدائق المعادى يوم الخميس ٢٦ من شوال ١٤٢٥هـ الموافق ٩من ديسمبر ٢٠٠٤م .

......فمن يطلب الكمال: لا بد له من جهاد النفس جهاد الأبطال.
......والكمال...:
أن يصل المرء إلى مبلغ الرجال ، الذين وصف حقيقتهم القرآن ، وبيّن أحوالهم بفعله وقاله النبي العدنان ﷺ .
.....نحن ، والعالم حولنا ، يُعَرِّفُ الرجل : بأنه مـــن طـــال جـــسمه ، واكتمل نموه ، ووصل إلى سن البلوغ ، أو تجاوزها بقليل . فإذا وصل إلى المدى في الطول ، واكتملت الأعضاء ، وظهر عليه علامات الرجولة الظاهرة الفسيولوجية في جسمه ، يقولون هذا رجل .
لكن الرجل ....في كتاب الله ، له تعريف آخر ، وله مفهوم مغاير ، وله حقيقة مباينة....:.

الرجال في كتاب الله

فالرجال في كتاب الله : خمسة ....منهم ....:
﴿ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٌ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَٰهُمۡ ﴾
[الآية (٤٦) الأعراف].
هذا صنف ....، والصنف الثاني.....:
﴿ رِجَالٌ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾
[الآية (٣٧) النور].

الصنف الثالث......:

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾
[الآية (٢٣)الأحزاب].

الصنف الرابع.....:

﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [الآية (١٠٨)التوبة].

الصنف الخامس.....:

﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا ﴾ [(٢٧)الحج].

......فأوصاف الرجال في كتاب الله :...

أوصاف معنوية ، وليست أوصافاً ظاهرة جسمانية ،.... بل صفات روحانية ، وأحوال نورانية ،..... إذا وصل إليها المرء – ولا يصل إليها إلا بجهاده لنفسه ، على شرع ربه ، متأسيا بحبيب الله ومصطفاه – فإنه يسلك في عداد هؤلاء الرجال.

......ولذلك كان الصالحون ـــ ولا يزالون ـــ يجددون للمريدين ميلاد حياتهم الإيمانية ، ببدأ تعرفهم على الله عَزَّ وَجَلَّ المعرفة اليقينية....

لأن لك ميلادان ....:

ميلاد الجسم ....: والكل يشترك فيه.... ، وميلاد الحقيقة الإيمانية ، التى تتلقى عن الله......: وهذا هو الميلاد الأعظم والأكرم.

ويقول فى هذا المعنى ، المسيح عيسى عليه السلام : (لن يلج الملكوت من لم يولد مرتين) ، ...أى مرة بالجسم ،....ومرة بالمعنى .

الحياة والمعيشة

فحياة الدنيا الظاهرة .... دخلناها جميعا ، منذ كنا نطفة فى أحشاء أمهاتنا ، .... لكن الحياة الإيمانية.... : لا يدخلها المرء إلا بعد الاستجابة لله وللرسول :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الآية (٢٤)الأنفال].

أما قبل الحياة الإيمانية ....فتسمى معيشة....

فالذى لم يرتق إلى الحياة الإيمانية "عايش" ....وقد وضَّح الله عَزَّ وَجَلَّ هذه الحقيقة ، وقال فى قرآنه عزَّ شأنه :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾
[الآية (١٢٤)طه].

فهى معيشة ....، وليست حياة ....،

وصاحبها عايش ....، يأكل ....، ويشرب ....، قد يكون :

﴿ يَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ ﴾ [الآية(١٢)محمد].

وقد يكون :

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ [الآية(١٧٩)الأعراف].

لأنها عيشة الأنعام ، وعيشة الكافر ، والنافر ، وكلهم مشتركون فى المعيشة.......

......لكن من هو الحى !!؟

الذى استجاب ، وأناب ، وفتح الله ﷻ له الباب ، وطالبـــه بتنفيـــذ شرعه ، ليكون من رجال هذا الرحاب :

﴿ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾

[الآية(٢٤) الأنفال].

......إذن هناك حياة إيمانية.....،

و...... معيشة دنيوية....: التى يعيش ، ويشترك فيها الكل...

لكن الحياة ......:

لا تكون إلا بعد الإستجابة لله ، وللرسول ، والعمل بشرع الله ﷻ.

وكان بعض العارفين يُسأَل : كم عمرك ؟...فيقول : ولدت منذ ستين سنة ، وعمرى خمس سنوات...، فيقولون له : كيف ذلك ؟....

فيقول : لأن عمرى ، منذ أن عرفت ربى ....، أما قبـــل معرفـــة ربى ، فهذا عليّ .....وليس لى.... . يعنى :...حسب حياته وعمـــره ، مـــن ساعة ما عرف الله ﷻ...

وهذه الحياة : التى فيها الهناءة ، والمسرة القلبية ، والحياة الروحانيـــة : التى أثنى الله ﷻ.عليها فى الآيات القرآنية .

......وعندما يحيا الإنسان الحياة الإيمانية : يرتقى فى درجـــات الرقـــى الروحانى ، أطوارا ...، وأحوالا....، يبدأها منذ طفولته الروحانية...، يعنى يضع نفسه : مثل طفل...، والطفل... كيف يتغذى؟

يعتمد أولا : على ثدى الأم ، إلى أن ينمو ويشب . ويُفْطم عندما تطلع له القواطع والأسنان ....فيأكل....، وكذلك الأمر.

الحياة الإيمانية

فالحياة الإيمانية بداياتها الصحيحة ....:
أن يتعرف المرء على ....."أم كتاب"..:
أى ...: رجلٌ جامعٌ ... بفضل الله ، وكرم الله... لحقائق الكتاب.
فيسقيه من الكتاب :
شرابا طهورا :..... شرابا من العلم ، وشرابا من الحال ، وشرابا من الفهم ،..... يطهر نفسه ، ويصفى قلبه ، ليصلح بالرقى فى مقامات القرب عند ربه عز وجل .
وبغير هذا الشراب...: فإن النفس تلعب بالإنسان ، وتسخره لأهوائها وحظوظها وشهواتها ، وتلعب به : حتى لا يتمكن فى مقام الوقوف بأدب العبودية ، بين يدى حضرة الرحمن عز وجل.

ولذلك أشار الله عز وجل ...إلى : "مقام الطفولة الروحانية" ، وعلاماتها وأوصافها ، فى الصادقين ، والسالكين إلى رب البرية ....:
ما علاماتها ؟
شدة العزيمة .... ، وقوة الإرادة .... ، والأخذ بالحق.....:
﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾
[الآية(١٢) سورة مريم] .
سيدنا يحى :...كان يحكم دولة نفسه ـــ لأنه لم يحكم حتى فلسطين التى كان يعيش فيها ـــ لكنه أخذ حكم نفسه.

وهذا هو...الرجل...عند الله عز وجل...:
الذى ملك نفسه ،.... لكن الذى ملكته نفسه...: لا يستطيع أن يطيع ربه كما ينبغى ، أو ينفذ شرعه كما يريد.
......لأن النفس لها : هفوات ، وبدوات ، ووساوس ، وهواجس ...ربما تجعله يظن أنه قد وصل إلى مقام كمال الولاية ، ويهبط فى طرفة عين وأقل ....إلى مقام البعد عن الله عز وجل :
﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا ﴾
[الآية (١٧٥) الأعراف].
وقد وصل هذا الرجل ، إلى مقام : صار يُستَشفى فيه بدعائه ، ويطلع على اللوح المحفوظ ، ويتلو منه ،.. لكنه لم يتمكن.. فى معرفة نفسه .

الرجل من ملك نفسه

ولا يكون الرجل ، رجلا.....حتى يحكم نفسه...!!
......وعلامة أنه قد استوى :
﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمًا وَعِلۡمًا ﴾
[الآية (١٤) القصص].
......وهذا هو الحكم الأول....، وهو حكم مملكة نفسه.
فبداية الحياة الروحانية :

أن يترل الإنسان إلى مقام المجاهدة : بقوة العزيمة ، وصلابة الإرادة ، ولا يلتمس لنفسه عذرا : فى أمر من أمور الله ، وفى سنة من سنن حبيب الله ومصطفاه . فإنه لو سمح لنفسه بالأوزار ، ودخل فى باب الأعذار ، تولى إلى الجهة الأخرى ، وأصبح ....وليس له فى مقامات العارفين نـــصيب ولا قرار.....

لأنه بدأت النفس تضحك عليه ....!!

......ولذلك قال إمامنا أبو العزائم رضي الله عنه :

(من كانت بدايته محرقة كانت نهايته مشرقة) .

ومحرقة ...بمعنى :

أنه يأخذها بالشدة :.... والشدة ليست علـــى غـــيره –كمـــا يفعـــل الجاهلون ، حيث يشتد أحدهم على غيره ، ويرفق بنفسه – لكن الشدة : ...تكون على النفس.......:

﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الآية(٢٩) الفتح].

فالشدة على الكفار....،

وكذلك الشدة على النفس....:

لأن النفس ...: لا تستقيم على المنهج القويم ، خلف الرؤوف الرحيم ﷺ إلا بالعزائم الماضية ...، والهمم العالية ....، والتطلعات الراقية .

بداية العارفين

ولذلك نقرأ ، ونسمع ، عن أحوال العارفين ....فى هذه البدايـــة العجب العجاب.....:

......فسيدى أبى الحسن الشاذلى ﷺ ، عندما أراد أن يكون ذا مقام عند الله ، قالوا له :

لا بد لك من العارف....، وكانت همته عالية ، فقال:

لا أتبع إلا قطب الوقت ....وليس أى عارف.

فأخذ يبحث عن القطب...، وكان فى تونس ـــ ببلاد المغرب ـــ .

وقيل له : إن القطب فى المشرق...، فجاء إلى مصر ...ماشيا!!.

فقيل له : إن القطب فى العراق...، فسافر إلى العراق ، فقابل الـــشيخ أبو الفتح الواسطى ﷺ –خليفة سيدى أحمد الرفاعى– .

فقال له : جئت تبحث عن القطب هنا ، والقطب عندك فى بلاد المغرب ، وهو الشيخ عبدالسلام بن بشيش ، وموطنه فى جبل فى تـــونس ، فى مكان كذا.... فقطع المسافات ماشيا على أقدامه مرة أخرى ..!!.

انظر يا أخى ....إلى العزيمة ، وإلى قوة الإرادة ، وإلى الصلابة فى طلب الصالحين والعارفين ..... لأنها هى سر بلوغ المنازل للراغبين والطالبين .

ووصل إلى تونس ....، وذهب إلى مكان القطب ....، وكان فى أعلى الجبل ....، فصعد إليه ......

فأول ما رآه قال :

أنت عليّ ، بن عبدالجبار ، بن كذا ، بن كذا ـــ وأوصـــل نـــسبه إلى رسول الله ﷺ ـــ يا عليّ ...!...جئت إلينا :...فإذا تجردت من نفسك ، ومن علمك ، فستفوز بغنى الدنيا والأخرة.

لكن انزل إلى عين الماء التى فى أسفل الجبل ، وطهر نفسك....

فنزل ، واغتسل ، وطلع ....، فقال : انزل وتطهر...!!

فنزل مرة أخرى ، وصعد ...، فقال: انزل وتطهر...!!

قال:... ففكرت ، وتدبرت... – لأنه علـــم أن هـــؤلاء القـــوم ، لا يخاطبون الألواح ، ولا الأشباح ...وإنما يتكلمون بلغة خاصة للقلـــوب والأرواح !... ولا بد لمن يسمعهم : أن يكون لّماح... فلو أخذ الكلام على ظاهره فقط.... وقع ..– فعلمت أنه يريد غُسلا غير ما فعلت!.

قال : فاغتسلت ...من علومى ، ومعارفى...ثم صعدت إليه .

فقال له : اغتسلت..؟ قال : نعـــــــم .

ثم أعطاه المنهاج ، الذى يبلغ به المراد ، ويصير رجلا عنـــد الله ﷻ ، والرجال عند الله قليل......:

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمۡ ﴾

[الآية (٢٤) ص]،

﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾

[الآية (١٣) سبأ].

فالكفور كثير..... لكن الشكور قليل ....

جهاد العارفين للنفس

فما هو جهاد سيدى أبى الحسن الشاذلى للنفس ، كى تطــامن ، وتخضع ، وتسلم القياد ، وتصير طوع أمره ، ورهن إشارته ، يفعل بهــا كل مراد...؟... لمن ؟
للمنعم الجواد ﷻ ، لأنه ليس له مراد فى نفسه .
......مكث فى الجبل ، سبع سنين ، يتعبد لله ﷻ .
وأهم من العبادة ....أنه خرَّج نفسه من العادة... ، وأخــذها بطريــق الزهادة....مع العبادة...!! فمنع عنها الشهوات ، ومنعها من الحظوظ ، والأهواء ، والملذات ، .....حتى أنه مكث السبع سنوات : لا يأكل إلا الأعشاب التى تنبت فى البرية.... لماذا ؟
كى تسلِّم النفسُ.... لأنها هى العقبة الكئوود ، وهى الحجــاب بــين الإنسان .....وبين بلوغ رضا الرحمن ﷻ.
......والحكايات فى هذا المجال يطول سردها ، وليس عنــدنا وقــت لشرحها ، لكن المهم أنه لا بد من الجهاد .....
......وإن كان الجهاد ....جعله أئمة العارفين ــ فى عصرنا ــ مــشابها لما كان يحدث مع أصحاب حضرة النبى فى زمانه:
فليس عندنا من يخرج إلى الصحراء ، ولا إلى الجبال ، ولا إلى الخلوات ، ولا من يجعل لنفسه خلوة فى بيته يجلس فيها ، ويترك ما كلف به مــن قبل الله ، ويجعل هذا هو الجهاد الأعظم.....
بل الجهاد الأعظم :

أن يقوم بما عليه : لزوجه ، وأهله .وبما عليه لعشيرته ، وأقاربه.
ومع ذلك يجاهد نفسه ....لتسلم له ، حتى يصفو قلبـــه لربـــه عَزَّ وَجَلَّ ، وهذا هو الجهاد الأعظم ....:

﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ ﴾ [الآية (٧٨) الحج].

......ولذلك مولانا أبو العزائم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأرضاه ، سأله بعض المريدين : أن يأذن له فى خلوة صنعها فى بيته ، ليدخلها : ويتعبد الله فيها.

فقال له رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "ليست الخلوة أن تجلس بين جدران أربع ، والـــدنيا فى صدرك ، ولكن الخلوة : أن يخلوا قلبك مما سوى الله ....، فتكـــون فى أى موضع ، ولو فى السوق : مع الله جلّ فى علاه"،

هذه هى الخلوة تطهير القلب من السوى، أى مما سوى الله عَزَّ وَجَلَّ .

يأتوك رجالا

قول الله تعالى :

﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً ﴾ [(٢٧) الحج]

......فالحج : أى القصد ...، والآذان لم ينته..!!

ولكنه ما زال إلى يوم الدين.....

والقصد : إما قصد إلى عظيم...وهو البيت الحرام .

وإما قصد إلى العظيم.....وهو الله عَزَّ وَجَلَّ ، وهذا هو القصد الأبلغ.

وفرق بين من يقصد عظيما.... ومن يقصد العظيم ، الـذى يـستحق التعظيم سبحانه وتعالى.

فمن يقصد الله ﷻ ، يسمع النداء ممن نفخ الله ﷻ فيه من روحـه ، وأمره أن يؤذن فى قلوب الطالبين والراغبين : ليجذبهم من عالم اللطف إلى ملكوت رب العالمين ﷻ

:﴿ يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ ﴾ [الآية(١٥) غافر].

فإذا استمعوا إلى الآذان ، جاءوا رجالا :

يعنى فى مقام الرجال ، وليس المعنى اللغوى.... راجلين أى ماشين .....، لكنهم رجال فى : العزيمة والإرادة ، والقوة ، والفتوة.

وفى هذا يقول مولانا الإمام أبو العزائم ﷺ:

يؤذن ابراهيم يسمع من لبى .... فيجذب قول الفرد مصطلما صبا

فالذى يؤذن ، هو الذى وصل إلى مقام الخلة فى زمانه ، وأعطاه الـنبى ﷺ هذا المقام ، فيؤذن... فيسمعه المريدون والراغبون بآذان قلوبهم...، فينقلبون إليه ، ليوصلهم إلى ربهم ﷻ ، ولذلك قال الله ﷻ....:

﴿ فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾

[الآية (٣٧) ابراهيم].

وليس إلى البيت..: لكى يملئون هذه الأفئدة.. ببضاعة الله ،وحب الله ، والرغبة فى قربه ورضاه ، والإقبال الدائم لنوال معيته ، أو الوصول إلى عيون كنوز رحمته ، أو الرغبة الأكيدة فى النظر إلى وجهه وطلعته ﷻ.

فإذا فقهنا الخطاب .... سارعنا إلى الجواب.....:

﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ ﴾

أم يأتون إلى البيت ...؟..يأتوك أنت..!!

ولذلك فسيدى أبي الحسن الشاذلى رضي الله عنه ، عندما كان يمشى.، كان يأمر مناديا ينادى أمامه.: من أراد قطب الوقت ، فعليه بالشيخ أبي الحسن.

فسألوه ...؟ فقال : هذا ليس عنى، ولكن هذا أمر من ربى عز وجل .

فلا بد أن يعلن عن نفسه ، وإن لم يعلن... كيف يغدوا إليه الناس..؟.

وأذن فى الناس بالحج... يعنى القصد إلى الله الأعلى.

يأتوك : وليس إلى البيت...، يأتوك رجالا.

وعلى كل ضامر :... أى جسد ضامر ، من جهاد النفس ، وطوى الجوع ، والصيام...... يأتين من كل فج عميق... لماذا ؟

ليشهدوا منافع لهم...، خصهم بها ربهم عز وجل .

لأن لكل رجل منهم....: مشاهد لا تلوح إلا للواحد ، بعد الواحد.

فليست مشاهد واحدة ، والكل يتمتع بها ويراها...، لكن الله جلَّ فى علاه.....من وسعة نعمته ، ....ومن كرم عطاءه الذى لا يحد :

لا يكرر نعمه ، ولا عطاءه لأحد ، من بدء الدنيا إلى منتهاها.... وإنما يعطى لكل رجل من رجالاته ، عطاءاً خاصا به ، أفرده به ربه عز وجل ، ووسعة الله ...، لا نهاية لها.....:

﴿ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ

مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الآية(٢٨)الحج].
الذى يحتاج إلى طريق الله...، وإلى من يأخذ بيده... ليوصله إلى مـــولاه ﷻ ، فهو فقير... إلى هذه البضاعة ،.... ويحتاج إلى هذه الإكرامات الإلهية ، ليحبُوه الله ﷻ ...بمنازل القرب من رب البرية ﷻ.
والآذان هنا يعنى البلاغ...، أى يبلِّغ عن الله ، شارحا لكتـــاب الله ، أو عن رسول الله ، مبيِّنا لسنة حبيبه ومصطفاه .

الفضل والإمداد

وهى لمن استجـــــاب وأنـــــاب :
﴿ لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ [الآية(١٨) الرعد].
......يبلغه الله ﷻ بالجهاد ، والفضل ، والجود ، والإمداد...
فالجهاد لا يوصل بمفرده.... إلا إذا تعطف الله ، وتحنن ، ونظر إلى العبد ، فنقله بفضله... من الظلمات إلى النور....، وأخذه بيده مـــن عـــالم الغرور إلى ملكوت عالم النور....:
﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [الآية(٢٥٧)البقرة].
والظلمات هنا : كثيرة.... يخرجهم من الظلمات إلى النور.
والنور : نور الواحد ﷻ .

......فلا بد من الجهاد ... ، ولا بد من الاستمداد من المنعم الجواد ..
فليس الجهاد بمفرده يوصل...، ولا الاستمداد ـــ بغير نية الجهاد يجعل المرء يحصّل ـــ ،..... وإنما ينوى ويجاهد فى الله عَزَّوَجَلَّ .

فيمد يده إليه :

لينتشله من أوحال التوحيد ، ومن عالم الفناء ، ومن الحظوظ والأهواء ، إلى عالم الفتح ، وعالم النور،.... وعالم لا يستطيع الإنسان أن يصل إلى ما به من غامض النعماء ، ومن سابغ الآلاء ، التى يغمر الله بها عبـــاده الصالحين والأولياء .

حتى يصل إلى حال ، يكون باطنه مع ربه ....وظاهره مع الخلـــق ....، فلا يشغله الخلق عن الخالق : لأنه يتناول كل أمر ، وكل شئ ، بنـــور حضرة الخالق عَزَّوَجَلَّ ،.... وهذا مقام :

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾
[آيـــة (٣٧) النور].

ولم يقل : " الصلاة "...لكن قوله : "إقام الصلاة" :...لأنهـــم يـــصلون الصلاة التى فيها روحانية ، ونورانية ، واتصال بحضرة الله جلَّ فى علاه.

وهؤلاء لا يغيبون عن ذكر الله : فى البيع ، ولا فى الشراء ، وكـــذلك وهم فى السوق ، أو فى العمل.

لأنهم كما قالت السيدة رابعة –رضى الله عنها– عندما دخلـــت هـــذا المقام مخاطبة الله جلَّ وعلا:

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثـــى .... وأبحت جسمى مـــن أراد جلوسى
فالجسم مـــنى للخـــليل مؤانس .... وحبيب قلبى فى الـــفؤاد أنيسى

الطهارة الكاملة

وهذا لا يأتي إلا بعد مقام الطهارة الكاملة :
﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ﴾ [آية (١٠٨)التوبة].
......ليس فى ظواهرهم فقط (من النجاسات الحسية) :
لكنهم يطهِّرون...:
الظاهر من النجاسات الحسية....،
ويطهرون : نفوسهم ، وقلوبهم : ...من النجاسات المعنوية ، التى تحجب المرء عن الجمالات الإلهية ، وعن الأنوار الربانية...:
﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [سورة المطففين].
......وهذه هى الطهارة فى هذا الباب:....
......طهارة تحتاج إلى استنارة... ، وإلى استدارة بالكلية إلى الذات العلية ، حتى يستطيع الإنسان أن يمحق من فؤاده كل ما سواه... فإذا وصل إلى هذا المقام أكرمه الله ﷻ ، فجعله من أهل مقام الأعراف:
﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَـٰهُمْ ﴾
[الآية (٤٦) الأعراف].
فيدخل فى علم آخر ...، وهو علم ربانى روحانى....،
اسمه علم السيمياء...: الذى يقول عنه الله فى القرآن....:
﴿ تعرفهم بسيماهم ﴾، ويقول عنه فى القرآن لورثته :

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [سورة الحجر].
وهم الذين يعرفون الناس بسيماهم ، أى يعرفون الحقائق الباطنة .
وقد قال الإمام أبو العزائم رضي الله عنه فى هذا المقام :

فنى من شاهد المجلى ... ونال السرّ وارتاح
وغنّى بالحقائق من ... رأى الأشباح أرواح

وقال أيضا رضي الله عنه واصفا هذه المراقى :

السالكون طريق الخوف أبطال ... والواصلون بنور الفضل أبدال
للسالكين جهاد دائم ولهم ... خوف بهم عن سوى محبوبهم مالوا
زهدوا ففازوا بتوفيق وصحّ لهم ... لصدقهم نور ما عملوا وما قالوا
هم فى جهاد وفى نسك لأنهم ... على السوابق من هماهم جالوا
سهروا الليالى فى ذكر يؤرقهم ... خوف الجلال فلما صابروا نالوا
نالوا الهداية والإقبال فانشرحت ... صدورهم لم يكن للقوم أثقال
خفوا فخافوا فكان الخوف داعيهم ... إلى الجنان وفى الجنات إقبال
والواصلون بفضل الله قربهم ... به إليه وللأبدال أحوال
آنسوا به حيث كانوا فى معيته ... لم تلههم جنة نفسا ولا مال
رأوا جمالا عليا عن منازلة ... يخفى على العقل والتوضيح إجمال

أطوار الإنسان المعنوية

عندما ننظر إلى أطوار الإنسان المعنوية ، التى يتقلب فيهـا حـتى يصير رجلا عند رب البرية...، نجدها هى، نفس الأطوار الجسمانية من ناحية التسمية ، وإن اختلفت فى المعنى ، والمراد.

......فالطفل عند الله ﷻ هو الذى يرى أنه ليس له حول ، ولا طول ، ولا قوة ، إلا بالله.... ويلجأ فى كل أمر ، وفى كل شدة ، وفى كل هم ، إلى مولاه.......:

فإذا كان الطفل الصغير ، كلما أهمّه أمر ، يجرى إلى أمه...، فكـذلك الطفل فى طريق الله..: هو من يرتمى فى أحضان مولاه على الدوام.

......ولكى يكون فى مقام الصبوة..:

لابد أن يأخذ الكتاب بقوة،... والكتاب ...يعنى الشرع:

﴿ يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ ﴾ [الآية(١٢) مريم].

فالكتاب هو الشرع .....: حتى يكون قويا بالعمل فى شـرع الله علـى نفسه ، وليس على غيره .

فسيدنا رسول الله ﷺ ....:

كان من حكمته البالغة ، أنه كان يأخذ نفسه بالأشد ، ويـأمر غـيره باليسر ،..... وهذا نهج الدعاة الصادقين فى كل زمان ومكان: فتجـد الرجل منهم شديداً على نفسه،.... وييسِّر لغيره ، حتى الموجودون معه ، كأولاده وزوجته.....

ولذلك فسيدنا الإمام على قال :

(لا تحملوا أولادكم على أخلاقكم فإن لهم زمان غير زمانكم).
فينبغى أن تأخذهم باللين ، واليسر ، والسهولة ، وتحببهم فى ديـــن الله وفى الله ﷻ .
فالدين يطالب الإنسان أن يأخذ نفسه بالأشد...، ويأمر غيره باليسر...، فالإسلام دين :
﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الآية (٣٨) الشورى].
فيأخذ بالعمل بشرع الله بقوة:
﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة مريم].
ولذلك فصل الله ﷻ هذه الآيه ... ما الحكم الذى آتاه الله ؟
حكم نفسه....، وما الذى يأمره الله أن يأخذه بقوة ؟
الكتاب وما معنى الكتاب ؟ ...فصَّله فى وصية لقمان لابنه :
﴿ يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [الآية(١٧)لقمان]
ولم يقل : " صلِ "... ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ...أى جاهد نفسك ....، وتطهَّر فى سرك ....، وفى باطنك ....، حتى تقـــيم الـــصلاة ..... ، وتكون الصلاة ، كما قال مولانا الإمام أبو العزائم ﷺ:

أقيم صلاتى إن تجردت عن نفسى ... فأفنـــى به عنى بمشهده القدسى
لديهـــــا يواجهـــنى بوجه مقدس ... أكون أنا عرش التترل والكرسى

......هذه هى الصلاة :
صلة بالله ﷻ ....، محادثة ...، ومكالمة... ، ومؤانسة بينك وبين مـــن يقول للشئ كن فيكون...:

﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾، يعنى تأمر نفسك ، ﴿ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ ...أيضا أن تنهى نفسك ، فإذا انتـــهت..: فانه غيرك ...،وأمر غيرك : (**ابدأ بنفسك ثم بمن تعول ثم الأقرب فالأقرب**)، لكن آمر غيرى...واترك نفسى...، هنا أدخل فى قول ربى:

﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [آية (٢و٣) سورة الصف].

﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [آية (١٧)سورة لقمان].

مقام الفتوة

فيأخذ بعزائم الأمور كلها ، ليبلغ درجة الفتوة....

......فإذا أخذ بعزائم الأمور ، وأفنى نفسه فى جهاد ، لا يعرف الكلل ولا الملل، طمعا فيما عند الله...، ورغبة فيه جلّ فى علاه...، وليس فى شئ سواه..، أعطاه الله قوة من عنده...، ورحمة من عنده...، وزاده الله حتى يبلغ إلى مقام الفتوة...، ويدخل فى قول الله:

﴿ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدًى ﴾ [١٣،الكهف].

......سيدى أبو العباس المرسى ﵁ ، لما قرأ على أحبابه قول الله:....

﴿ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾
[الآية (٦٠) الأنبياء]

قال : إنما الفتى من كسّر الأصنام.......

أى لا يبلغ العبد درجة الفتوة : حتى يكسر أصنامه المعنوية ، وهى التى ينشغل بها بالكلية عن الذات العلية.

......فكل شئ يشغلك عن الله شغلاً تاماً....:

فهو صنم، يجب أن تحطّمه ....، وتكسّره ....، لينفرد قلبـــك لله ﷻ ،

......وهذا الذى عناه الحبيب ﷺ فى قوله ....:

{ تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار، تعس عبد الخميصة، تعس عبد البطنة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش } [1]

أى أن هذا لو دخلت شوكة فى رجله ، لا يجد ملقطا يلتقطها به لماذا ؟

لأنه انشغل عن الله ﷻ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الآية (٩) المنافقون].

وذكر الله هنا: هو سيدنا رسول الله ﷺ، ولذلك قال الله ﷻ فى قرآنه:

﴿ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ – يعنى فاسعوا إلى سيدنا رسول الله ﷺ – وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [آية (٩)الجمعة].

﴿ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [٩، المنافقون].

---

(١) رواه البخارى عن أبى هريرة

......ولذلك أصحاب رسـول الله ﷺ ورضـى الله عنـهم ، وهـم الأنصار، لما التفوا حوله ، وعضدوه ، وأيدوه ، واشتغلوا بـدعوة الله بالكلية ، وفتحت الفتوحات ، وجاءت الغنائم والخيرات ، جلسوا مـع بعضهم ، وقالوا : لقد استقرت الأمور لرسول الله ، وأصبح دين الله فى الجزيرة العربية كلها ، فهلم بنا ، لنـذهب إلى أرضـنا ، وتجارتـنا ، وزروعاتنا ، لكى نصلح شأنها ، وإذا بالله عز وجل يترل قوله:

﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الآية (١٩٥) البقرة].

أى طالما أنت عاهدت الله على أمر :... فإياك أن تنقض العهد ، وحذارِ أن تغير ، أو تبدل ، لأنه عز وجل قال :

﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ [آية (١٠)الفتح].

......سيدنا أبو بكر –وهو الإمام لنا فى هذا المجال– وكـان سـيدنا رسول الله ﷺ ، جهز جيشا ليذهب إلى بلاد الروم ، وبعـدما لحـق بالرفيق الأعلى ، ارتد كثير من العرب ، فقال بعض أصحاب رسول الله لسيدنا أبو بكر :

أبقِ بعث أسامه لكى يدافع عن المدينة.....

فانظروا إلى قوة المتابعة...، والمسارعة فى العمل بما يحبه الله ...،

لقد قال رضي الله عنه :....

تريدونى أن أغير عقدا عقده رسول الله ﷺ ، والله !!.....لو تخطفـتنى الطير ،...ولو أكلت السباع زوجات النبى ﷺ ، ...ما غيرت بعـث أسامه ، وذلك لأنه شئ ....رسول الله فعله .....

فهم رجال،... وقد وصلوا إلى مقام الرجال...، لماذا ؟
لأن الرجل منهم ....لا يبدل ، ولا يغير أمرا عاهد عليه حبيب الله ومصطفاه ﷺ.
......وقد قال الشيخ سليمان الدارنى رضي الله عنه — وهو من أئمة الصالحين فى بلاد الشام — :" كل ما شغلك عن الله ....من : أهل ، أو مال ، أو ولد ، أو غيره ،.... فهو عليك مشئوم "".
......خلِّ الله على بالك.....: تجد الدنيا كلها جاءت لك،... لأن الله عز وجل ...قال فيها ...ولها.... :**(من خدمنى فاخدميه ، ومن خدمك فاستخدميه)** .
فعبد الدنيا : عبد لحظه وهواه... ، وهذا يخرج من الدنيا خاوى الوفاض.... ، لأنه انشغل بها عن مولاه عز وجل .
......فالذى يريد أن يكون فتى فى طريق الله...، وبين يدي مولاه...:
لابد أن يحطم كل ما يشغله عن الله ، فى داخله ومن نفسه :
.....فإذا كانت نفسه تميل إلى الطعام ...، وتتفنن فيه ...، وتريد أن تأكل أصنافا وألوانا من الطعام..... :
فلا بد له أن يحارب هذه الشهوة ، ويجعلها ترضى بالإدام :
{ بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه }[٢] .
......وإن كانت نفسه مشغولة بالملابس.... ، والرياش...:
يقول لها — كما قال الرجل الصالح — : أريد ثوبا يخدمنى ، لا ثوب أخدمه..... أى شئ يستر العورة فقط.

---

(٢) رواه النسائى وابن حبان والبيهقى عن المقدام بن معد يكرب

صحيح : أن الله جميل يحب الجمال...، لكن لا ينبغى أن أنشغل بهـــا عن الكمال ، والذى يجب أن أبحث عنه من أنوا ع الجلاليب :
هو لباس التقوى :.... ذلك خير ، فذلك الذى أبحث عنه ، وأتـــسربل به ، ظاهرا وباطنا ....
......وإذا نفسى شغلتنى بزوجتى...:
فأنا أريد أن تكون معى فى الجنة ، ولا تبعدنى عن المنة ، وعن الله عَزَّ وَجَلَّ ، فآخذها فى رحابى ......
......وهكذا الأمر فى كل شئونى .

صفاءالقلوب

فلابد للعبد أن يفرّغ القلب لله ،
......ومن الذى يريد الله ، ويتمتع ويحظى بجمال ، وكمال الله ، وينظر بعين من الله يعطيها له الله...... إلى كمال وجه الله؟
كلنا جميعا.......،
وما السبيل إلى ذلك ...!!؟

فرّغ القلب من سوانا ترانا ... يا مريدا جمالنا وبهانا

.....تفريغ القلب لله هو الفتوة....، و الفتى : هو الذي يكسر الأصنام المعنوية " كالحظ ، و الهوى ، و الشهوة ،.....

و أعظم هذه الحظوظ لمن أراد أن يكون من الرجال:
حظ اسمه صنم الهوى.....!!..... ولكى تصير رجلا ينبغى ، ألا يكون لك هوى إلا ما يحبه الحبيب ﷺ، قال ﷺ:

{ لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به }[3].

وهؤلاء الرجال فى مقام ، يقول فيه الله ﷻ :

﴿ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ﴾
[الآية(٥٤)المائدة].

وما علامتهم .....؟
ما أشار إليه الصحابة بقولهم .....:
أخذ علينا رسول الله ﷺ العهد أن ننصح لكل مسلم ....
وقد قال ﷺ أيضا :

{الدين النصيحة ، قيل لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم }[4].

وقد قال فى ذلك سيدنا عمر رضي الله عنه وارضاه :.....
تركنى الحق وليس لى صديق .
......فالذى لا يريد النصيحة فهو شيطان ، والإمام أبو رضي الله عنه قال فى الحكمة : إن أبيت نصيحتى فأنت شيطان.
فالذى لا يحب النصيحة شيطان ، لكن العبد المؤمن يقول:... رحم الله امرئ أهدى إلي عيوب نفسى.

---

(٣) رواه الخطيب عن ابن عمر
(٤) رواه أحمد عن أبى هريرة

فالدين النصيحة.
وعلامة الرجل الحق : أنه لا يخشى فى الله لومة لائم .
......فالمجتمع المصغر الذى نعيش فيه ، لكى ينصلح شأنه وأحواله، لازم ننصح بعض ، بمثل : أنت يا فلان أخطأت فى كذا...، والآخر يتقبل...، وأنت يا فلان يكون الصح كذا... وهكذا ......
......سيدنا رسول الله ﷺ رأى سيدنا أبو ذر ، يقول لسيدنا بلال :.. يا ابن السوداء ، فقال له النبى ﷺ:
أتعيره بأمه !، إنك امرؤ فيك جاهلية.
فالمخطئ يشعر بالخطأ حتى يصلح نفسه..، فإن كنت حريصا على أخيك: فلا بد أن تبين له خطأه حتى يصلح شأنه،...وإلا فإنه سيأتى يوم القيامة ويمسك بتلابيب عنقك،.... ويقول:
يا رب خذ لى حقى من هذا ، فيقول الله تعالى:... لماذا ؟
فيقول : إنه رآنى أفعل كذا..، ولم ينهنى .. ، وتركنى.
فما كان من أبى ذر، إلا أن ذهب إلى بلال ....ووضع خده على الأرض...، وأقسم عليه : أن يضع قدمه على خده... لكن سيدنا بلال كما علمهم حضرة النبى –وكان نور النبوة فى جوانحهم وفى صدورهم– وضع قدمه ...برا بقسم أخيه : فوق رأسه بمسافة على الهواء ، ولم يضعها على خده مباشرة . وهذا غاية الأدب والذوق الرفيع.
......وهكذا ....فإنهم كانوا ينصحون اخوانهم دوما.
فالمجتمع بلا نصيحة.... لا ينصلح شأن أهله...، فما بالك بفصول المتفوقين ، والراغبين فى الكمالات عند رب العالمين ؟!!

لازم كل واحد منهم يصلح شأنه....

......**والمؤمن مرآة المؤمن**...، وهذا نص الحديث وليس أخيه .

فالمؤمن مرآة المؤمن ، أى يرى نفسه فيه.... ويحاول أن يتشبه به فى كل حركاته ، وسكناته :...... لكى يصل إلى مقامات الكمال ، والقرب ، والوصال من الله ﷻ ، ولكى يبلغ مبلغ الرجال .

وإذا أراد أن يصل إلى هذا الكمال....: فلا يستحى أن يقول لأخيه المخطئ:.... أخطأت ، إذا أخطأ.

......سيدنا رسول الله ﷺ كان يقول:

من جلدت له ظهرا، فهذا ظهرى فليستقد منه، ومن أخذت منه مالا، فهذا مالى فليأخذ منه.

وكان أصحابه رضى الله عنهم :....يتعلمون منه هذه الدروس العملية.... ليصلوا إلى الحياة التقية ، النقية ، الهنية.......

......لأن الذى يخطئ ...!ولم يقل له أحد : أنت أخطأت..! حتى ولو بعد فترة...!... يحدث له استكبار ، وعظمة : أن يقر بخطأه ، ويتمادى فى غيه...... والسبب فى ذلك : من حوله ، الذين لم ينصحوه.

لكن أخيك : هو الناصح الأمين الذى ينصحك ، إذا أخطات ، وبأمانة حتى تصلح شأن نفسك ،.... فتزيد قربا عند ربك ﷻ .

.....وهذا هو حال كمل الرجال من الصالحين فى كل زمان ومكان .

......فإذا أكرم الله هذا العبد ...بهذا العطاء : أعطاه الله نورا فى صدره ، وسرا فى قلبه ، وعطاءا فى روحه ، وفتحا فى سره ، فيصير كما قال الله.....:

﴿ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ ﴾ [الآية (٤٦)الأعراف].
لا ليتباهوا ...،....أنهم يعرفون الناس ،..... أو ليفتخروا بأنهم يعلمون ما فى صدور الناس ..... لا هذا ...، ولا ذاك .....:
لكن لتنبيه الناس إلى الخبايا ، والخفايا ، التى تحجبهم عن القرب من الله ، وعن العطاءات الإلهية ، والمنن الربانية ، لمن أراد...!!!
......ولذلك فالبعض يتساءل:... لم لا ينصحنى الصالحون ؟
فنقول له : فتش فى نفسك .....:
ربما ليس لك مقصد إلا مقاصد دانية دنيوية... فلا تصح النصيحة،
وربما أطغاك الحظ والهوى ، فجعلك لا تستمع إلا لمن يحبذ لك ، ويحببك فى هذه الأمور الدنيوية....!!
وماذا يقول لك الصالحون وأنت فى هذا المجال ؟!!
لكن الصالحين ينصحون الذين يطلبون بقلوبهم ، وليس بألسنتهم ...وجه ربهم عز وجل ،....
......وهذه هى مهمتهم : أطباء للقلوب ، وحكماء للأرواح .
يأخذون المريد الصادق ، كما قال سيدى أبى الحسن الشاذلى رضي الله عنه عن تلميذه النجيب ــ أبى العباس المرسى ــ :
أبو العباس يأتيه البدوى ، يبول على قدميه – أى لا يعرف كيفية الاستنجاء والتطهر–..... فيمكث عنده ثلاثة أيام...، فيصير عارفا بالله عز وجل ....من الذي طوى له هذه المسافات ...؟
همة المريد.....!!، وليست همة المرشد .
قال الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

لو نظـــرة من وارث يحيـــا بهـــا كـــل امرئ متشوق يـــــــرآه
ياربنـــا بالـــبـــدر نور جمالكـــم طـــه انلنا قربـــه ورضـــــــاه
وامنح محمد ماضيا راح الصفـــا حتى يذوق بـــــرشفة معنـــــاه
وأفض على الإخوان من أنـــواره وأدم ســـرور الكـــل يـــا ربـــاه
والسالكين طـــريقنا ومن انتـــمى فامنحه يا غوثاه ما يهـــــــواه

نسأل الله عز وجل ....
أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه....،
وأن يفتح لنا فتحا مبينـــــا.......،
ويهدينـــــا صراطـــا مستقيمـــــا.......،
وينصرنا على أنفســـــــنا نصـــرا عزيـــزا.......،
وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

الباب السابع

تذوق حلاوة الطاعة

- حلاوة الطاعة
- السبيل إلى لذة الطاعة
- أسباب فقدان حلاوة الطاعة
- لذائذ أهل الإيمان
- مشاهد الإيقان
- منازل العارفين فى العبادات
- مقام الدلال مع الله

تذوق حلاوة الطاعة

كيف يصل المؤمن إلى مقام يتذوق فيه حلاوة الطاعة لله ؟ (*)

الحمد لله رب العالمين...،
نعَّم عباده المتقين بلذة طاعته...، وآنس قلوبهم بنوره والوصل بحضرته، سبحانه سبحانه ...إذا ملأ تجاويف قلوب أهل الإيمان ، وجدوا لـــذلك لذة وحلاوة ،دونها كل شيء صنعه بنى الإنسان .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،
خص عباده المؤمنين بحقائق معنوية ، ولذات قلبية ، ومؤانسات روحانية ، وإلهامات قدسية:.... جعلتهم وهم في الدنيا معنيون بقوله عز شأنه :
﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[١٣، الأحقاف]
وأشهد أن سيدنا محمدا ، عبد الله ورسوله ...،
جعل الله ﷻ قرَّة عينه في الصلاة...: لما يتمتع فيها ، وبها ، من أنوار حضرة الله.... ومن تنزلات فضل الله.... ومن لذة القرب من مـــولاه جلَّ في علاه ....
اللهم صلى وسلم وبارك على من كان إذا أفزعه أمر.....:
فزع إلى الصلاة...، حتى يكون مولاه بجانبه...، ولا يتخلى عنه نفسا..، في كل شأن : سيدنا محمد ...إمام الأوابين ، وسيد الراكعين والساجدين ، والقطب الأعظم للخاشعين لله ، من بدء الدنيا إلى يوم الدين....

(*) كانت هذه خطبة الجمعه بمسجد النور بحدائق المعادى – القاهرة – يوم ٢٧ من شوال ١٤٢٥هـ الموافق ١٠من ديسمبر ٢٠٠٤م.

صلى الله عليه ....
وعلى آله المباركين ،....وصحابته الطيبين...،
وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الديـــــن ....،
أما بعد .
فيا إخواني .....جماعة المؤمنين :-

حلاوة الطاعة

كلنا والحمد لله ، أكرمنا الله بطاعته....،
وأعاننا لنقف بين يدي حضرته....، وقوَّانا بتوفيقه ، ومعونتـــه ، علـــى ذكره .. وشكره .. وعبادته .....
......لكننا جميعا ....نطمع لأن نصل إلى مقام ...نتذوق فيـــه حـــلاوة الطاعة، ونحس فيها عند الصلاة ، أو الصوم ، أو الزكاة ، أو الحج ، أو أي طاعة لله... نحس فيها بأننا حقيقة بين يدي الله.....،
وأننا ننادى قريباً ، ....من مقام قريب.....،
.....كما كان أصحاب النبى ﷺ ورضى الله عنهم أجمعين ، فهـــذا عباد بن بشر رضي الله عنه ، يأمره النبى ﷺ هو وعبد الله بـــن مـــسعود ، أن يتناوبا الحراسة لجيش رسول الله في الليل ، حتى يطمئن الجيش وينـــام ويتفاوض عباد مع رفيقه ، فيقول له:
إما أن تنام أنت في الثلث الثاني من الليل ، وتقوم الثلث الأخير؟ وإما أن أنام أنا الثلث الثاني من الليل ، وأقوم فى الثلث الأخير؟
فاختار عبد الله بن مسعود أن ينام في الثلث الثاني من الليل .

ووقف عباد بن بشر بمفرده يحرس هذا الجيش العظيم.
ماذا يفعل.....؟
توضأ....، ووقف بين يدي الله ...يناجى الله جلّ في علاه ..في الصلاة.
وكان جيش الأعداء يتربصون بالمؤمنين .... وجواسيسهم ينظرون من قمة جبل ....، فقالوا لهم : إن الجيش كله نائم !!، إلا رجلاً واحداً نراه يصلى . قالوا : فاقتلوه ، فإذا قتلتموه ، داهمنا الجيش وهو نائم ، فقضينا عليهم قضاءا مبرما .
فضربوه بسهم ، جاء في رقبته ، وهو في الصلاة ، فنزع السّهم ..!وواصل الصلاة . ثم ركع ، فضربوه بسهم في ظهره ، فنزع السهم بيده وواصل الصلاة.... مع أن دمه ينزف...!!
وهو في سجوده ، ضربوه بسهم في مقتله.... فلما تحقق أنه ميت ..لا محالة ، وكز عبد الله بن مسعود ، وهو في الصلاة....ولم يخرج منها... ليوقظه... وأكمل الصلاة.
فلما استيقظ عبد الله ...ورأى حالته... قال :
يا أخي لَمَ لمْ توقظني من أول وهلة ...!!!؟
قال : والله..! لولا أني خشيت على رسول الله ﷺ ومن معه ، ..ما أيقظتك .....!. قال ولم ....؟
قال : من شدة الحلاوة التي كنت أجدها في قلبي وأنا في الصلاة..!!
......حلاوة ليس لها نظير...! ولا مثيل....!ولا ينفع فيها الأقاويل...، وإنما تحتاج إلى دليل .... تحتاج إلى برهان ....يدخل فيها أهل الإيمان ، فيتذوقون حلاوتها من يد الرحمن عزَّ شأنه..!!

......هذه الحلاوة ، هي التي جعلت عروة بن الزبير رضي الله عنه، عندما مشت في رجله القرضة ، وقال له الأطباء :
لا بد من قطع الساق ، وإلا مشت في كل عظام الجسم ....
ولم يكن هناك بنج ، ولا مخدرات موضعية أو كلية ....، بل كان يمسك بالرجل أربعة رجال أقوياء أشداء...!!، ليتمكن الأطباء من أجراء العملية الجراحية ......فأرادوا أن يجروا له العملية بهذه الكيفية.
فقال : ما هذا ؟ قالوا : حتى نقطع قدمك ..ويسلم باقي الجسم....
وكانوا يقطعون القدم ...ثم يغلون زيتا في إناء ...ويضعون الجزء الذي لم يتم قطعه في هذا الإناء ...حتى يتوقف نزيف الدم ....! فقال :
وما حاجتي إلى هذا ؟....قالوا : إذاً كيف نقطع رجلك وساقك ...؟
قال : دعوني أصلي لله....، فإذا جلست إلى التشهد الأخير... ، فاقطعوا ساقي في هذه الحالة ، فإني في الصلاة .....لا أحس بشيء إلا بقرب الله جل في علاه.....
فقطعوا ساقه وهو في الصلاة....!، ووضعوها في الزيت المغلي ...! ولم يشعر...! ولم يتألم...! ولم يشكُ...! ولم يتوجع....!!
لأن قلبه كان مع مولاه... ، فانشغل بالله عما سواه تبارك وتعالى.
......هذه اللذة ...يطول المجال في سرد رواياها عن الصحابة الاجلاء ، وعن الصالحين من بعدهم ...إلى يومنا هذا ..،وهو أمر وارد ، ويقول فيه الله جلَّ وعلا:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾
[آية (١و٢) سورة المؤمنون] .

السبيل إلى لذة الطاعة

......كيف نصل إلى هذه المنزلة...؟ ونتذوق لذة الطاعة..؟ ونُحِسُّ بحلاوة القرب من الله... عند أي عمل صالح نقدمه إلى الله ﷻ ؟

......تعلمون يا إخواني ...:

......أن طب الأجسام كطب القلوب والأرواح...

فإذا كان إنسان مريضا بالحمى...، ووضعنا له عسلاً فيه شفاء للناس ..في فمه...: فبما يشعر.. ؟ كيف يجد حلاوة العسل... ؟

يجد للعسل في فمه مرارة...!!، فإذا أعطيناه سكراً ، يقول : أجد في فمي مرارة...!!، فإذا أعطيناه جاتوهاً ، أو حلوى يقول: في فمي مرارة ...!! من أين هذه المرارة ...؟

من الداء الذي سكن في جسمه...، ومن المرض الذي ظهر أثره في فمه. لكن الإنسان إذا كان سليماً من الأمراض ، فإنه يتذوق طعم الأشياء ويحس بحلاوة طعمها.

......ولذلك ...: فإن الحجاج الثقفي ، كان يمشى في البادية في يوم ، وصنع طعاما ، وأمر برجل بدوي مرّ به ...أن يأتي إليه ، ودعاه ليتناول الطعام معه...... فقال الرجل : دعاني من هو خير منك فأجبته.

فقال : ومن هو خير مني ؟

فقال الرجل : دعاني ﷻ فأنا صائم.

فقال : إنه طعام حلو.

فقال : لم يطيبه طاهيك..، ولم تطيبه أنت...، وإنما يطيب الطعام العافية.

......فإذا كان الإنسان معافاً...: كان الطعام طيبا في فمه...، ولو كان طعاما زهيدا..!!.

أما إذا كان سقيما ، أو مريضا..: فيكون الطعام في فمه لا يجـــد لــــه : طلاوة ، ولا حلاوة ، ولا نكهة ..، مع أنه طعام عظيم ...وكريم...!

لأن الذي يتذوق الطعام : هو الجسم السليم...

......وكذلك الأمر يا عباد الله...:

......إن الذي يتذوق طعم الإيمان ....وحلاوة الإيمان ....: هو القلب السليم ، الذي أفرد الله بالتعظيم ، وأصبح صاحبه بين يدي الله مقيم ، ولا يتوجه في كل أموره إلا إليه،... ولا يرجع في أي أمر أو شـــأن إلا إليه ، وهذا الذي يقول فيه الله عز شأنه:

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الآية (٨٩) الشعراء].

أسباب فقدان حلاوة الطاعة

والذي يمرض القلب ....، ويجعله لا يشعر بحـــلاوة الطاعـــة ...، أمران ....أو شيئان :

......شئ للإنسان في نفسه....،

أو شئ للإنسان مع خلق الله تبارك وتعالى .....

......أما الذي يجعله يفقد حلاوة الطاعة في نفسه :
أن ينشغل بالكلية ....بالـــدنيا الدنيـــة ، وزخارفهـــا ، ومـــشتهياتها ، وغرورها ، ومناصبها ، وأحوال أهلها ،.....
ويجعل الشغل بهؤلاء : أهم ، وأعلى في قلبه... من الشغل بحضرة مـــن يقول للشيء كن فيكون....،فيجعل الله في المحل الأدنى – حاشا لله – ، ويجعل أكبر همه ، ومبلغ علمه : الدنيا ، والسعى إليها ، والحظـــوظ ، والشهوات ، وتناولها ،
فهذا يعميه الحظ ، والهوى ، ويجعله مريضا مرضاً قلبيا... يقول فيه الله:
﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾[الآية (١٠) البقرة].
......وإذا مرض القلب ، لا يشعر بحلاوة الإيمان ، ولا لذة طعم الإيمان ، لأنه بعيد عن الرحمن ﷻ.
هل معنى ذلك ، أن يترك الإنسان الدنيا وهذه الأشياء ...؟
كلا ...!!!....ولكن يجعل لله المحل الأعلى....!!!
ثم بعد ذلك ما يشاء من الدنيا ، والزوجات ، والأولاد ، والأهـــواء ، لكنه ...يصبح ، ويمسي ، وأكبرُ همِّه...:
أن يرضى ربه ﷻ. ، وأن يسعى لإقامة شريعته...، وأن يعمل جاهدا على تنفيذ فرائضه....، وأن يقيم نفسه دائما بين يديه ....
حتى ولو كان في بيع ، أو شراء: فإنه إذا كان في البيع والشراء ، يسير على الشريعة الغراء...، وينفذ الملة السمحاء في البيع والشراء...، فإنه يكون مع الله....، والله يواليه بطعم الإيمان....، كما وعد المـــؤمنين في كل زمان ومكان .

......الأمر الثاني الذي يبعد الإنسان عن لذة الطاعة :

......أن يملأ القلب نحو بنى الإنسان : إن كان إخوته ، أو شقيقاته ، أو جيرانه ، أو زملائه في العمل ، أو إخوانه في الحي أو المسجد ......: بالحقد على هذا ، والحسد لهذا ، والبغض لهذا ، والكره لهذا ، ويريد دائما ويفكر دائما في كيفية إغاظتهم ....، والطريقة المثلى لنرفذهم.... وكيف يجعلهم – كما يقولون – ..."يلفون ويدورون حول أنفسهم"... بالشكايات إلى كافة الجهات ....؟

مثل هذا، كيف يذوق لذة الإيمان....؟

وقد شغل نفسه ...، وقلبه بخلق الله...!!، ولم يفرد قلبه لله...، كما طلب مولاه جلَّ وعلا ....

......من أراد أن يذوق لذة طعم الإيمان، فعليه أن يعمل بقول الرحمن :

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [الآية (٤٧) الحجر].

......وقد لخص الحبيب البشير النذير ﷺ.... روشتة نبوية صغيرة : فيها بلوغ هذا المراد :

......فقال ﷺ .....في من أراد أن يتذوق طعم الإيمان وفقط :

{ ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبيا ورسولاً }[1].

---

(١) رواه مسلم والإمام أحمد عن العباس بن عبد المطلب

.......وقال في من علت همته ، وسمت إرادته ، وأراد أن يجد دائما حلاوة الإيمان ...ولا يتذوقه فقط .....:

{ ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار }[٢]

......أو كما قال.....

......ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ......

الخطبة الثانية

......الحمد لله رب العالمين ....

الذي وفقنا وهدانا ، وجعلنا بشرعه عاملين ، وبسنة حبيبه ﷺ آخذين ،

......وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له....

يعزُّ عباده المتقين بعزِّه ، ويغنيهم بفضله عن الخلق أجمعين ....

وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله ، الركن الركين ، والسيد السند العظيم ، يوم الموقف العظيم ، لكل مؤمن كريم .

اللهم صلي وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وزدنا من هداه ، ورقنا حساً ومعناً ، حتى ترفع عنا الحجب... فنراه ، واجمعنا عليه في جنة المأوى.... في رحابك أجمعين..... يا ألله .

إخواني وأحبابي ، جماعة المؤمنين.....:

......إن المؤمن لو ذاق لذة القرب من مولاه....، ووجد حلاوة الطاعة

---

(٢) رواه أحمد عن أنس بن مالك

في قلبه وصدره في طاعة الله...:
ضحى في دنياه بكل شئ في سبيل الحصول على رضى الله....،
وجعل وقته كله لمولاه....، وكان في نعيم يقول فيه الإمام الجنيد رضي الله عنه :
نحن في لذة لو يعلم الملوك ما نحن فيه لحاربونا عليه بالسيوف !!!.
......هذه اللذة ....هي لذة القرب....
......تصور يا أخي ....:
......عندما تحس حساً ملموساً ، معنويا قلبياً ، روحياً نورانياً :
......أن الله معك...!،...وأن الله يواليك بلطفه....!،....ويقويك بقوته....!،.....وأن الله عز وجل يحوطك بعنايته...!،...ويكفلك بصيانته....!،....ويتولاك في جميع أحوالك بولايته...:
كيف يكون شأنك ؟... وكيف يكون حالك ....؟
لا بد أن تكون في عزة !!..لا يستطيع أن ينالها أحد من الأولين ، و الآخرين، وهي التي يقول فيها رب العالمين :
﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[آية(٨)،المنافقون].
......نسأل الله عز وجل ......:
أن يعزنا بطاعته... ، وأن يقوينا على ذكره وشكره وحسن عبادته...، وأن يذيق نفوسنا طعم الإيمان....، وأن يوجد في قلوبنا حلاوة الإيمان....، وأن يجعلنا بكلنا دائما وأبداً في طاعة الرحمن....، وأن يجعلنا وأبنائنا وزوجاتنا وبناتنا من عباد الرحمن....: الذين ليس للشيطان عليهم سلطان.....

اللهم وفقنا في كل أنفاسنا لطاعتك.....، واجعل أوقاتنا كلــها رابحــة عندك يوم الدين........
واجعلنا من الذين إذا أحسنوا استبشروا...، وإذا أساءوا استغفروا....
واغفر اللهم لنا ولوالــدينا ، وللمــسلمين والمــسلمات ، والمــؤمنين والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات.......
إنك سميع قريب مجيب الدعوات يا رب العالمين ....
اللهم وفق قادة البلاد والعباد لسلوك طريق الرشاد........
وأصلح على أيديهم أحوال عبادك....، بشرعك ، وسنة حبيبك يا ألله.
اللهم أنزل سخطك وغضبك على اليهود والكافرين...، الذين يبارزون المسلمين بالعداوة في كل وقت وحين .... اللهم اسلب عنــهم مــدد الإمهال...، وأنزل عليهم سخطك وعقابــك في الحــال...، واجعــل المؤمنين في خير حال وأحسن مآل .... ،
عباد الله ....:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[آية(٩٠) النحل]

اذكروا الله يذكركم....، واستغفروه يغفر لكم....
، وأقم الصلاة .

لذائذ أهل الإيمان(*)

ما أنواع اللذات التي يشعر بها أهل الإيمان ....؟

......وكيف يستمتعون بها ...، و يحسون ...، و يشعرون بها...؟

......قلنا ....:...... أن اللذة يتذوقها القلب...!

......وكون يتذوقها القلب يعنى :

......أنها لذة معنوية...، وليست لذة محسوسة حسية....

وإن كان الأمر كما نعلم جميعا : أن أي لذة معنوية ، تفوق أضعاف أضعاف أي لذة حسية ،.... حتى اللذات التي يشترك فيها جميع البشر.

يعنى هناك لذات معنوية يشترك فيها البشر جميعا مثل :

السرور للإنسان ، لما يصل إليه خبر سار مفرح..، و خاصة إن كان أمرا لم يكن يتوقعه.. ، هذا السرور له مظاهره...: فيظهر على قسمات الوجه ما يدل من التقاطيع على أنه مسرور....

......لكن هل هناك من يستطيع ....أن يزن ؟ أو يقيس ؟ أو يكيف السرور الذي يشعر به هذا المرء ؟

لا يوجد. لا أحد من البشر ، ولا حتى من الأجهزة التي صنعها البشر ، يستطيع أن يقيس أو يزن هذه الحالة.....:.....التي قد يطلق البعض عليها :....لذة.....، أو يطلق البعض عليها:.... سعادة......

فإن كنا نقول :... أنها لذة ، لأن :....اللذة وقتية...!!!

(*) كان هذا الدرس بمقر جمعية الدعوة إلى الله بحدائق المعادى بالقاهرة يوم الجمعة ٢٧ من شوال ١٤٢٥هـ الموافق ١٠من ديسمبر ٢٠٠٤م.

أما السعادة فهي دائمة.....!!! ولذلك لا توجد سعادة إلا :
في رحاب الله ....، ....مع الله ....، أو في جنة الله ﷻ :

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ﴾

......فالسعادة الحقيقية لا تنقطع.....،
......لكن أي لذة أخرى..:
كلذة الطعام ، أولذة المنام ، أو لذة الشراب ، وأعلاها لذة النكـــاح ،
كل هذه اللذات تزول بعد زوال الأثر.....
لكن اللذة الدائمة..: هي السعادة...، وهذه لا تكون إلا :
مع الله في هذه الحياة :..... لمن أصلح الله شأنهم ، وأدخلـــهم معيتـــه
،.....أو في جنة الخلد ...﴿ خالدين فيها أبداً ﴾ لا نهاية لهذه اللذة.

وإن كان الله ﷻ أشار إلى الحالتين في الدنيا والآخرة في نفس الآية :

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ [الآية (١٠٨)هود]

.....والسماء والأرض هنا فقط..... !!،
لكن هناك يوم تبدل الأرض : غير الأرض والسموات.....!!
.....فهنا إشارة أن هذه اللذة والسعادة في الدنيا.....!!
وإذ قلنا :.... في الدنيا ....، فالجنة هنا : يقصد بها ....جنة معنوية...
.....لكن في الآخرة :.....جنة كاملة : ظاهرة وباطنة :
للأجسام ، وللنفوس ، وللقلوب ، وللأرواح ، ولكل الحقـــائق الـــتي
خلقها لنا وكونها فينا المليك الفتاح ﷻ ....: كل حقيقة تتمـــتع

بالكيفية التي أوجدها فيها الله ﷻ ..لتذوق هذه المتع : التي لا نهاية لها ، ولا عد لها ، ولا حصر لها...!!!!

.....لكن في الدنيا : ...الجنة معنوية.

.....والجنة المعنوية لا تدوم : إلا إذا كانت مع الحي القيوم.

لأن أى سرور بأي أمر غير الله منقطع :

فالذي سيسر بشهادة أكاديمية:... بعد حين سيجرد من هذه الشهادة . والذي سيسر بمنصب :.... فعن قليل أو قريب سيترك المنصب ، أو يتخلى عنه المنصب . والذي سيسر بزوجة :....قد يزول جمالها، أو يفنى بهاؤها، أو تذهب للقاء ربها ، أو يأتيه مرض ، أو يأتيها مرض يمنعه من تحقق المتعة بها.

.....هذا هو أمر الدنيا ..: فرح لا يدوم،....ولذة لا تستمر، فالذي يفرح بولد: قد يتبدل الفرح إلى نكد ، وقد يكون هذا الولد : هو سبب هذا النكد.

ولذلك قال ربي عز شأنه محذّرا من هذه الفتنة :

﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ ﴾[آية (١٥) التغابن].

......إذن أين اللذة الدائمة ؟

.....في معرفة الله ، .....والأنس بالله،....وفي السرور بما يتجدد على القلب من أحوال علية ..وخواطر نورانية يسوقها إليه الله ﷻ .

.....قد يكون في مكاشفات : يكاشف الله بها عين السويدا ، وعين القلب إذا طهرت من العناصر وانفتحت ، وكوشفت بالغيوب ، ميراثا للأنبياء والمرسلين ، ..فيكون العبد داخلا في قول رب العالمين :

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ هل بمفرده ؟ كلا ، ولكن هناك طائفة أخرى ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ [الآية (٧٥) الأنعام].

مشاهد الإيقان

إذن أهل الإيقان ....:

.....يفتح الله أعين بصائرهم..، وعيون سرائرهم..:

.....لـــيروا مشـــاهد الإيقـــان....:

وهى أنوار عليـة ......تلوح في ملكوت رب العـــالمين هـــؤلاء....، خصُّوا به ....دون غيرهم....!!!

.....وقد يكون الفرد منا مجالساً أحدهم ، وهو يرى !! ...وأنـــت لا ترى !!، لأن هذه خصوصية اختصه بها الله عَزَّ وَجَلَّ ، وجعلها له مزية.

.....قد تكون مواجهات ..:

يواجهه الله عَزَّ وَجَلَّ بها في نفسه ، وفى قلبه ، وفى روحه ....:

تارة يواجهه بالجمال...، وآونة يكاشفه بالكمال...، وأخـــرى يواجـــه نفسه بالجلال...، لتتخلى عما لا يحبه ولا يرضاه عَزَّ وَجَلَّ من الخـــصال. وهذه المواجهات عزت عن الكلمات..! بل لا تستطيع أن تبين شيئاً ولو قليلا جداً جداً من كنهها الإشارات !، لأنها من باب ذق ! تعرف !.

......وقد تكون تجليات ....:

تتجلى بها الأسماء والصفات...، أو تتجلى بها حضرة الذات...، أو تتجلى بها حضرة الهوية...، أو الحضرات الغيبية ....،أو الحضرات العرشية...، أو الحضرات العلية...: على الأرواح التقية..النقية..، التي يقول فيها الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

إن الرجال كنوز ليس يدريها ... إلا مراد تحلى من معانيها
في الأرض أجسامهم والعرش مقعدهم ... قلوبهم صفت والله هاديها
هم الشموس لشرع المصطفى وهموا ... سفينة الوصل بسم الله مجريها

......وقد تكون إكرامات ، وهبات ، وعطاءات ، ونفحات...:

يجود بها المنعم الجواد على قلوب الأصفياء..وأرواح الأتقياء ، ليبشرهم بقرب اللقاء ، فينعم عليه ببصيص من الأنوار ، يُكاشَف به بالأسرار ، ويدخل في قول النبي المختار :

{ اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله }[3]

......وقد يكون قدراً من العلم الإلهي ...:

يعطيه له بلا تعلم، من باب :

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ ﴾ [آية (٢٨٢) البقرة].

ينطق به فيحير الألباب !، لأنهم يجدون فيه كلاما لم يقرؤه !، ولم يطلعوا عليه في كتاب !، وربما يتساءلون من أين لك هذا ؟ فيقول من باب :

﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الآية (٦٥) الكهف].

---

(٣) رواه الطبراني عن أبي أمامه

......وقد تكون مؤانسات في مكافحات ، ومشافهات:

فيتحدث ويسمع......:

فإذا قال: الحمد لله رب العالمين ، يسمع بأذن الصفاء ، من عالم البهاء : **حمدني عبدي** .وإذا قال : الرحمن الرحيم ، يسمع بأذن البقاء ، من عالم الطهر والنقاء : **أثنى عليَّ عبدي** . وإذا قال : مالك يوم الدين ، سمع الله ...بصوت منـزه عن الصوت ، وعن الحروف ، وعن الجهات ، وعن اللغات ، وعن الكيفيات التي تعلمناها ودرسناها في هذه الحياة ،.... يسمعه بسمع ...في كل أرجاء مملكته... يقول : **هذا لعبدي ..!ولعبدي ما سأل....**

......وصاحب هذا المقام......:

......إذا التفت نفساً،

...... بأن تشغله نفسه بشيء من الدنيا أو سفاسفها...، أو مر على قلبه خاطر كوني...، تسمع العتاب الإلهي :... **(عبدي لمن تلتفت عنى ؟ هل هناك من هو أعظم عندك منى فتلتفت إليه عنى؟!)**

وهذا عتاب.... يذيب قلوب الأحباب...

......ولذلك عندما كان الإمام الحسن رضي الله عنه يجالس أقواماً ، وكانوا يتحدثون عما يجدونه من خواطر في الصلاة – وهى خواطر كونية أو نفسية – قال لهم:

إن الذي تتحدثون فيه لا أجده عندي ــ لا خواطر كونية ولا خواطر نفسية ولا مثل هذه الأشياء ــ ثم قال:

ولو وُجِدَ عندي...، لأن تنهشني السيوف والرماح..!!، أحب إلىَّ من

أن أجد هذا الشيء عندي .... لماذا ؟

لأنه كان مع الله....، وهذه وراثة....، لأن الإمام على رضي الله عنه وأرضاه ، سأله بعض خواصه :

كيف حالك مع الله ؟.... فقال:

عبد إذا سألت : أعطاني....، وإذا طلبت : لبّاني.....، وإذا سكت : افتتحني بالكلام....، وهذه المؤانسة في مقام :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾
[آية (١٢٨) النحل]

......فالتقوى هنا في مقام الإحسان ، وفيها يكون الله معهم دوما :

﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ ﴾ [الآية(٤) الحديد].

.....وقد تكون مؤانسة ، ومكافحة في مواجهة.....:

.....فيشهد ، ويرى ...بعين يهبها له الله.:

قبساً على قدره ، من جمال مولاه –وهو في الدنيا– وما ذلك على الله بعزيز.....

.....وهكذا أنواع وأصناف :

لا أستطيع سردها في أي باب من أبوابها ،.....

لقد ذكرت رؤوس الأبواب التي يتفضل منها الوهاب على الأحباب .

لكن سرد ما في داخل أي باب : من الهبات ، والعطاءات ، التي يتولى الله عز وجل توزيعها بذاته على أحبابه لحظة مناجاته......:

هذا أمر تعجز عنه جميع الأقلام......!!!!

بل لو كانت.... الأشجار كلها في الدنيا : أقلاما ...،والبحار كلها :

مدادا....، ما نفدت : عطاءات ، ولا هبات ، ولا مكافآت ، ولا منح الله جلّ وعلا لعباده المؤمنين.....، والتي قال فيها في الأمر العام :

﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [آية (٧٤) آل عمران].

منازل العارفين في العبادات

لكن باختصار شديد......:

......المقامات التي يمر فيها العارف ، والمريد ..في العبادات مع الحميد المجيد هي :....خمسٌ ......:

تكلـــيف.....، ثم تـــعريف.....، ثم تـــشريف..، ثم تصريـــف..، ثم عُـــبودة واجـــتباء..

.....فالإنسان يعبد الله أولا .....لأن الله كلّفه : كلّفـــنى بالـــصلاة ، وكلّفنى بالصيام..والزكاة..والحج ، فأعبده لأنه كلّفنى....

ولذلك نقول لمن ترك هذه العبادات ، وظن أنه وصل !! :

إياك أن تظن أنك وصلت إلى المراد ...ولكنك وصـــلت إلى ســـقر ..! والعياذ بالله عز وجل ...، لأن الله كلفك ..، فلا بد أن تتشرف بالعمل بما أمر ...، والإمام أبو العزائم رضي الله عنه يقول في هذا المقام :

ما غاب عنى حبيبي لكنـــــه كلّفنى　　فصرت بعد يقينى بالفضل قد عــرفنى
أنا بمن فى وجودى؟ من بالصفا أسعفنى　　تلك التكاليف رمـــز لّما بها شّرفنى

.....ولذلك سيدنا الإمام الجنيد رضي الله عنه ـــ إمام الصوفية الأعظم – قال : من ادعى إسقاط الأعمال ...فهؤلاء عندي أشر من الزناة والقتلـــة..!! لأن الزاني ، والقاتل يشعر بخطئه..ويندم عليه..، أما هذا : فإنه يبطـــل شرع الله ، والأحكام التي قضاها الله في كتاب الله...

وخاصة :.... إذا كان قدوة ...، ويقتدي به من خلْفُـــه ، ويتركـــون الصلاة ، زعما أنهم وصلوا إلى الله عز وجل .

.....فأول العبادات :.....**تكليف**....:

فإذا طهر المــرء نفـــسه وســـره...، وصـــفّى قلبـــه....، وعملـــها بمحبة..وخشوع..وحضور....:

.....صارت...:.... **تشريف**.....:

فشرّفه الله عز وجل بأنواره ، أو بعلومـــه ، و أســـراره ، أو بـــصفات حضرته ، أو بما لا يستطيع الإنسان وصفه من كنوز قدرتـــه ، وأفيـــاء حضرته وعظمته عز وجل....

أما .....**التعريف** ......:

فهو أن الإنسان لما يعمل التكاليف ، ويشرفه الله عز وجل ، بما قلنـــاه ..، فيفقهه الله حكمة الأحكام..:..فيعمل هذه العبادات ، بعد فقه الأحكام التي أمره الله بها .....فيعرف.....:

لماذا فرض الله الصلاة ؟ ولماذا جعلها خمساً ؟ ولماذا سمّاهـــا الـــصبح ، والظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء ؟ ولماذا كانت الصبح ركعتين ،

والظهر أربعة ، والمغرب ثلاثة ..؟ ولماذا الحج بهـــذه الكيفيـــة ..؟ ولم كانت الزكاة بهذه الأنصبة ، التي قدَّرها وبينـــها ، صـــاحب اللمعـــة النورانية والقبضة الإلهية...؟

فيفقه حكمة هذه الأحكام....، ومن أين يتلقى هذه الحكم ...؟

من الحكيم ﷻ،.

ففي مقام ...التعريف.... يتلقى من الحكيم :

﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ ﴾[الآية (٢٦٩) البقرة].

......ثم بعد ذلك .....يأخذ الله....:

قلبـــه ...إلى عالم الملكوت ......، وهو في الدنيا!!

وروحه ...إلى عالم الجبروت..وعالم العظموت..وعالم النعموت ......!!

وســـره ...إلى عالم اللاهوت.....!!

ونفخة قدسه.... إلى عوالم الحي الذي لا يموت.....!!

.....فيجول وهو في الصلاة....، أو وهو يتلو كتاب الله....: في عوالم باطنة ..، لا يستطيع الإنسان أن يصف شيئاً منـــها في هـــذه الحيـــاة ، تشريفا له من الله ﷻ،.....ثم يكرمه الله ﷻ بعد التشريف....:

فيعطيه **مقام التصريف**...:

وأين مقام التصريف في كتاب الله ....؟

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [الآية (٣٤) الزمر].

......أي يعطيه الله ما يريد ....!!

......بعض الناس يعترضون على الأثر الذي يقول ((**عبدي أطعني أجعلك عبداً ربانيا تقول للشيء كن فيكون**)) : أثـر وارد عـن بعض الصالحين ــ وليس في الأحاديث الصحيحة ــ لكـن معنـاه في الآية.... . لكنا لا نقول أنه حديث عـن سـيدنا رسـول الله ﷺ في صحيح الأحاديث ، وإن كان معناه صحيح ... في قوله سبحانه :

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾

وهناك آية أعظم من هذه ، في كتاب الله في العطاء والاجتباء :

﴿ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴾ [الآية (٥٧) يس].

.....أي كل الذي يدَّعوه.... يوافق عليه الله !!.

.....وهذا باب عظيم في الشفاعة .....:

.....فإذا قال لك : يا فلان اعمل كذا ، وسأضمن لك كذا ..عند الله يوم القيامة!... فهذا وعد ...سيصدق عليه الله .

وإن كان هذا الثواب ، لم يرد في صحيح الخبر والأثر..

لكن الذى يقوله ماشى ، فالمنحة التي يقررها... يوافـق عليهـا الله ، والعطاء الذي يطلبه.... يعطيه له الله .

لكنهم في هذا الحال : لا يريدون لأنفسهم ، ولا لغيرهم : حـالا ، ولا قالاً ، إلا ما يرضى ذي الجلال والإكرام ﷻ....، لأنهم مؤدبين غايـة الأدب مع حضرة الله سبحانه وتعالى.

......ولذلك من شدة أدبهم ....: يتركون مقام التصريف رغبة عنه ، وزهداً فيه ،..... : ليتأدبوا بآداب العبودة ، والعبودية بين يدي الله ،

......ولذلك كان المقام الأعظم .....**مقام العُبُودة**......

......والعبد ، وما ملكت يداه لسيده ومولاه.....، وهل العبد يستطيع أن يتصرف في نفسه ، أو في أي شئ في البيـــت..إلا بـــإذن ســـيده ؟

.....وكذلك العارف....:

.....لا يستطيع أن يتصرف في نفسه ، ولا في شئ في قلبه ، ولا في شئ في روحه ، ولا في شئ في بيته الحسي ، ولا شئ في استطاعته الظاهرة أو الباطنة ، إلا بإذن من الله ﷻ :

﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾[آية(٦٤)مريم].

......هذه لمحة عن بعض الإشـــراقات..الـــتي يتـــذوقها العـــارفون ، والصالحون في حلاوة المناجاة... ومن باب لذة الطاعة لله ﷻ...

.....لكن عوام المؤمنين : .....لهم أيضا مذاقات قلبية.......:

فيذوقون لذة الخشوع...، ويذوقون لذة الوجل...، ويـــذوقون لـــذة الخوف...، ويذوقون لذة الرجاء...، ويـــذوقون لـــذة الاســـتقامة...، ويذوقون لذة المودة الإلهية....

ويذوقون هذه اللذات على قدرهم.....،

وكلها من فضل الله...!!، والله ذو الفضل العظيم....!!

وصلى الله على سيدنا محـــــــمد وعلى آله وصحبه وســـــــلم .

مقام الدلال مع الله

سيدي أبو اليزيد البسطامي ﷺ ، كان في ساعة تجلـــى مـــع الله ﷻ ، والتجلـــى وارد....:.... " **أن الله يتجلى لعباده في الثلث الأخير من كل ليلة"** .

...... فالحق ﷻ قال له :...

لو أخبرتُ عبادي بحبي لك..:..لقتلوك...!!

فقال رضى الله عنه :....

ولو أخبرتُــهم بسعة رحمتك ...:..ما عبدوك..!!.

فقال :.... إذن لا تقولُ ...، ولا نقول.....

......**دلالٌ مع الله....،**

......والدلال مع الله...!! : يا هناء الذي يصل إلى هذا المقام...، لأن الذي وصل إلى مقام الدلال...، يقول في شأنه الحبيب الأعظم ﷺ :

{ إذا أحب الله عبداً لم يضره ذنب } [٤]

ومنهم أهل بدر جميعهم –الثلاثمائة والثلاثة عشر– ولذلك قال ﷺ في الحديث.....:

{ ربَّ اطلع الله على أهل بدر ، فقال لهم : اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم } [٥]،

فهؤلاء أهل مقام الدلال.. وأهل بدر : هم الذين باعوا الدنيا والأموال

---

(٤) رواه مسلم عن حاطب
(٥) رواه البخارى عن على

والأهل والأحباب في سبيل الزود عن حبيب الله ومصطفاه....، ولذلك وصلوا إلى هذا المقام .

.....ونحن والحمد لله بشرنا الله في القرآن ...وبصريح الآيات :

أننا سندخل إن شاء الله معهم ...في قوله سبحانه...:

﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾[(٥٤) المائدة].

وسوف للمستقبل.... من الذي سبق حبه ؟

هو سبحانه ...ولذلك قال:﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾....

......ولذلك كان سيدي مصطفى البكري ﷺ وأرضاه ، يقول في ورد السحر : (نسألك بحبك السابق في "يحبهم" ، وحبنا اللاحق في "يحبونه"...)، فهذه بشرى عظيمة ، لمن تمسك بالهدى الإلهي ، والنهج النبوي في هذا الزمان :... أن الله سيدخله في هؤلاء القوم.

والحبيب الأعظم ﷺ يقول في شأنهم :......

{ من أحيا سنتي عند فساد أمتي ، فله أجر مائة شهيد }[٦] .

وقال أيضا ﷺ :......

{ واشوقاه لإخواني الذين لما يأتوا بعد ، فقالوا : أو لسنا إخوانك يا رسول الله ؟ قال أنتم أصحابي . إخواني قومٌ يأتون في آخر الزمان..عمل الواحد منهم بسبعين منكم ، قال : بسبعين منا أو منهم ؟ قال بسبعين منكم، أنتم تجدون على الحق أعواناً وهم لا يجدون }[٧] .

---

(٦) رواه صاحب مشكاة المصابيح عن أبى هريرة والترغيب والترهيب عن ابن عباس

(٧) رواه البيهقى عن أبى هريرة

بشرى لنا اشتاق الحبيب لذاتنا ..... وتمنى يرآنا بقول صراح

......فالحمد لله....،

نحن في آخر الزمان....، لكن هذا فضل الله لنا....، وهذا شوق الحبيب لنا ..... فماذا نريد بعد ذلك ؟

لا نريد إلا أن نشكر الله على نعمه وعطاياه.....،

ويجعل كل رجل منا ، لنفسه وقتا لنشر دين الله......،

والعمل على تنفيذ تشـــــريع الله بين عباد الله.......،

ويحبب الله .. إلى خلق الله ، فإن الله أوحى إلى داود عليه السلام : **(يا داود ! من حبَّبَ خلقي إلىَّ كتبتُه عندي جُهْبُذا)** ، والجهبذ : يعني : العالـــم الكبير ، . الذي يأخذ الناس بالرحمـــة ، والمغفـــرة ، واللطفى، ليقبلوا على الله ﷻ ....

......نسأل الله ﷻ ....:

......أن يكرمنا بكرمه...،

......وأن يسعنا بواسع فضله.....،

......وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول ، فيتبعون أحسنه....،

......وأن يرزقنا صفاءاً في نفوسنا ....،

......وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

الباب الثامن

مراتب النفس

- مراقى النفس
- ميدان جهاد النفس
- المقـــام الأول : مقام النفس الأمَّـــارة
- المقـــام الثانى : مقام النفس اللـــوَّامة
- المقـــام الثالث : مقام النفس المُلْهَـمة
- المقـــام الرابع : مقام النفس المطمئنة
- المقام الخامس : مقام النفس الراضيـة
- المقام السادس : مقام النفس المرضية
- المقـــام السابع : مقام النفس الكامـــلة

مراقي النفس(*)

الحمد لله الذي أنعم على كل مؤمن كريم ، بمقام في الإيمان عظيم :
﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ ﴾ [الآية (١١) سورة المجادلة]
.....والصلاة والسلام على مرقى أرواح المؤمنين ، وسلم الوصل للمحسنين ، ومعارج القرب لجميع عباد الله الواصلين والعارفين والسالكين ، سيدنا محمد...وآله وصحبه أجمعين.

......موضوع جهاد النفس ، ذو أهمية بالغة لكل سالك ، ولكل واصل ، ولكل عارف ، ولكل متمكن.
وإن الصالحين والعارفين....أفنوا أعمارهم : في تحليل خلجات النفس ، وبيان أطوارها ، وتوضيح خفايا ما توسوس به فى الصدور ، وما تفعله في قلوب المتقين .. من خواطر إلهامية ، ومن أحوال ربانية.
وقد جعل العارفون مراقي السالكين : بحسب مراتب جهادهم للنفس.
......وجهاد النفس ... لا بد أن يكون ..:

- بأدوية من كتاب الله.....
- وأشفية من سنة سيدنا ومولانا رسول الله....
- وعلى يد حكيم ربانى ..وطبيب روحانى ، أُذِن بذلك بإذن صريح من سيدنا رسول الله ﷺ.

(*) كان هذا اللقاء بمقر الجمعية العامة للدعوة إلى الله بحدائق المعادى –القاهرة مساء يوم ٢ من ذى الحجة ١٤٢٥هـ الموافق ١٣ من يناير ٢٠٠٥.

......ولذلك نقرر بدءا ذى بدء....:
أن كل من يقرر علاجا للنفس ، يخالف شرع الله :
فهذا أمر شيطانى ، أو أمر نفسانى ، يخالف به المولى جلّ وعلا..!!
......إذن أول ما قرره العارفون فى جهاد النفس:
أن جهاد النفس : لا بد أن يكون بأدوية من كتاب الله ، وأشفية من سنة سيدنا ومولانا رسول الله ، استنبطها عارف مأذون، بإذن صريح من سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ ،.. وغير هذا الكلام لا نرضاه.

......وكل من يقرر جهاداً للنفس على غير الشرع الشريف، وعلى غير الهدى المحمدى الحنيف :
فهذا لهوى فى نفسه ، أو ضلالٍ مستكنٍ فى طبعه ، أو لعمى بحظه ، عن طريق شرع ربه ﷻ ، ولذلكَ قال ربى سبحانه :

﴿ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾
[آيةَ (١٧)سورة الكهف].

......أى أنه أخذ طريق الضلال .
وسبب الضلال: أنه لم يجد ولياً مرشداً يأخذ بيده.
فكل من يأمر مريداً أو سالكا: بأمر مخالف للشرع ، فعليه أن يتوقف ويراجعه ، ولو رأى على يديه صريح الكرامات.!!، ولو سمع منه خاصة الإلهامات..!!.ويقول له كما قال الخليل : أخبرنى بحقيقة الأمر وجلية الأمر ، ليطمئن قلبى. فلا يفعل الإنسان السالك إلا ما يطمئن إليه قلبه.
.....ولعلكم تذكرون جميعا ، الحديث الشريف الذى يقول فيه سيدنا

رسول الله ﷺ :

{البر ما اطمأنت إليه النفس، والإثم ماحاك فى النفس، وتردد فى الصدر، وان افتاك الناس وأفتوك }[١].

وهو حديث واضح وصريح....، فإن كان إمامى ومرشدى محفوظاً...: فأنا ما زلت لم أدخل دائرة الحفظ ، ولذلك أطالبه بأن يوضح لى ، حتى أُحفظ من الهواجس والشكوك والظنون وغيرها ،.... لأدخـــل علـــى حضرة الله ورسوله سليم القلب...:

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [آية (٨٩) سورة الشعراء]

.....وفى ذلك يوضح مولانا الإمام أبو العـــزائم رضي الله عنه ، أدب جلـــوس الرجل مع المرأة ، ولو كان شيخا هماماً والملائكة رهن إشارته...!، يقول : لقد قال حبيبي ﷺ قولا صحيحا :

{ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فلا يخلو بامرأة ليس معها ذو محرم منها ، فإن ثالثهما الشيطان }[٢].

أى فى خلوة — والخلوة هى : أى مكان مغلق عليهم ، فلـــو جلـــسا فى مكان مفتوح فليس ذلك بخلوة —

إلى أن يقول رضي الله عنه : لو كان الرجل واثقا من نفسه ، مطمئنا إلى حفـــظ ربه عز وجل له ، فهل هو واثق من التى تجلس معـــه؟..ألا تـــسرح بهـــا الخواطر...؟...وألا تذهب بها الظنون..؟!

أى نفترض أنه واثق من نفسه..! لكن هل هو واثق بمن يجالسها..؟

---

(١) عن واصبة ، فى مسند الإمام احمد .
(٢) عن جابر بن عبد الله ، فى مسند الإمام احمد

.....إذن السلامة فى اتباع الشرع :

....حافظ على السنَّـــــة ، ولو بُشـــــرت بالجنـــــة.

لسنته فاحفظ وكن متأدبـــاً ... وحاذر فحصن الشرع باب السلامة

......فكلنا نريد السلامة ....:

والسلامة هى الطريق الذي ليس بعده ندامة ، فلا تعود مــرة أخــرى تعيش في ندم داخلي أو حديث باطنى ...!!.. لم فعلت كذا أو كذا؟ إذن يجب الإطمئنان من البداية.

فالبر ما اطمأن إليه القلب ، وإن أفتوك !.وإن أفتوك !.وإن أفتوك!.

والإثم ما حاك فى صدرك ، وكرهت أن يطلع عليه الناس.

......إذن أول مبدأ قضاه العارفون ، والصالحون ...وحرصوا عليه فى جهاد النفوس:

- أن تكون كيفية الجهاد من كتاب الله ، ومن سنة رسول الله.
- وتكون الكيفية والهيئة والأدوية والأشفية التى يتناولهـا الـسالك ليجاهد نفسه : على يد حكيم ربانى نورانى ، اصطفاه وانتقاه الله ، ورقاه وأدناه سيدنا ومولانا رسول الله ، وأذن له إذناً صــريحا ، أن يعالج الناس على بصيرة من الله.:

﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [الآية (١٠٨) سورة يوسف].

......وتترقى النفس ، أو النفوس التى ذكرناهـــا قبـــل ذلـــك .....
......والنفس :
البعض يطلق عليها...القلب ، والبعض يطلق عليها النفس الناطقـــة...، والبعض يطلق عليها الحقيقة الباطنة...، وهى كلها بمعنى واحـــد : لأن قلب الشئ حقيقته. والقلب ليس مقصودا به : قطعة اللحم الموجـــودة فيك ،..... ولكنه الحقيقة الربانية التى تهيمن علـــى هـــذا الجـــسد ، وتسيِّرهُ.... بأمر من يقول للشئ كن فيكون.
تترقى هذه الحقيقة .....فى مقامات قرآنية.
.......وقد ذكر العارفون فى تحليلاتهم الرائعة للنفس : أن النفس جوهرٌ مشرقٌ على البدن.....:
فإن أشرق على ظاهر البدن وباطنه..........: حصلت اليقظة..!
وإن أشرق على باطن البدن ،لا على ظاهره..: حصل النـــــوم...!
وإن انقطع اشراقه بالكلية ....: حصل المــــــوت....!

وقد وصف العارفون مراتب النفس التى تترقى فيها ، واســـتنبطوا ذلك من القرآن الكريم ، وجعلوا للنفس فى كل مرتبة أوصافاً وعلامات ، وصفات وأحوالاً، ومحاسن وقبائح.....، بل إنهم خصوا كل مرتبـــةً بذكر من الأذكار .... فكلما اتصفت بصفات.: سميت لأجل اتصافها.. بها .. بإسم من هذه الأسماء.
.......فإن صادقت النفس الشهوانية ، وصـــارت تحـــت حكمهـــا... سُمِّيت..."أمَّارة" ، وإليها الإشارة بقول الله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ﴾.
[الآية (٥٣) يوسف].

.......وإن سكنت ..تحت الأمر التكليفى ، وأذعنت لاتبـاع الحـق ، لكن .. بقى فيها ميل إلى الشهوات... سُمِّيت.." لوَّامة "، وهـى التى أقسم الله بها عزَّ شأنه فى قوله سبحانه :

﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ [آية (٢) القيامة].

.......فإن زال هذا الميل ، وقويت على معارضة النفس الـشهوانية ، وزاد ميلها إلى عالم القدس ، وتلقت الإلهامات.. سُمِّيت.." مُلْهَمَة "، وهى التى ذكرها الله سبحانه فى قوله :

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾
[الآيتان (٧،٨) الشمس].

......فإن سكن اضطرابُها ، ولم يبق للنفس الشهوانية حكمٌ أصـلا ، ونسيت الشهوات بالكلية ، سُمِّيت.." مطمئنة ".

......فإن ترقت عن هذا ، وسقطت المقامات من عينها ، وفنيت عـن جميع مراداها .. سُمِّيت.." راضية ".

......فإن زاد هذا الحال عليها .. سُمِّيت.:" مَرْضِيَّة "عنـد الحـق والخلق..... وقد ذكرت هذه الأوصاف الثلاثة فى قوله سبحانه :

﴿ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ [الآيتان (٢٧،٢٨) الفجر].

......فإن أمرت بالرجوع إلى العباد لإرشـادهم وتكميلـهم، سميـت كاملة، وهذا فى قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [آية (١٢٤) البقرة] ، وقوله جلَّ شأنه: ﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [آية (١٢) يس].

......وهذا الجوهر المذكور يسُمَّي أيضا ..بـــ:
" **النفس الناطقة** " ،.... ويقالُ له .." **القلب** "،..... ويقال لـــه " **اللطيفة الإنسانية** " ، ويقال له " **حقيقة الإنسان** ".
وهو المدْرِكُ ، العالِمُ ، المخاطَبُ بالأوامر الشرعية .

......والمراد من سلوك طريق القوم :
.....ترقى هذا الأمر الربانى شيئا فشيئا ، إلى مقامه الأول ....
.....بالعلاجات والأدوية ، التى وصفها سدرة منتـــهى الكمـــالات.. وروح أرواح أهل النهايات ﷺ ، والتى منها ...:
الصيام ، والقيام ، وقلة الكلام ، والشفقة علـــى الأنـــام ، والـــذكر ، والفكر ، وأكل الحلال ، وترك الحرام ، وغيره ، .....من غير خـــروج عن دائرة الشرع .. ولا مقدار ذرة ..... لأن كل من تداوى بغير دواء الشرع لا يشفى مرضه ، بل يزداد مرضا على مرضه .
......ولا يزال السالك يترقى بالأدوية القرآنية ، والأشفية المحمديـــة ، درجة بعد درجة ...، إلى أن يصل إلى ما تنـــزَّل منه : وهو الـــصورة الآدمية ....التى كانت قبلة الملائكة!!.

ميدان جهاد النفس

لما كان طلب الكمال ، من أشرف الخصال ،

......والمراد من سلوك طريق التصوف : الاتصاف بالكمال ، والخلاص من قبيح الخصال ،....

......كان جهاد السالكين والصالحين ...: فى التخلى عن الأوصاف الذميمة ، والتحلى بالأوصاف الحميدة.

......فالأوصاف الذميمة :

كالجهل ، والغضب ، والحقد ، والحسد ، والبخل ، والتعاظم ، والكبر ، والعجب ، والغرور ، والرياء ، وحب الجاه والرياسة ، وكثرة الكلام والمزاح ، والتزين للخلق ، والتفاخر ، والضحك ، والتقاطع ، والتهاجر ، وتتبع العورات ، والأمل ، والحرص ، وسوء الخلق.......

......والأوصاف الحميدة :

كالحلم ، والعلم ، وصفاء الباطن ، والكرم ، والتذلل ، والرفق ، والتواضع ، والصبر ، والشكر ، والزهد ، والتوكل ، والمحبة ، والشوق ، والحياء ، والرضا ، والاخلاص ، والصدق ، والمراقبة ، والمحاسبة ، والتفكر ، والشفقة ، والرحمة على الخلق ، والحب..والبغض فى الله ، والتأنى فى الأمور ، والبكاء ، والحزن ، وحب الخمول ، وحب العزلة ، وسلامة الصدر ، والنصح ، وقلة الكلام ، والخشوع ، والخضوع ، والحضور ، وانكسار القلب ، وحسن الخلق.......

المقام الأول : مقام النفس الأمَّـــارة

إذا كان القلب متوجها إلى الجسد بألوان النعم ، وأصناف اللذات الدنيوية ، والشهوات النفسانية ..:

كان محجوبا بـــ" **ظلمـات المعاصـى** " المسمَّاه ...: بــــ" **الرين** ، **والطبـع** ، **والخـتم** "، ولا يرى شيئا من من أنوار الغيوب...، فــلا يبالى بما يفعله من الآثام والذنوب....!!!!

......وأعظم الحجب التى بين العبد وربه ...: حجب الذنوب – لأنهـــا ظلمانية – ....وغيرها من الحجب ...: وإن كان لا بد للسالك من السعى فى رفعها ،...إلا أنها نورانية ...، لا توجب البعد بالكلية .

......ويُسمَّى " **القلب** " فى هذه المرتبة بـــ" **النفس الأمـارة** " ، لأنه يتصف بـــ: الغضب المذموم ، والحقد ، والحسد ، والكبر ، والتعاظم ، والعجب ، والغرور ، ....وغير ذلك من الأوصاف الذميمة المبعدة لـــه عن حضرة ربه،......ولا يستغرب هذا الأمر..: لأن اتباع الـــشهوات يجعل العزيز ذليلا...

روى أن امرأة العزيز ، قالت ليوسف الصديق عليه السلام :

يا يوسف..!.. إن الحرص ، والشهوة ...صيَّروا الملوك عبيـــدا..، وإن الصبر والتقوى صيَّروا العبيد ملوكا..، فقال لها:

إنه من يتق ، ويصبر..... فإن الله لا يضيع أجر المحسنين....

......والخلاص من هذا المقام ..يكون بـ:

...الذكر القوى... ، ...والوقوف على أبواب الشريعة...، ...ومحاسبة النفس ... ، ...وتخويفها بالموت ..و عذاب القبر.. وما بعده من أهوال الآخرة.

المقام الثانى : مقام النفس اللوّامـــة

والنفس فى هذا المقام :

.....سيرها لله ،.... وعالمها : عالم البرزخ ، .....ومحلـــها : القلـــب ، ....وحالها : المحبة ، .....وصفاقا : اللـــوم ، والفكـــر ، والعُجْـــب ، والإعتراض على الخلق ، والرياء الخفى ، وحب الشهرة والرياسة ، وقد يبقى معها بعض أوصاف النفس الأمارة ، لكنها مع هذه الأوصاف.... ترى الحق حقا ، والباطل باطلا ، وتعلم أن هذه الصفات مذمومة .

......ولها أعمال صالحة : من قيام ، وصيام ، وغير ذلك من أفعال البر.

......لكن يدخل عليها : العُجْب ، والرياء الخفى ، فيحب صـــاحب هذه النفس :.... أن يطلع الناس على ما هو عليه من الأعمال الصالحة ـــ مع أنه يخفيها عنهم ، ولا يظهرهم عليها، ولا يعمل لهم ..بل عملـــه لله ـــ إلا أنه يحب أن يُحْمَد ..ويُثْنَى عليه من جهة أعماله ،.... ويكره هذه الخصلة أيضا ، ولا يمكنه قلعها من قلبه بالكلية..! ، لأنه لو قلعها بالكلية ...لكان مخلصا بلا خطر .

والحالُ....: أن المخلصين على خطر عظيم....:
لأن المخلص يحب أن يُعرف أنه مخلص ، وهذا هو الرياء الخفي ،....
لأن الرياء الجلى....: هو العمل لأجل الناس ، وهو الشرك الخفي المذموم بالكلية.

......ولا يكون الخلاص من هذا الخطر، إلا بـ:

.....الفناء عن شهود الإخلاص ...، بشهود أن المحرك والمسكن هو الله تعالى...: شهود ذوق .

وهذا الشهود متوقف على سلوك طريق المقربين ..... وأهل هذا المقام لا يحتاجون إلى الإخلاص ، بل لا يخطر بباهم ، لأنهم لا يرون لأنفسهم عملا حتى يخلصون فيه ، ولا يرون لغير الله فعلاً حتى يتضررون به.

......والمجاهدة فى هذا المقام ....

.......**حقيقتها : ترك العادات**.

......**وأركانها** التى لا بد منها : **ستة** ، وهى :

تقليل الطعام ..، وتقليل المنام ..، وتقليل الكلام ..، والاعتزال عن الأنام ..، والذكر على الدوام ..، والفكر على التمام.. .

......والمطلوب من هذه الأشياء الستة: الاعتدال. ولذلك قالوا : تقليل الطعام ، ولم يقولوا : ترك الطعام.

......وثمرة هذه المجاهدات : أن يدخل السالك فى عالم المِثال .. وهو أول مقامات المقربين ، وفيه يرى السالك : الأمور التى لا تدرك بالحواس الخمس ، وقد يكون ذلك مناما ...، وقد يكون بين النوم واليقظة.......!

المقام الثالث : مقام النفس الـــمُلْهَمة

وهى التى :

......سيرها على الله .. بمعنى أن السالك لا يقع نظره فى هذا المقام إلا على الله تعالى ، لظهور الحقيقة الإيمانية على باطنه ، وفناء ما سوى الله تعالى فى شهوده .

....وعالمها عالم الأرواح ، ....ومحلها الروح ، ....وحالها العـــشق ،

....وواردها المعرفة ، ...وصفاتها : السخاوة ، والقناعـــة ، والعلـــم ، والتواضع ، والصبر ، والحلم ، وتحمل الأذى ، والعفو عـــن النـــاس ، وحملهم على الصلاح ، وقبول عذرهم ، وشهود أن الله تعـــالى آخـــذٌ بناصية كل دابة.

......وإنما سُمِّيت " ملهمة " : لأن الحق تعالى.. ألهمهـــا فجورهـــا ، وتقواها ... وصارت تسمع ـــ بغير آلة ـــ لـــمَّة الملك ولَّمة الشيطان.

......والواجب على صاحب هذا المقام : متابعـــة الـــشيخ ، واتبـــاع الشريعة ، وملازمة الأدب ، وأن يُكرِه نفسه علـــى قـــراءة الأوراد ، ويقيدها بقيود الطريقة .

لأن هذا المقام : جامع للخير والشر ...: فإن غلب خير النفس علـــى شرها..ترقت إلى المقامات العلية ، وإن غلب شرها على خيرها.. نزلت إلى أسفل سافلين . وعلامة غلبة الخير على الشر :

أن يرى السالك باطنه معموراً بالحقيقة الإيمانية ...، وظاهره معمـــورا بالشريعة الإسلامية ....، وذلك بأن يكون باطنه محققا بأن ما فى الوجود جار على وفق ارادة الله تعالى....، مقدر بقدرته تعالى...، وأن يكـــون

ظاهره متلبسا بالطاعات...، متجنبا جميع الكبائر والصغائر .....، سواء كان بين الناس ..أو كان فى خلوة...

......وسوق النفس فى هذا المقام يكون بـــ : العـــشق ، والهيمـــان ، والشوق إلى الوصال ، والإجتماع مع الأحبة ، وتذكر لقاء المحبـــوب ، والتمتع بجمال وجه المعشوق......

......وأسباب تأهيل السالك لمنح هذا المقام ، " ستة أمور "، بها صارت الأبدال أبدالا، وهى:

الـذكر ، والفكـر ، والجـوع ، والـسهر ، والـصمت ، والعزلـة ،

..وأعظمها الجوع.

......فيا أيها الراغب فى هذا المقام :...لا تترك الرياضة والمجاهدة ، وإن صعبتا عليك ..، والحظ ــ بعين سرك ــ قول الإمام أبى العزائم رضي الله عنه :

تلك الرياضة يا مسكين غايتها ... ذل ومسكنةٌ ، إن صح أنت ولىّ

......واعلم أن أسرار الربوبية مودعة فى : المسكنة ، والعبودية..

......فاسلك طريق الذل ، والانكسار... تكن من العبيد الأحرار.

......فإنك لا تنال مطلبا من المطالب.. إلا بالعبودية ، وقــد يحــصل بدونها ، ولكنه لا يتم ... قال ابن عطاء الله فى الحكم :

"ادفن وجودك فى أرض الخمول ، فما نبت مما لم يدفن لم يتم نتاجه."

وقال بعض الصالحين:...:

" طريقنا لا يصلح ..إلا لأقوام كنست نفوسُهم المزابَل ".

فادفن وجودك ...!!، واخف شخصك....!! .

حتى يصدق عليك قولة :**(موتوا قبل أن تموتوا)** : وهى حالة من الفناء..تنتاب الصادق فى هذا المقام : تجعله لا يبقى معه ميل إلى مال ، أو ولد ، أو شئ من الأشياء..... ولا شك أن هذه الحالة هى حالة الأموات . ولما كان " المَيِّت "يكشف له عن البرزخ ...، فهذا السالك أيضا فى هذه الحالة يكشف له عن عالم المثال ..، والبرزخ.

وعالم المثال ، والبرزخ ....: كلاهما شعبتان من عالم الملكوت.

......فالواجب عليك أنك إذا لم تكن وصلت إلى هذه الأحوال..:

أن تكون متعشقا لها ، طالبا لتحصيلها ، لأن كل من طلب شيئا بإخلاص ..وجدِّ فى طلبه ....ناله بقدرة الله تعالى.

المقام الرابع : مقام النفس المطمئنة

والنفس فى هذا المقام:

......سيرها : مع الله ،.....وعالمها : الحقيقة المحمدية ، .....ومحلها السر، وهو باطن الروح . .....وحالها : الطمئنينة الصادقة ، ....وواردها : بعض أسرار الشريعة ، .....وصفاتها : الجود ، والتوكل ، والحلم ، والعبادة ، والشكر ، والرضا بالقضاء ، والصبر على البلاء.

......ومن علامات دخول السالك فى هذا المقام :

......أن لا يفارق الأمر التكليفى شبرا ....، ولا يلتذ : إلا بـــأخلاق المصطفى ﷺ ...، ولا يطمئن إلا باتباع أقواله....:

لأن هذا مقام التمكين ، وعين اليقين ، والايمان الكامل.

......ولما كان السالك فى هذا المقام : يترجم لسانه عما ألقـــاه الله فى قلبه من حقائق الأشياء ، وأسرار الشريعة ... فلا يتكلم كلمة :إلا وهى مطابقة لقول الله ورسوله ....

......لزمه الإجتماع مع الخلق فى بعض الأوقات ليفيض عليهم مما أنعم الله ﷻ به عليه . ويترجم عما فى قلبه من الحكم .

......على أن يكون له أيضا مع الله وقت ينقطع فيه لخدمته ، والوقوف على بابه. ولا يناسب صاحب هذا المقام مخالطة الخلق فى جميع الأوقات ، حتى لا يحرم من الترقى إلى ما بعده من المقامات....

......لذلك ترى المحفوظين من الكمَّل ...: إذا أظهر الله على أيـــديهم شيئا من الكرامات ، لا يحسون بها ، ولا يعلمون.... أظهـــرت علـــى أيديهم كرامة...؟ أم لا؟......

.......روى أن رجلا منهم ، مر برجل ، فضربه الرجل بحصاة أصـــابته فى كعبه ، فلم يلتفت إلى الضارب ، ومشى فسقط الضارب ميتا ، فقيل للولى : أين أنت من العفو والسماح...؟ وهل يجوز لـــك قتـــل نفـــس حرمها الله.......؟

فقال : والله ليس لى علم بما تقولون.... ، ولا أعـــرف الرجـــل... ، ولكن جرت عادة الله بإكرام أوليائه من حيث لا يعلمون....!

......فافهم المقصود.....:

.......واطلب من الله العون على تمزيق ما بقى عليك من الحجب ، فإن الحجب فى هذا المقام ....: حب الكرامات ، والميل إليها ، وحب الرياسة والشهرة والإرشاد والمشيخة ، لأجل اجتماع الناس ..وحصول الإهتداء لهم على يديك... لنيل الثواب..

فإياك والتعرض لشئ من ذلك .... لأنه من دسائس النفس !!!

.......وأما إن أقامك الله ، وأنت فى هذا المقام ، وأشهرك ، وألبسك ثوب المشيخة ـــ من غير سعى منك ، ولا حب ، ولا تطلُّب ـــ فقم بأمر الله ....فإنه خير لك من العزلة.

......فإذا اطمأنت نفسك ..طمأنينة رحمانية ، ولم تزل قدمك عن اتباع الكتاب والسنة ـــ حتى ولو قدر أنملة ـــ بل امتزج دمك ولحمك بإتباع الشرع :

...... جذبتك يد الألطاف .. جذبة الكمال ....:

فلا تدرك شيئا من أمور الدنيا والآخرة ......:

إلا إذا كان حاضرا عندك.... ، ومتى غاب عنك غبت عنه......،

وذلك لأن قلبك :.....لا يفتر عن مشاهدة جمال الحق وجلاله.

المقام الخامس : مقام النفس الراضية

وهذه النفس :

......سيرها : فى الله تعالى،..... وعالمها : اللاهوت ، ....ومحلها : سر السر (وهو مالا اطلاع عليه لغير الحق سبحانه) ، وحالها : الفناء.

.......والفناء هنا عبارة عن : محو الصفات البشرية....، فالذى يفنى من العبد صفاته لا ذاته ، فلا تفنى ذاته فى ذات الحق جلّ وعلا — كما يفهمه الجاهلون الذين كذبوا على الله —.

......بل إن العبد ..كلما تقرب إلى الله بالعبودية ، وتخلى عن الصفات الذميمة المناقضة للعبودية :

وهبه الله فضلا منه ..: صفات حميدة عوضا عما تخلى عنه من الصفات الذميمة،... والله هو القادر والعبد هو العاجز.

......والنفس فى هذا المقام وهى" الراضية " :... ليس لها وارد — لأن الوارد لا يكون إلا مع بقاء الصفات ، وقد زالت فى هذا المقام حتى لم يبقى لها اثر...... ولذلك كان السالك فى هذا المقام : ...فانيا.

......وصفات هذه النفس :

الزهد فيما سوى الله تعالى ، والإخلاص ، والورع ، والرضا بكل ما يقع فى الوجود من غير اعتراض نفس .. ولا انكار قلب..: وذلك لأنه مستغرق فى شهود الجمال المطلق.. ولا تحجبه هذه الحالة عن الإرشاد والنصح للخلق ، ولا يسمع أحد كلامه إلا وينتفع به ......

كل ذلك وقلبه مشغول ..بعالم اللاهوت ، .....وسر السر.

......وصاحب هذا المقام :

......غريق فى بحر الأدب مع الله تعالى ، ودعوته لا تـــرد ، إلا أنـــه لا ينطق لسانه بالسؤال حياءا وأدبا ، إلا إذا اضطر.... فإنـــه يطلـــب ، ويدعو.. فلا ترد دعوته.

..... وهو عزيز عند الخلق ، محترم عند الأكابر والاصاغر...: لانه قد نودى من حضرة القرب ..." إنك اليوم لدينا مكين أمين "،.... فـــصار تعظيم الخلق له قهريا !، ولذلك لا يركن إليهم.

المقام السادس : مقام النفس الـــمَرْضِيَّة

وهذه النفس :

......سيرها : عن الله تعالى، .....وعالمها : عالم الشهادة ، .....ومحلها : الخفاء ،..... وحالها : الحيرة ، ....وواردها : التتريه ، ....وصفاتها : حسن الخلق ، وترك ما سوى الله تعالى ، واللطف بالخلق ، وحملهم على الصلاح ، والصفح عن ذنوبهم ، وحبهم ، والميل إليهم ـــ لإخـــراجهم من ظلمات طبائعهم النفسانية إلى ارواحهم النورانية .

......ومن صفات هذه النفس : الجمع بين الخلق والخالق .

......وهذا شئ عجيب ، لا يتيسر إلا لأصحاب هذا المقام.

ولذلك كان السالك فى هذا المقام لا يتميز عن عوام الخلق بحســـــب

ظاهره ، ...وأما بحسب باطنه : فهو معدن الأسرار ، وقدوة الأخيار.
......وسميت هذه النفس بالمرضية : لأن الحق قد رضى عنها.
......ومعنى سيرها عن الله تعالى :
الها أخذت ما تحتاج إليه من حضرة الله تعالى . وحالها : الحيرة المقبولة ، وهى المشار إليها بقوله : رب زدنى فيك تحيرا.
ومن صفات السالك فى هذا المقام : الوفاء بما وعد ، ووضع كل شئ فى موضعه ، ومن أوصافه كذلك : أنه فى كامل شئونه فى الحالة الوسطى بين الإفراط والتفريط ، وهذه الحالة لا يقدر عليها إلا الكاملون.....
.......والسالك فى هذا المقام : تلوح عليه فى بدايته بشائر الخلافة الكبرى ....، وفى آخره تخلع عليه خلعتها....ـ وهى خلعة : كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها ـ فباالحق يسمع ، وبه يبصر ، وبه يبطش ، وبه يمشى ،.....وهذه نتيجة قرب النوافل....: وهو أن يكون التأثير للعبد باستعانته بالحق سبحانه وتعالى.
وتحقيق ذلك : أن السالك إذا وصل إلى مقام الفناء ..:
تنمحق صفاته الذميمة البشرية –التى هى محل الانفعال والشقاوة– وذلك بسبب تقربه إلى الله تعالى بالنوافل .... التى هى الرياضات ، والمجاهدات للنفس ، ....الجهاد الأكبر : فيهب له مولاه كرما منه .. صفات مناقضة لتلك الصفات ، منتجة بإذن واهبها ....:
......وهذا هو حق اليقين.......

المقام السابع : مقام النفس الكاملة

وهذه النفس :
.....سيرها : بالله ، ....وعالمها : كثرة فى وحدة ، ووحدة فى كثـــرة ، ....ومحلها : الأخفى ، ....وحالها : البقاء ، ....وواردها : جميع ما ذكر من واردات النفوس ، .....وصفاتها : جميع ما ذكـــر مـــن الـــصفات المحمودة للنفوس المتقدمة.....
......وصاحب هذا المقام ، ليس له مطلب :
سوى رضوان مولاه ، فحركاته حسنات ...، وأنفاسه عبـــادة ...، إن رآه الناس ذكروا الله ....، وكيف لا وهو ولى الله الكامل!!
......لا يفتر عن العبادة ... إما بجميع بدنه ، أو بلسانه ، أو بقلبـــه ، وهو كثير الإستغفار والتواضع ...
......سروره ورضاه فى توجه الخلق إلى الله ، .....وحزنه وغـــضبه فى إدبارهم عنه ، .....يحب طالب الحق أكثر من محبة ولده الذى لصلبه ، .....ليس فى قلبه كراهة لمخلوق من المخلوقات ، .....ولا تأخذه فى الله لومة لائم ، ....مراده مراد الحق ، ...يجيبه مولاه فى كل ما طلب لوقته.

........اللهم إنا نسألك : حسن الأدب مع حضرتك.. ، والتمـــسك بكتابك المقدس.. ، والتأسى بنبيك الكريم.. ، والحفظ من أهواء النفس ، ووساوس الشيطان ، ..والإقبال الدائم عليك فى كل وقت وآن .
وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم،

الباب التاسع

في صحبة الشيخ

- السماع عند الصوفية
- سر الإنشاد
- التواجد
- الغناء المباح
- الإنشاد والسالكين
- الغزالي ورياضة الذكر
- استشارة الشيخ
- استشارة أهل الذكر
- الأمور التي أستشير فيها الشيخ
- أدب السالكين مع مشايخهم
- أسرار المشايخ
- التعامل بين الإخوان
- أدب الدعاة من الأشياخ
- صفات الشيخ المربِّى
- بين الولى المرشد والولى المجذوب
- الجهاد والإمداد
- عناصر جهاد النفس

السماع عند الصوفية(*)

سنة السادة الصوفية ، منذ عصر الحضرة المحمدية ، إلى يومنا هذا، ......كانوا دائما فى أوقات الصفاء ، يحضرون المنشدين الذين ينشدون بقلوبهم ، قبل ألسنتهم ،... ليأججوا نار الغرام ، وأن يزيدوا الهيام إلى الحبيب على الدوام .

......وكانوا عند سماعهم لأهل الإنشاد : يحدث لهم وجدٌ وحال :

......فمنهم من كان يقف ويذكر الله ﷻ فى حالة وَلَه ،........ومنهم من كان يصيح من شدة الشوق الذى فى قلبه لله ﷻ ولرسوله ﷺ ، ......ومنهم من كان يبكى ، وينتحب غراما.. وشوقا لحبيب ذى رفعة ومقام، ......ومنهم من كان يأخذه حالٌ يعجز فيه عن التعبير.

....وعبر عن هذه الحالة الشيخ أبو مدين الغوث رضي الله عنه وأرضاه ، فقال:

فإنا إذا طبنا وطابت نفوسنا ... وخامرنا خمر الغرام تهتَّكنا
فلا تلم السكران فى حال سكره ... فقد رفع التكليف فى سكرنا عنَّا

......فكانوا كلهم على هذا الحال ، والأئمة الكبار ..كانوا يتواجدون بقلوبهم ، ولا تظهر عليهم أشياء على أجسامهم...

.....ولذلك لما رأوا الإمام الجنيد ساكنا !!، والناس من حوله ــ ساعة الإنشاد ــ يحدث لهم الهيام والوله ....، سألوه :

مالك تسمع الإنشاد ولا تتحرك؟ فقال رضي الله عنه :

(*) كان هذا اللقاء بمقر الجمعية العامة للدعوة إلى الله بحدائق المعادى ــ القاهرة، يوم الخميس ٢ من ذى الحجة ١٤٢٥هـ ، الموافق ١٣من يناير ٢٠٠٥م.

﴿ ..وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾ [الآية(٨٨) سورة النمل].

......وقد قال الإمام أبو العزائم رضي الله عنه فى هذا المجال:

" **بكاء العارفين بالقلب وليس بالعين** "، أى ليس الذى يبكى بالعين هو الذى يبكى فقط ، بل ربما يتباكى ......، لكن البكاء الحق : يكون فى القلب ،......... فهذه كانت أحوال السلف الصالح .

سر الإنشاد

ولذلك وضع الصالحون مقياسا لصفاء المريد : متى يكون المريد قد وصل إلى درجة الصفاء...؟

......إذا حركته الأناشيد ، وجعلته يتوه وجداً ، ويطير شوقاً ، ويهيم بذكر الله ، ويشتاق لحبيب الله ومصطفاه...... لأنها لحظات التفضلات.

......ويمكن بعض المريدين الذين وصلوا لهذا الحال ، يسمع بعض القصائد التى سمعناها ، وعند النوم...: يجد نفسه يردد نفس الكلام ، فى مواجهة المصطفى ، عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.... لماذا..؟

لأنه أُخذ..!!، وبعضهم كان فى نفس الحال : لما يشتد به الوجد والغرام يتحركَ ،..... ولماذا يتحرك؟

لأنه غير قادر على تحمل خفقات القلب... ، يتحرك ....فتُزال الغشاوة ...وترتفع الستائر...، وتأتى البشائر...، ويرى نور النبى ﷺ ظاهرا للبصائر..!!وهو فى الوضع نفسه ...!!......وهذه الأحوال هى

التى ترقـــق القلـــوب . فهـــذه علامـــاتٌ ، العـــارفون.. أعطوهـــا للمريدين........لكن المريد : الذى يسمع الإنشاد ..ولا يحرك قلبـــه ، يكون ...كالحديد البارد ، ويلزمه الدخول فى نـــار المجاهـــدة ، لكـــى ينصهر... ، وينفعل .. ، ويتحرك ... ، ويتحول.... .

ولذلك تجد المبتدئين ، عند اختلاطهم بالصالحين ، ...وهم لم يتعرفـــوا على هذه الأحوال.... تحدثهم نفوسهم عن غرابة هذه التصرفات..!!

......إذا كان بعض الناس : يتحرك عند سماع الأغانى التى تهز أوتـــار النفوس !! فما بالك بمن يعيش بقلبه....؟

ماذا سيكون وضعه عند سماع الأغانى التى تضرب على أوتار القلوب ؟!

.....فهذه أغانى للنفوس ، وهذه قصائدٌ وأرواحٌ وريحانٌ للقلوب.... ، .....فتحرك القلوب ... ، وتجعلها تنفض العيوب... ، وتتجـــه فـــورا لحضرة علام الغيوب ﷻ.،......ولذلك كان الصالحون ــ ولا يزالون ــ فى مجالسهم هذه الأناشيد التى تحرك ....وكانوا دوما.....: يبدأ المنشد ، وبعدما ينشد... ، يحدث الوجد... ، وعندما يصبحون غـــير قادرين على كتمان أحوالهم....، فكان المرشـــدون ــ رفقـــا بهـــم ــ يأمرونهم بالوقوف ، ليذكروا الله ...لكى يحركوا النفوس ، والأجـــسام ..على نغمات الإنشاد..........فهـــذه أحـــوال جربهـــا العـــارفون ، ووجدوها أقرب طريق لصفاء قلوب المريدين لرب العالمين ﷻ ،......

ولذلك لما يكون الواحـــد فى لحظة انسجام نفـــس ماذا يفعل..؟ يغنى......، لأن هذا دليل على الإنسجام ، كذلك الإنسان عندمـــا يكون فى الصفاء ...: يتغنى ، وهو مستحضرٌ للحـــضرة المحمديـــة ، أو وهو مستحضرٌ أنه يناجى الحضرة الإلهية.

......هذه أحوال العارفين ، فى كل زمان .. ومكان .وهنـــاك أغنيـــة للسيدة أم كلثوم ، تقول فيها : المغنى حياة الروح. إنه كـــلام يقـــال ، ولكن له معنى ، والشطر الثانى يقول : يسمعها العليل تشفيه :.هذا هو المغنى الذى له معنى ،... لكن المغنى الذى ليس له معنى هو حياة النفوس والشهوات والحظوظ والأهواء.

......ولذلك فالعارفون دائما يركزون على الإنشاد ، وهذه هى السنَّة التى وردت عن الصالحين ....من عصر رسول الله ﷺ .

التواجد

فقد ورد أنه ﷺ كان مع أصحابه ..،وتواجدوا ..، ووقف بينهم منشدٌ ...وأنشد ...، وبعض هذه الأبيات موجودة ، يقولون فيها :

لـــدغت حيـــةُ الهـــوى كبـــدى...فلا طبيبٌ لها ولا راقى

إلا الحبيب الذى تشوَّق شوقى له...فيه هيامى ومنه ترياقى

......وكانوا ينشدونها فى حضرة المصطفى... ، وهـــم متواجـــدون ، ويذكرون الله ....

......وهذه الأحاديث لم تشتهر : لأنها كانت فى جلسات خاصة .

......أما الذى اشتهر عن رسول الله.: فالأحاديث العامة فى المساجد ، لأن الكل يحضرها وهى فى الأمور الشرعية ، لكن الأحاديث الخاصـــة لفرد واحد أو بعض نفر.

.....فمثلا : سيدنا رسول الله يمشى مع رجل ، وأوصاه بوصية ...!

من الذى سيسمعها..؟ صاحب الوصية.
فقد قال لسيدنا على ونفر قليل معه : أفيكم غريب؟
قالوا : لا ، فقال : أجيفوا الباب — يعنى أغلقوا الباب — ، وفى رواية : قالوا : ابن أخت فلان ، فقال : ابن أخت القوم منهم ، أجيفوا الباب . ولقّنهم : "لا إله إلا الله"....، وهذا أساس التلقين :
قال لهم سأقول لا إله إلا الله ، ثلاث مرات ..وأنتم قولوها بعدى ..... لماذا يا إخوانى؟...لأن التلقين بالروح ، وليس باللسان.... ولذلك لما يلقنها تسرى فى كل أرجاء الروح.
.....فهذه أحاديث خاصة : كان يقولها رسول الله ﷺ مع الخاصة.
فلما يقولوا : أنها غير موجودة فى الاحاديث المشهورة ، نقول : إن الأحاديث المشهورة فى الزواج ، والطلاق ، والصلاة ، والصوم ، والزكاة ، والحج ، وغيرها من الأحكام الشرعية.....:.لكن الأحاديث الخاصة..... لمن؟......: خاصة لمخصوصين .

الغناء المباح

ورسول الله ﷺ نفسه — كما تعلمون — دخل المدينة بالغناء ، وكان يذهب إلى الحروب بالغناء ، وكان يأمر فى الأعياد بالغناء ، والأفراح يأمر فيها أيضا بالغناء ، حتى أنه كان يؤلف لهم الكلمات ...، لما ذهبت السيدة عائشة — رضى الله عنها — إلى عرس ، ورجعت.
قال لها : أين كنت؟ ....قالت : كنت فى عرس للأنصار.

فقال لها : إن الأنصار يحبون الغناء ، فهلا غنّيتم لهم؟..قالت: يا رسول الله ..ماذا نقول؟........فقال لها : هلا قلتم :

أتيناكم أتيناكـــــم.... فحيونا نحييـــــكم
ولولا الحنطة السمراء .....ما سمنت عذاريكم

.......وهذا كلام مشهور لسيدنا رسول الله ....لكن طبعا : الغناء المباح ..هو الغناء الذى لا يحرك الشهوة ، ولا يثير الغريزة . لكنَّ الغناء الذى : يحرك القلوب ، ويحـــرك الأرواح ، ويـــروح عـــن النفوس : هذا هو الغناء الذى أمر به الله وبينَّه سيدنا رسول الله ، وجعله السادة الصوفية : ..مسلكا دائما لهم ، فى طريق الوصول إلى الله عز وجل.

الإنشاد والسالكين

كان الواحد فينا ، ونحن فى مرحلة السير والسلوك فى البدايـــة : .....ماشى يغنى....!، قاعد يغنى.....!، نائم يغنى....! وبمَ كان يغنى..؟ .....بأبيات سمعها من السادة الصوفية ..أو من الصالحين....، ويترجمهـــا إلى مناجاة إلى حضرة رب العالمين عز وجل ، فكأنها ذكر.....
وكان الواحد منا يأخذ ليلة كاملة فى قول ابن الفارض رضي الله عنه :

أنتم فروضى ونفلـــــى أنتم حديثى وشغلـــــى
يا قبلتى فى صلاتـــــى إذا وقفـــت أصلـــــى
جمالكم نصب عيـــــنى إليه وجهت كلـــــى

......فكان الرجل منا ، يأخذ فى أبيات كهذه أسبوعا..، لماذا؟ من الشوق الموجود عنده لحضرة الله..، فيترجمه إلى هذه المناجاة..، لأنه قد يقول : لا إله إلا الله ، وهو غافل . لكن هذه فى حالة حضور تام ، لأنه يكلمه ..ويقول: أنتم !... أنتم فروضى ونفلى.. وانتم حديثى وشغلى. فيمكث الواحد .... إسبوعا أو أكثر فى هذه المناجاة!! وواحد يقول : إنه يغنى...، لا..!!، إنه يناجى الله ..وهكذا.

.......وكان الواحد أحيانا لما تشتد المناجاة.... ، ويكون قاعد فى غرفة وحده : كان الواحد يقف ويتحرك...، وكأنه فى حلقة ذكر...، يحضرها جميع الصالحين ، والملأ الأعلى ، والمقربين .... وهو يغنى وينشد هذه الأبيات... وكأنه فى حضرة الله ﷻ ..

.......وهذه هى الأشياء التى تحرك القلوب..... لأنك تحتاج مُثِيرات للقلوب.... تحركها إلى حضرة علام الغيوب.

الغزالى ورياضة الذكر

والشيخ الغزالى رضي الله عنه وأرضاه....، قال كلاماً فى هذا المقام ، ربما يخفى معناه على كثير من العوام . ...والكلام موجود فى كتابه "بداية الهداية" ، وموجود فى "إحياء علوم الدين". قال :

....."تلاوة القرآن مع أنها أفضل العبادات ، قد يكون الذكر أنفع فى وقت من الاوقات.. للسالك منها ". ووضح ...وقال:" لأن القرآن فيه

تشريعات ، وفيه الزواج ، وفيه الطلاق ، وفيه الميراث ، لكن ذكر الله : يجعل قلبه يتوحد بالكلية نحو مولاه..، وهذا هو المراد.."

....لكن هذا الكلام ـــ طبعا ـــ لا يقال على المنبر.

.....سيقال : هذا الرجل يقول : إذكروا ، واتركوا القرآن . وطبعـــا الناس تبغى أى شئ ...... لتشوه صور الصالحين.

......لأن حكمته :

......كان يريد جمع القلب على الله ، ولا يريد للقلب أن يتفرق .

......طبعا هذا ليس تعبداً ، لأن الذى يريد التعبد ، أفضل عبادة أمتى : تلاوة القرآن ....: للأجر. لكن هذا اسمـــه تـــودد..، وتزلـــف... ، وتقرب ...، لكى يصل إلى مولاه عز وجل.

......فالذى يريد العبادات ..... فهى مفتوحة......

......لكن الذى يريد الكمالات ...:

فلها طريق ثانى ، وأدوية ثانية ، وأشفية ثانية .

.......والرجل طبعا يقول : قد يكون..، يعنى ليس لكل الناس. لكن لبعض الناس.، مثل الرجل الصالح الذى ظل يقول :.الله. الله . الله ، وقذفه رجل بطوبه فى رأسه ...فنزل الدم مـــن رأســـه علـــى الأرض ...يكتب الله . الله ...لأن الرجل هام فى الجلالة.

......ولو قلت له : إقرأ سورة البقرة ، لا تناسبه فى هذا الحال لأنه يوجد فى سورة البقرة : أوصاف اليهود ، وما حصل من اليهـــود ، وكذا وكذا... فالوقت غير مناسب هنا!..... هو يريد الجمع علـــى الله عز وجل ، وهذا حالٌ خاصٌ لخواصٍ ، اختصهم الله عز وجل بهذا الإختصاص.

......ولذلك يقول :
قد يكون ، وليس للكل...: الذكر أنفع لبعض النـاس مـن تـلاوة القرآن........ تلاوة القرآن فيها الأجر والثواب...:
......لكنى أريد لقلبى أن يحضر مع الله...، بحيث أننى : وأنا ماشـى ، وأنا قاعد ، وأنا آكل ، وأنا شارب ، وأنا أشتغل ، وأنا نائم ، وأنا ألعب .....قلبى شغال : الله . الله . الله ....وأنا أسمعه....، وإن كـان غيرى لا يسمعه..!!......كيف يحدث هذا الحال...؟
طبعا ...بالتدريب على رياضة الذكر .
.....يتريض بالذكر......: حتى يصل إلى اللياقة فى ذكر الله...، فيصبح قلبه : لا يغيب عن مولاه ...وهذا وضع خاص ...لأن الذكـر هو الذى سيفتق الحجب التى على القلب ، لكى تظهر الأشعة القلبية ، وتتصل بالأنوار الإلهية.....، ويرجع للحالة الأولى ....والتى كان فيها الإنسان يشاهد الرحمن :

﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَآ ﴾
[آية (١٧٢) سورة الأعراف].

مشاهدة كاملة ..... فيرجع إلى هذه الحالة مرة أخرى.
......فهذه الأحوال يلزمها الذكر ، ويلزمها الذى يأجج فى القلب.... نار الشوق والغرام ، ونار الهيـام إلى الله ﷻ وإلى رسـول الله ﷺ. فكانت هذه الوسيلة عن طريق الإنشاد مع الإرشاد.

استشارة الشيخ

أسئلـــة ...والـــرد علــيها

السؤال الأول :

........فى بعض الاحيان ، يقوم البعض من الاخوان ــ عندما يريــد أن يفعل شيئا باستشارة الشيخ ..أو العارف بالله.. ؟ويأخذ منه رأيا ما..؟
مع أنه ربما ..لم يكن قد أوضح له الأمر بالكامل.. قائلا : ما هو الشيخ عارف كل حاجة..! ثم يفعل ، أو يتصرف .بعد استشارته الشيخ.
....وكلما سأله أحد ، حتى زوجته أو أهله !يقول : الشيخ اللي قال لي اعمل كده.مما يؤدى إلى كثير من المشاكل فى الأسر .
ويبقى فى الصورة :...أن أهل الله هم السبب فى ذلك كله...، لأنهــم أشاروا بهذه الأراء؟

السؤال الثانى : كيف تتوافق استشارة الشيخ أو العارف بـــالله ...مع قول المصطفى ﷺ : "أنتم أعلم بأمور دنياكم"..؟

الجـــــــواب :

المفروض يا إخواني : الاستشارة للاستنارة.
......وربنا عز وجل ، أمر حبيبه ومصطفاه ﷺ ــ وهو الذى يوحى إليــه ــ أن يستشير أصحابه، وقال له:

﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ [الآية (١٥٩) سورة آل عمران].
.....فقال ﷺ : أما إن الله ورسوله ، لغنيان عنها.... إذن ..لماذا؟ لكى يتعلموا ..... وقد بين رسول الله ، سر الإستشارة ..وقال :

{ما خاب من إستخار ولا ندم من استشار}[١].

.....فالدين أمرنا : أن نستشير ، ونستخير ، فى أى أمر ...حتى الأمور التى ليست دينية، ربنا قال لنا فيها..:

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [آية(٤٣) النحل].

......لكن الإستشارة ، لكى تكون صحيحة :

......لابد وأن أعرض الأمر بصراحة...، ولا اعرض الأمر بطريقـــــة تكون الإجابة هى التى تطلـــــبها نفسى.!! ...طبعا ..هذا تحايل.

.......وقد قال فى هذا سيدنا رسول الله أيضا :

{إنكم تختصمون إلى ، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض. فمن قضيت له بحق أخيه شيئا بقوله ، فكأنما أقطع له قطعة من النار، فلا يأخذها }[٢].

استشارة أهل الذكر

فالإسلام أمرنا بالإستشارة فى كل أمر... نستشير أهل الذكر.

.....فإذا كنت مريضا ..:... استشير الطبيب المتخصص ، ولا أســـأل زميلى ..أو جارى ، ويقول لى : هات كذا من الصيدلية. لماذا؟.....أهل الإختصاص موجودون ، إذن ....لا آخذ دواءاً ، إلا بعد مشاورة أهل الإختصاص ، ...وذلك لكى أختصر الطريق والمصروفات.

---

(١) عن انس بن مالك ، فى مجمع الزوائد ومسند الشهاب وجامع الأحاديث والمراسيل.
(٢) عن أم سلمة فى صحيح البخاري

.....أريد أن أبنى ...:......استشير مهندس مبانى من البدايـــة...، ولا أستعين بالمقاول فلان ، وأقول : إنه بيفهم أحسن من المهندس .

......هذا هو الإسلام يا اخوانى !!

.....والذى ضيَّع مجتمعنا : أننا تركنا الخبرات ، وكل واحـــد ماشـــى ويقول : خليها بالبركة...!، هذه ليست بركة.

البركة في التخطيط وحسن التنظيم :

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٤٣، النحل].

.....وهكذا : فى كل أمر ، فأنا فى الأمور الدنيوية : أستشير فيها أهل الخبرة.... أريد أن أزرع : استشير أهل الزراعة، أريد أن أعمل مصنعا : أستشير بيوت الخبرة الخاصة بالصناعة ، وهكذا .

الأمور التى أستشير فيها الشيخ

ولما استشير الشيخ فى مثل هذه الأمور ، أستشيره على سبيل : أن يدعوا الله عَزَّ وَجَلَّ لى ، بالبركة فى هذا الأمر!!.

......لكن لا بد أن : أستشير أهل الذكر فى هذا المجال،

لأن الشيخ ليس بخبير فى الأمور الدنيوية ، الشيخ وظيفته : أنه يوصلنى إلى الله عَزَّ وَجَلَّ ، والذي أستشيره فيه فعلا : السير والسلوك ، خطـــرات النفس ، وساوس الصدر ، مراقى القلب.... هذه الأشياء التى يجب أن أستشيره فيها ، وآخذ برأيه فيها ، أو أى فتوى شرعية .

......لكن أعرضها عليه كما ينبغي....:

......فلا ينبغى أن أكون ظالماً لزوجتى ، وأقول له :.. لقد فعلَت كذا ، وكذا وأقلب الحقائق..... لا بد من أمانة العرض :

{ لا إيمان لمن لا أمانة له }[٣].

والذى يقوله ، أنفذه ...:

﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ﴾ [آية (٥٤) سورة النور].

......فمثلا شاب يريد الزواج بفتاة معينة ، وأهله يريدون تزويجه بأخرى . يعرض الموضوع على الشيخ ...ويقول له :.هذه كذا ، وكذا ، والكلام الذى يقوله ..يجعل الشيخ يقول له : ماشى.

ثم يقول لأهله : الشيخ هو الذى أشار.....!! .والشيخ ليس له يد فى هذا الأمر......: لأنه حكم بناءاً على عرضه للموضوع.

......كذلك أخ معين ، يريد مبلغا من المال ، يستعين به على قضاء مصلحة ،....ويريد تسهيل الموضوع !!ولم يذهب للشيخ لاستشارته !! وهذه مصيبة اشد ..لأنه قال ﷺ :

{من كذب علىَّ متعمداً فليتبوء مقعده من جهنم}[٤] .

......والكذب على المشايخ ، والوارثين : كالكذب على سيد الأولين والآخرين.... فيذهب الأخ لأخيه ويقول :.....له يا فلان ! أريد خمسمائة جنيه ، وذهبت للشيخ ، وقال : اذهب لأخيك فلان....... هذا كذب ، وبهتان ، وزور ....وليس هذا فى طريق الله عَزَّ وَجَلَّ....، وطريق الله برئ من هذا الكذب....، لأنه مبنى على الصدق واليقين.

......وكذلك من يريد أن يعمل موضوعا ، وزوجته وأولاده غير

---

(٣) عن انس، فى صحيح ابن حبان ومسند البيهقى

(٤) عن أبى هريرة ، في صحيح البخاري .

موافقين. فيقول : أنا ليس لى شأن ، الشيخ هو الذى قال كذا وكذا. وذلك لكى توافق زوجته . هذا كذب !!وداخل فى قوله ﷺ :
{من كذب علىّ متعمدا فليتبوء مقعده من جهنم}.

أدب السالكين مع مشايخهم

لكن الذى عهدناه ، وتعلمناه : من سادتنا الصالحين :
.....أن ننـــزه أشياخنا ، وشيوخنا ..عن..: الأمور البشرية ، والدنيوية ، والتى تسبب لهم الأذية ......هذه الأمور الثلاثة :
أى أمر يسبب الأذى للشيخ ....أبعد عنه لماذا؟..
.....لأن " من آذى لى وليا ، فقد آذنته بالحرب " فالذى يؤذى وليــا ولو بكلمة ...آذنته بالحرب.
......فلما يكون هناك أمر ، لا يطيقه العوام ، والشيخ أمرنى به أمـــرا صريحا.... لأننى سالك من السالكين ، أكتمه حتى عن نفسى.
......وإن كان الشيخ ، لا يأمر أحدا من المريدين بأمور خاصة : إلا إذا كان سلّم تسليما كليا ، وهؤلاء : قلة قليلة معدودة على الأصابع.
فالإمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه ، يقول :" ربيت فى حياتى كلـــها ، رجلين ونصف . "، وهؤلاء كان يعطيهم الإذن فى كل حاجة .
......فحتى عندما يأمره الشيخ بعمل ما: لا بد أن يكتم هذا الموضوع ، لكى لا يعرّض الشيخ للأذية.
......واذكر فى هذا الموضوع ـــ وهذا لـــيس بحديث نفس ـــ وأنا

مدرس أول ثانوى ، جاء عليّ الدور فى الإعارة ، والسفر إلى السعودية ، فاستشرت الشيخ محمد على سلامة ـــ حيث كنت لا أعمل أى أمر : صغير أو كبير ، إلا بعد استشارته. ـــ فقال :

لا ، الذى تريده ، سوف يأتيك وأنت هنا ....لا تذهب.

......لكن من الذى سيؤمن بهذا الكلام من الخلق؟

فجاء مدير المدرسة ، وزملائى فى المدرسة ، قائلين : لماذا ترفض الإعارة وقد جاءت لك ؟.... هل أقول لهم الشيخ ؟....لأ.......

فى هذه الحالة أكون غير مؤدب ، ومحتاج للذهاب إلى اصطبل الدواب ، للتأديب. فقلت لهم كلمة (كما علمونا المشايخ)من باب المعاريض .

قلت لهم : الحكومة غير موافقة . ففهموا الحكومة : يعنى امرأتك ، وأخذوها من هذه الناحية . وأنا أقصد : حكومتى التى تعطينى الأوامر ، وهو الشيخ ......لكن لازم أبرأ الشيخ ، لأنهم لو وقعوا فى الشيخ..وقعوا فى المحظور. لأنهم يقولون فى الحكم :

" لحوم الأولياء مسمومة، من أكل منها قتله الله عَزَّ وَجَلَّ ".

والقتل هنا ، ليس القتل بالمعنى المفهوم ...لأن الذى يقع فى الأولياء ويغتابهم ، ويؤذيهم بكلامه ، فالقتل هنا : كما اخبر الشيخ الدباغ فى كتابه "الإبريز" : ...أنه يُقتل الإيمان عنده ، يعنى يموت على غير خاتمة صالحة ، والعياذ بالله ...إن لم يتداركه الله عَزَّ وَجَلَّ بتوبته.

......فالواجب عليّ هنا :......ان لا أقول الشيخ الذى قال ، أو أشار.... وكيف أتصرف ؟ لا بد أن أكون لبيباً وحكيماً. .....ومثلما قالوا : نزِّه الله عن كل عيب ، وانسب إليه كل كمال..... أليس كذلك ؟.. لأنه الله عَزَّ وَجَلَّ.فعند مجئ الفضل : نقول من أين؟....... من

الله. وإذا مرضت –والمرض من الله– ولكن الخليل نسبه لنفسه :
﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [آية (٨٠) ، الشعراء].
.....إذن ينسب العيب ، والتقصير : لنفسه. فهذا هو الأدب الذى يعلمه لنا الله..... كذلك فى نطاق الأسرة : لو حصل خطأ فى الأسرة ، أنسبه لأبى ، أو لى أنا..؟ من البر : أنه لو حدث أى خطأ فى الأسرة ، أتحمله أنا ...لكى لا أسبب أذى لأبى.... أليس كذلك يا اخوانى؟
وهذا للولد البار ، لكن غير البار : يقول أبى هو السبب.
......والحقيقة طبعا : الحمد لله ، استشارة الصالحين ..فيها توفيق رب العالمين .لكن : ....ربما لا يظهر فى وقته ، ويكون بعد حين ، .....ونحن دائما متعجلين.... .
......فمن يريد أن يكون من أهل القرب ، ويتسربل بسرابيل أهل الود ، يجب أن يكون أدبه مع شيخه:.....أن يحفظه من الجاهلين ، والغافلين ، والمعرضين ، والمعترضين .
.....حتى الكلام الذى يسمعه من شيخه فى باب العلم الإلهي ، والذى لا تتحمله العقول !!يجب أن يحجبه عنهم.....
أبو العزائم كان يقول: اخفوا علومكم صوناً لها عمن ... مالوا إلى الحظ من زور وبهتان...،وكان يقول : كما تحجب الحلوى عن أعين الذباب، فاحجب الرجل عن أعين الجهال.
......ما هى الأمور التى تسئ للمشايخ ؟
......هذه الأمور ، مثلما يقول أحد الإخوان فى كل أمر:... يا ستنا زينب ،.... يا ستنا زينب ،.... السيدة زينب فعلت كذا وكذا....وهو

غير مستقيم ...وهذا يسبب أذيه للـــسيدة زينـــب رضـــى الله عنـــها وأرضاها...، لكنك تحب شيخك ، أو تحب السيدة زينـــب..: يكـــون ذلك بينك وبين ربك ، ولا تخبر بهذا الحب ، إلا من كان على شاكلتك ، ويود أن يكون من أهل قربك ....فهـــذه أحـــوال عليّـــة ...، لا تتحملها إلا القلوب التقية ...النقية ....ولا تتحملها العقول.

......مثلا : بالنسبة لأهل العقول ، عندما يزورنى أحد إخوانى فى العمل ماذا أقول لهم...؟.. هؤلاء أقاربى ، أحبابى ، وأصحابى. لكن فى العمل : نقول إخوانى فى الله ...ونغنى قصيدة ...، ونقبُّل أيدى بعضنا..!! نعمل فتنة فى العمل..،...... وهذه ليست من الحكمة فى مثل هذه الأمور.

أسرار المشايخ

فالشيخ وسيلة للوصول لله ، أستشيره فى أمورى التى تقـــابلنى فى طريقى إلى الله ، وهذه بين المريد والشيخ .

......وكل واحد منا ، له سير وسلوك غير الآخرين ، ولذلك الـــسر الذى بينك وبين الشيخ : المفروض أن غيرك لا يطلع عليه.

......لله طرائق بعدد أنفاس الخلائق :....... ليس بعـــدد الخلائـــق ، ولكن بعدد أنفاسهم .

......إذا كان بعض المريدين ما زالت نفوسهم حاضرة ، فعنـــد رؤيـــة أخيه ، يقول له : ماذا قال لك الشيخ ؟........إذن تعلم : أنه ما زال بعيد ، وليس مريد ...ولو أنه مريد :..... " **من حسن إسلام المرء**

تركه ما لا يعنيه "، لأن كل واحد المفروض أن يكون مشغولا بنفسه ، "طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس".

.....لكن الذى يريد أن يسأل عن الآخرين : يكون مشغولا بالنفس ، ومشغولا بالناس ، وليس برب الناس ،... فالمشغول برب الناس غير متفرغ للناس ، وليس عنده ..حتى أذن تريد السماع عن الناس.

......إذن الذى بينك وبين الشيخ السلوك .

......أعطاك الشيخ ورداً ... يكون خاصا بك.... لـمَّا يصرح لك بإعطائه لغيرك ، ...فى هذه الحالة : تعطيه لغيرك ....لما يكون عندك البصيرة. لكن لا تقول : الشيخ أعطانى ورد كذا ، إعمله يا فلان ، أو يا فلان ، ما لك وهذا الأمر ؟...هل ستأخذ روشته من عند الدكتور ؟..وتفتح عيادة وتعمل دكتور !؟..وتعطى الروشتة لكل المرضى !!؟

الروشتة لك انت خاصة، وليست لكل الناس.

.......أما الأمور الدنيوية :

فالإستشارة فيها على سبيل طلب التوفيق .

ويكون فيها التوفيق مع : حسن العرض ، والأمانة ، والتصديق ، وألا أعرضً الشيخ إلا لصديق ، يعرف مكانة الشيخ .

لكن الواحد منا كلنا : يتكلم مع واحد زميله فى العمل ، فى أى أمر من الأمور ، ويقول له : لماذا لم تفعل كذا ؟... فيقول له : أنا شاورت الشيخ ، فقال لى : لأ.... وهل يعلم هذا الرجل مكانة الشيخ ؟.ولذلك ..: فإنه فورا يقع فى الشيخ ...أو ينكر بباطنه على الشيخ...، ويقع فى هذه الحالة فى الغيبة أيضا...، وأنت السبب..!! كان الواجب أن تقول

:. شاورت أحد العلماء ...، وأفتانى بكذا ...، أو أشـار بكـذا ...،

...لكنه كما قلت : فهو ضعف النفوس...والذى يفعل هذه الأفاعيل :

.....أصبح بعيداً عن الله ﷻ ورسوله بعد المشرقين ....لماذا ؟

..... لأنه أساء إلى الله ورسوله غاية الإساءة.

.......لكن أدب الصالحين الذى تعلمناه ، الموجود فى قـصة سـيدنا موسى والخضر عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام :

﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾

[الآية (٦٦) سورة الكهف].

والرشد هو علم الحقائق.:

﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴾[آية (٦٧:٦٩) سورة الكهف]

.....فى ماذا؟ فى مجال السير والسلوك إلى الله ﷻ. ولم يقل كيف سآكل ؟ وكيف أجد وظيفة ؟ وكيف سأبنى منزل ؟ وكيف سأزوج عيالى ؟

.....لأن مريد هذا الزمان ، يريد من الشيخ : أن يوفر له وظيفة هـو وأولاده ، ويزوج له بناته ..وهذا من الله.... لكن الذى تحتاجـه مـن الشيخ هو : الوصول إلى الله ﷻ ، والباقى أسأل فيه الله ، والله يفعـل ما يريد...، وما فيه صلاح لدنياى وأخراى...!!

.....ربما أن الذى ترى أنك تحتاجه ، يرى الله أنه ليس فى مصلحتك ، فسوف يختار الأصلح لك ،... وهنا لا تظن أن الشيخ دعوتـه غـير

مستجابة، فإن الشيخ دعا..، ولكن الله يختار لك الأحسن . وأنت لم تختر الشيخ لهذه الأمور، ولكنك اخترته لكى يوصلك إلى الله عز وجل.

التعامل بين الإخوان

هذه يا إخواني إجابة السؤال باختصار شديد ..

......وأنا أنبّه اخوانى أنه..:

......لو واحد طلب منك مطلب دنيوي ، وقال لك " الشيخ هو الذى قال لى "...، أمهله يوم أو يومين ، واتصل بالشيخ وقول له : فلان قال كذا ،. وسوف تعرف إن كان صادقا أو مدسوسا......لأن أهل الله فى كل زمان ومكان ..: يندس فيهم أناس طفيليون لطلب الدنيا ..، وهذه سنة الله فى خلقه. والمؤمن كيِّس فطن .

......واحد قال لك " إن الشيخ قال : لى أخطب بنت فلان ، أو شارك فلان فى التجارة " ، ماشى... وعلى الرحب والسعة ، ....ولكننا متفقون فى : البيع ، والشراء ، وفى الزواج...:

......أن نسير على الشرع ، أو العرف الذى تعارف عليه الناس : فتكون أمور المعاملات بيننا كلنا على الأساس الشرعى الذى وضعه الرحمن......فمن تزوج منَّا :... فعلى شروط الزواج التى وضعها الرحمن ، ونفذها النبى العدنان صلى الله عليه وسلم ، لأن الناس تستغل الناس المنتسبين للمشايخ لأنهم أناس طيبين ، سهل استغلالهم .

......بينما كان الناس فى الزمن الصالح ..، يخافون من الصالحين واتباع

الصالحين لماذا ؟... كانوا يقولون : من يظلمهم لن يكسب ....
.وهذه حقيقة، ....أما الزمن الحالى ...:
فالناس قل عندهم الإيمان ..، فأصبحوا يطمعون فى أحباب الصالحين ... فيجب أن يكون المؤمن كيِّس فطن ..، ونكون أناس واعين ... فالأمور الدنيوية كلها ، بيننا وبين بعضنا :....على شرع الله ، وليس لنا شريعة ثانية .." قل ما كنت بدعا من الرسل"..، ..فإذا اشتركنا فى تجارة نسأل عن النظام ..، ونكتب العقد ونسجله بمحامى ..، كما قال الله :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ ﴾، ﴿ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ﴾ [الآية (٢٨٢) سورة البقرة]

.....فإذا قالوا : لم نكتب ألا تثق فينا ؟... نقول لهم : الــذي يــرفض الكتابة غير أمين..!!.....وهكذا الأمر ....:
.....في من يريد أن يتزوج واحدة من بنات الصالحين ، ويقول : الصالحين ناس طيبين ، يعنى لن أدفع شيئاً !، وأخذها بجلبابها وفقط ! لا جهاز ولا حاجة.، نقول له : إن حكمة المهر فى الإسلام ، أنك تــشعر بقيمة الزوجة.. فلا تفرط فيها ، وتحس بقيمة هذا العقد فتحترمه .
.....إذن المعاملات بيننا كلنا على شرع الله ، لكى نكون مرتــاحين فى هذه الأمور : وكذلك التعامل مع زوجتك أو مع ابنك ، أو مع جارك.
......كتاب الله وسنة رسول الله......وضــحت الآداب والواجبــات المطلوبة فى مثل هذه الأمور :....
حق الرجل على زوجته ، حق الزوجة على زوجها ، حق الأولاد ، كل

هذه حقوق شرعية ، وجب معرفتها وتنفيذها ، والكلام واضح فى السنة والشريعة العامة ، فيجب أن نعمل على أن يحكمنا جميعا شرع الله عَزَّ وَجَلَّ، .....ولذلك الذى يقول لأخيه :

أريد مائة جنيه سلف، ويغضب لو قال له : أكتب لى إيصال.!، ليس منا آل العزائم. لأنه يجب أن يكتب الإيصال من نفسه ، إلا إذا كانت هبة. وعند الزواج نتفق : أنت عليك كذا ، منعا للإختلاف ولا نطمع فى بعضنا... أريد كتابة القائمة يغضب! هذا هو العرف ، والعرف شرع ، المفروض تكتب القائمة من نفسك ...!، ..لماذا الغضب؟...

......إذن الأمور الدنيوية كلها ..:

......على شرع الله عَزَّ وَجَلَّ ، وأبو العزائم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يقول :

من خالف الشرع الشريف فليس من...آل العزائم فافهمن برهانى

......فمن يخالف الشرع فى صغيرة ، أو كبيرة : فليس من آل العزائم ، ولو الناس تعاملت على شرع الله : لن يحصل أى خلاف بين الناس.

......إذن يا أحباب:

الذى يريد حاجة من أمور الدنيا ..: لا يتعرض للمشايخ والصالحين، لأن طريقهم صعب ..!!والله يغار عليهم ...!!، وأبو العزائم يقول :

يغار علينا أن يمس جنابنا ... أولو البعد والطغيان أهل الجهالة
نعم لأهل الله وصف الحنانة ... وإمهالهم للعزِّ لا للمذلَّة
وسيفهم ماض إذا سل لحظة ... يقطع أعناقا بعزم النبوة
وسهمهمو إن قوسوه لرمية .... له كل أركان الوجود تدك برمية

......لأننا لكى نصل إلى الله :...نتلمس رضا الصالحين ...، فلا نجعلهم

وسيلة للدنيا.. والذى يجعل الصالحين وسيلة لأى أمر دنيوى ..، يكون إنساناً دنىّ ، وبعيد عن الله ﷻ وقصىّ .

.....لأن الذى سيسير خلف العارفين كما ينبغى.... تصبح الدنيا كلها : بما فيها ، ومن فيها : تحت قدميه....وماذا تريد غير ذلك؟

......امشِ ورائهم ..واتبع هداهم ..تجد الدنيا كلها تحت قدميك..!! ، لكن تريد أن تصل بهم لمطامع ، أو لأهواء ، أو أشياء دنيوية....:

.....هذه هي المصيبة الكبرى ، والتى يقول فيها البشير النذير ﷺ :

{ملعونٌ ملعونٌ ملعون ، من طلب الدنيا بعمل الآخرة}[٥]

من عمل منهم بعمل الآخرة للدنيا فليس له فى الآخرة نصيب.

أدب الدعاة من الأشياخ

وأمر أخير :

......أن بعض إخواني العلماء الأجلاء ، لكى يكسب كلامه للإخـــوان والأحباب كسوة أن يصدّقوه فورا....، يقول لهم " إن الشيخ قال كذا والشيخ قال كذا". ولماذا تقول الشيخ ؟ ، الشيخ يقول : قال الله.. قال رسول الله..، وأنت كذلك يجب أن تقول : قال الله ..قال رســـول الله. إذا سمعت منه : تفسيراً لحديث ، أو لآية ، أو لأدب من آداب رســـول الله...انسبه إليه ، لكن تريد حاجة فى نفسك..؟، لا تجعلها تـــدخل فى دائرة الشيخ والله ورسوله ...، لأن هذه الدائرة التى علينا جميعا أن نحافظ

---

(٥) عن أبى كعب في مسند الإمام احمد

عليها.....، أى تحافظ على :

﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[آية(٨)المنافقون].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم،

أسئلة والرد عليها[*] :

......سؤال : هل المريد هو الذى يختار الشيخ ، أم أن الشيخ هو الذى يختار المريد؟.. وإذا كان الإختيار من الشيخ : فما فائدة البحث عنه ؟

الإجابة :

......الأمر يا إخواني طبيعي ، أنا الآن عندما أريد ألبس قميص أو بنطلون أو بدلة ...، أنزل مثلا شارع ٢٣ يوليو أو شارع عباس العقاد ،.. هل القميص هو الذى سيختارني ؟ أو البدلة هى التى ستختارني .؟أم أنا الذى أختار....؟....فالوضع الطبيعي ، كأى اختيار ...:

......من الذى يختار دينه..؟ ..الإنسان...:

﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾ [٢٩، الكهف].

......الإختيار إذن للإنسان ....لأنه لو لم يكن هناك اختيار للإنسان ، يسمى : جبر....، ولو كان جبر ..!.: إذن لماذا الإنسان سيحاسب ؟ ولماذا يثاب ؟ أو يعاقب ؟

......لكن الإنسان له محض الإختيار.

---

[*] كان هذا اللقاء بمقر الجمعية العامة للدعوة إلى الله بحدائق المعادى – القاهرة يوم الجمعة ٣ من ذى الحجة ١٤٢٥هـ ، الموافق ١٤من يناير ٢٠٠٥م.

......غاية ما فى الأمر..: أن ربنا فى القرآن.. بيَّن الصفات : إذا كنت أريد أن أكون من الصادقين..، واختار رجل من الصالحين الصادقين.

صفات الشيخ المربِّـــى

الصفات التى أتحرى أن تكون موجـــودة فى الـــشيخ ...الـــذى سأختاره لنفسى ، ....ما هذه الصفات ؟

● .....أن يكون هذا الرجل على بصيرة ، لأن ربنا قال :

﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [الآية (١٠٨) يوسف].

......إذن من يمشى على هديه ﷺ لا بد أن يكون عنـــده بـــصيرة ، والذى ليس عنده بصيرة ...لا يصلح فى هذا الطريق .

● ....الشرط الثانى :......أن يكون رجل عنده علم إلهامى ربانى ، ومع هذا العلم: لا يكون جاف ولا غليظ ، ولا قاسى ، ....كالرجل الـــذى بعث الله سيدنا موسى له ، ما صفته ؟..:

﴿ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الآية (٦٥) الكهف].

قبل العلم : صفة الرحمة ..... ربما يكون عنده علم ، ولكن عنده غلظه وقسوة ......، ومثل هذا لا يفيد .

......إذن ! لا بد أن يكون عنده الرحمة ، ومعه العلم الإلهامى .

......العلم الإلهامى : ما شرطه بالنسبة للمريد ، والشيخ ؟

إنه يخبر عنى بما يرتاح له صدرى ويعطينى الإجابة التى أرتاح لها.
●....الشرط الثالث :.......ألا يطلب شيئا دنيويا لقول الله تعالى :
﴿ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [٢١، يس].
ولذلك لو الشيخ قال لى : الجلسة بكذا.....
أقول له : لا يجوز لى أن أتبعك..
وقديما قالوا :.....شيخك من يعطيك ..لا من يأخذ منك..!لأن الشيخ فى كفالة الله ، والذى يتولاه مولاه لا يحتاج إلى شئ من خلق الله !، لأنه الذى يعطى كل خلق الله.
إذن الشيخ لا يطلب ، ولكن قد يعطيه البعض هدية ، ولا يطلب هو ، ولو أعطيناه هدية : تكون لله ، إعانة على دعوة الله ، وطريق الله ، أو لتنفيذ أمر الله عز وجل ... ولكنه لا يطلب بنفسه ، أو لنفسه.
●....الشرط الرابع :......أن يكون عالما بشرع الله.
.......فلا يصلح شيخ عنده علم إلهامى ، ولا يعرف شيئا فى الشريعة ، لأن الإلهام التام : ....الذى يكون بناءا على العمل لأحكام شرع الرحمن عز وجل..**"من عمل بما علم ، ورثه الله علم ما لم يكن يعلم"**، فلا بد أن يكون عالما بأحكام الشريعة الإلهامية.
●..... والشرط الخامس:..... أن يكون معه إذن من رسول الله :
﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ ﴾ [الآية (٤٦) الأحزاب].
......أن يكون معه التصريح ، وأين هذا التصريح..؟
......أشعر به فى صدرى ، أو يرينى الله عز وجل فى المنام :...أنه شيخ له قدم فى طريق الله ، أو أنه رجل معه إمدادات ..وعطاءات سيدنا رسول

الله..، أو أرى أنا من أحواله ما به يطمئن قلبي أنه من أهل الله الصالحين.
......فيلزم أن يكون معه إذن من رسول الله ﷺ ، لكى يكون داعيا إلى الله بإذنه .
.......هذه مواصفات أوجدها الله فى القرآن : لكى نختار بها المشايخ المتعرضين للمشيخة. طبعا....: سنجد فى القوم كثيرين متعرضين للمشيخة ، لكننى أريد أن أشترى بضاعة مضمونة !، من أين أشتريها ؟ من توكيل معتمد ..من الوكيل عَزَّ وَجَلَّ، لكن أى مكان آخر سيعطينى بضاعة مغشوشة على أنها مضمونة ومأمونة. وكما أن هناك غش فى البضاعة العادية فى الأسواق ،... كذلك هناك غش فى بضاعة الله.

بين الولى المرشد والولى المجذوب

الناحية الثانية:
......هناك أناس يتظاهرون أنهم أهل جذب ، وأنهم لهم كرامات ، وبعضهم ماشى حافى.. أو عريان.. أو منعزل عن الناس..، وقاعد فى جبل ، بعضهم يترك العمل !، هذا وأشباهه .. حتى المجذوب .. لا يصلح أن يكون شيخا ، ولذلك لا أسلِّم نفسى إلى مجذوب ، ولكن أسلِّم نفسى لإمامٍ عالمٍ عامل ، ولذلك قال الشيخ ابن عربى :

لا تقتدى بمن زالت شريعته ... ولو جاءك بالانبا عن الله

......أى حتى لو أعطاك أخباراً ـــ عن الله أيضا ـــ لا تقتدى به.......
أنا أريد ..ولى ..مرشد . ولى مرشد ..يعنى.. عالم عامل ، فقد يخرج

المجذوب عن صوابه ، ويفعل أشياءا لا يتحملها عقلى ، ربما يكون هو صادق فيها..... لأنه ربما يؤخذ عن نفسه ، وتلوح له بعض المشاهد العلية ، ولأنه ما زال صغيرا ..فيغيب عن الكون.!!، لأن الذى يغيب هو الصغير.... من الذى يسكر يا إخوانى.؟

.....الذى ما زال يتمرن على شرب الخمر ، لكن الذى يشرب الخمر إلى أن يتمرس فيها.... مهما يشرب ..! هل يسكر ؟

سؤال :...... أليس ربنا يحفظه ، إذا أقامه شيخ ؟

.....لكن إذا كان من أهل البدايات : لماذا يعرض نفسه للمشيخة ؟ إذن لا يقيم نفسه . ولكن منهم من يتعجل ، ...فقد يكون قد رأى بعض مشاهد غيبية : فيظن أنه وصل إلى النهايات . ومثل هذا نقول له : ماذا رأيت ؟!! رأيت ملائكة صاعدة ..وملائكة نازلة ، ألا تعلم أن هناك مشاهد لا عد لها ولا حصر لها فى طريق الله ! ولن يسمحوا له ولا يأذنوا له بالتصدر للمشيخة إلا بعد ان يعرضوا عليه كل هذه العوالم :

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ [الآية (٧٥) الأنعام].

.....كذلك الذى يكون فى البداية ، وتلوح له بعض هذه المشاهد فيهيئ له إنه فى النهاية !!وهو ما زال فى البداية : مثل واحد راكب القطار ، رأى بلدا ...وسألوه أين تذهب ؟ فقال لهم : إسكندرية. وعند تحرك القطار من مصر ، نام لحظة ، ثم فتح عينيه فجأة.!، فرأى مبانى شبرا ، فقال : هذه إسكندرية . لأنه كان نائماً.واستعد للنزول...، وقام لينزل فى محطة شبرا ..فقالوا له : محطة شبرا ومازال السفر طويل.....!!

وذلك لأنه نام ، لكن اليقظ رأى كل المحطات ، فلا يضحك عليه أحد.
......والمجذوب :......هو عبارة عن صاحب قلب ....
وقلبه ككوب لا يتحمل ما يتزل فيه من الأنوار والغيوب ، فيظهر على ظاهره ،... فيرى الناس عليه علامات الجذب ، ويقولون عنه مجذوب.
لكن صاحب القلب الكبير : مهما تتزل الأنوار والأسرار، فهو عادى!!.
......ولذلك رجل من الصالحين ، قال للإمام أبي يزيد البسطامي:
شربت كأسا من المحبة فارتويت!..... فقال له: أنت مسكين....
شربت الحب كأسا بعد كأس... فما نفد الشراب وما رويت.
......مثله سيدى أبو العباس المرسى رضي الله عنه وأرضاه ، عندما سألوه عن المجذوب ، فقال : المجذوب ..مثل كوب الماء الذى تملئه ، ففارت المياه على الجوانب ،.... والعبد المؤمن المتمكن ..مثل البحر ..السماء تمطر فيه ليلا ونهارا ، ولا يظهر فيه شيئ.... لأنه يستوعب الكل!.

سؤال: ...هل المجذوب .. آثم..؟

......إذا كان لا يشعر : يكون غير آثم ، لأنه إذا اخذ ما وهب أسقط ما وجب . لكن إذا كان يشعر بالحرارة..والبرودة..والليل..والنهار..: يكون عليه أن ينفذ أحكام الواحد القهار.
هذه الأحوال لا تظهر إلا على يد المرشد ، كالحالات التى تظهر على المرضى النفسيين ، هذه الحالات أيضا..تظهر فى البداية للمريدين الذين ليس لهم شيخ.. ويظنون أنهم من الواصلين !. وهى حالات نفسية ، والتى يكشفها عنه المرشد الطبيب الروحانى..ويقول له :
أنت تعيش فى الوهم !.. أنت تعيش فى الخيال..!.

......الإمام الجنيد رضي الله عنه وأرضاه ، قالوا له :.. الحض فلان الفلانى ، منذ إسبوع متواصل يقول الله الله وبصوت عال ومرتفع ، ولا يأكل ولا يشرب ، ولا ينام..!!! فذهب إليه ..وقاله له :

إن كنت تقول "الله"..الله..: فقلها فى نفسك ، ولا ترفع بها صـــوتك .

وإن كنت تقولها للناس : فاعلم أنه لا قيمة لك عند ربك....

فسكت الرجل كأنه أخرس..!!

......فهنا ترجع الحالة للنفس ، فهواجس النفس ، ووساوس النفس ، لا تخيل على العارفين ، ولكنها تخيل على المريدين ، ويحدث لهم تلبيس .

......كذلك واحد قيل للإمام الجنيد رضي الله عنه أنه يرى الله . فذهب إليـــه الإمام الجنيد ، ..وسأله : هل ترى الله ؟ .....قال : نعم.

قال .... : فى اليقظة؟.............. قال : نعم.

فقال له : هل تراه الآن ؟ ....قال : نعم.

فقال له : اغمض عينيك... هل تراه الآن ؟........قال : لا.

فقال له : هذا الشيطان لَبَّس عليك.. لأن نور الله لا يظهر للبـــصر ، ولكن يظهر لعين القلب.

<u>سؤال:</u> وكيف يتخلص منه؟

......هنا ..الشيخ هو الذى يخلِّصه . مثل رجل ، دخل القبلة ، ورأى "لا إله إلا الله ، أبو عسكر ولى الله "ومكتوبٌ مثل النيون ...

فقال له: إخسأ يا ملعون ، وهل هذا شئٌ تراه عـــين الـــرؤوس !!. وفى الحال : مُحِىَ الكلام !. هنا :...العلم هو الذى أخرجه ....

......لأن هذه الغيوب تُرَى بعين البصيرة .،... لكن عين الرأس لا ترى

إلا النيون ..... لكن عين البصر لا ترى هذه الأشياء.

......هل أحد فينا سيرى الملائكة ، بعين الرأس ..أو الشياطين ؟

لا..، مع أنهم موجودون معنا .

......إذن عندما يخبرك أنه يرى بعين رأسه : يكون الشيطان ضـــحك عليه ، ولبَّس عليه ..وأراه أشباح ..وهيأ له أنها أرواح...

مثل جمعيات تحضير الارواح : لا يوجد تحضير أرواح ، ولكنهم لعـــب الجن بهم ... لأنهم يريدون ذلك ، ويقول : أنا رأيت روح أحمد شوقى ، وأملتنى كذا ، وروح فلان ، وأملتنى كذا ،...من الذى أحضر أحمـــد شوقى.. أو غيره ؟ لكنها تلبيسات ..! وخدع للنفس..!

......فالوهم عندما يسيطر على الإنسان : يفقد الإنسان الميزان ، فيرى خيالات ، ويهيأ له أنها حقائق . وهذا يحدث فى كل شئ فى الكون ..:

......لأنه فى البدايات .. لما الواحد يتوهم أنه مريض :

تظهر عليه علامات المرض وأعراضه ... وهو ليس بمريض .وإذا توهم إنه مريض بمرض آخر .. أيضا يحصل عليه علامـــات المـــرض الثـــانى وأعراضه. ما الذى أظهر هذه الأشياء..؟.......**الوهم الذى عنده.**

......ولذلك العارفون يعالجون دائرة الوهم ، ودائرة الخيال الموجود فى أفق القلب .... إلى أن يرفع منها الأفياء والظلال ، ويدخل الإنسان إلى عالم ، اسمه عالم المثال . وعالم المثال : ...الإنسان يرى فيه الحقائق :

بعين القلب لا عين الرؤوس ... شهدت الغيب فى حال الوصول

......عين القلب أول ماتفتح : يكون السالك مثل الطفـــل الـــصغير ، وهو نائم تريه مشاهدا من ملكوت الصالحين فى الدنيا ، أو مشاهدا من

ملكوت عالم البرزخ ، أو مشاهدا من ملكوت عـالم السـموات ، أو مشاهدا من ملكوت عالم الجنات ،.....

يراها فى المنام أولا ، ....هذه هى البداية !

لما يتمكن ...: يرى ما يراه فى المنام وهو فى اليقظة !، وهذا وضع آخر .

......إذن الترقى : يكون متدرجا ...بالتدرج .

عندما يخبر من لم يمر بهذه المرحلة ، ويقول : أنا أرى الآن سيدنا جبريل نازل ؟ نقول له : هذا شيطان ، مثّل لك أنه فى صورة جبريل ، لكـى يضحك عليك ....وعلى الناس التى حولك.

سؤال: لماذا يمثل على هؤلاء فقط ، ولا يضحك على من هم دونهم ...فى سلوك الطريق؟

......لأن هؤلاء عندهم طموح ، ويريدون الوصول .

مثل الجماعة الأغنياء فى زماننا ، يريد الرجل منهم أن يكـون فى يـوم وليلة ملياردير من غير عمل . كيف يصل لها...!!؟

بالنصب ...والخداع ....والحيل......

......كذلك مدعى الجذب : يريد أن يكون مليادير فى عالم الأوليـاء والصالحين ، بدون مجاهدة النفس .... بالوساوس !....والهـلاوس...! والخيالات....! ، بمثل هذه الأعمال....!!!!

......لكن الصالحين الحقيقين ...يكون الرجل منهم مليادير ، ويقول : ﴿ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [آية (٢٤) القصص]، أنا ليس معى شئ .ولما يذهب إليه من يريد أن يشترى منه ، لازم يختبره ، لأن بضاعته لا يعطيها لأى أحد ....

أما الأول ..: فيريد أن يوزع بضاعة ، ويريد زبائن.
ولكن الثانى : يعمل له اختبار ،...ويسأله عن سر طلبه لها ،... ولا يزال يختبره ..حتى يرى صدقه .
فإذا صدق ..يعطيه ، لأنها أسرار الله ، ولا يعطيها إلا لمن يتيقن أنه صادق فى طلبه لمولاه ﷻ . ولذلك ممكن الواحد يمكث معه : عشر أو اثنى عشر سنة ، ولا يأخذ شيئا ، لماذا ؟...لأنه لم يصدق فى نيته بعد ..
لأنه من الجائز : أن يكون مريد يريد السير معهم ، ويريد أن يصبح غنيا من غير جهاد ....، وهذا ممنوع فى طريق الصالحين . لا يصل أحدٌ إلى الله ...أو أن يكون من أهل القرب من حضرة الله ....:إلا بالجهاد.:
﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [آية (٦٩) العنكبوت]
قال : ﴿ وَجَـٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾[آية (٧٨) الحج]

الجهاد والإمداد

كيف نجاهد ؟
.....لا بد أن ندخل معسكر جهاد ، أقامه العباد الذين اختارهم الحبيب المصطفى ، وجعلهم معلمين لطالبين القرب والود ، فيعلمونهم السبيل السليم بالإرشاد والإمداد .
......والجهاد ثلاث حاجات :........ **إرشاد ، وإمداد ، وجهاد.**
......يرشد الأول ، وأنت تجاهد ، فيمد.
لكن كيف يمدك ؟ وأنت لا تجاهد ؟!.. مثلا : عندى كتيبة أمام العدو ،

وكتيبة أخرى قاعدة فى المنطقة المركزية . أي كتيبة منهم لها الاولوية فى توفير الإمدادات ؟! طبعا الكتيبة التى أمام العدو ، لكن التى فى المنطقة المركزية .....لا تعمل شيئاً.

﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [آية (٩٥) النساء].

.....هل هذا يساوى هذا ؟.... واحد فى معركة مع نفسه ، ومع الشيطان ، ومع المجتمع الذى يعيش فيه..... لأن المجتمع لا يريد أخلاق عباد الرحمن ، هذا يريد امداد لكى يواصل الجهاد ...

......لكن واحد يخالط البشر ، ويستوى عنده هذا وذاك ، إن كان من أهل الجنان ...أو أهل النيران ، يقول : ...لا بد للواحد منا أن يجالس ويقعد مع الكل ، لكن .....:

﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾
[آية (٦٨) الأنعام].

......ولا يجاهد ، ويعتقد أن الذى يوصله إلى مولاه : القيام بالفروض الشرعية التى فرضها الله . والفروض الشرعية ، مع البعد عن المعصية : توصل إلى الجنان ، لكنها لا تؤهل العبد لمواهب الرحمن.

سيدخل الجنة من باب:

﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾
[الآية (١٨٥) آل عمران].

.....ستحصل على مقبول ، لكن الذى يريد المنح الإلهية ، لا بد أن يحصل على درجة امتياز مع مرتبة الشرف ، أو على الأقل جيد جدا ،

......فلا بد أن يجاهد لكى يشاهد ، فلما يجاهد فى ميادين الجهاد التى وضعها الصالحون ، وبيَّنها كتاب رب العالمين ، لا يقدر على المجاهدة : ...إلا إذا أمدوه ،...وأعانوه ،.... وقوة الإنسان من نفسه ...ضعيفة .

عناصر جهاد النفس

سؤال : عناصر جهاد النفس ، ما هى ؟

......جهاد النفس : أهم ما فيه : أن يحاول الإنسان أن يتخلص من أخلاق وعادات النفس التى يبغضها الشرع ، ويجمِّل نفسه بالعادات والأخلاق التى كان عليها سيدنا رسول الله.

.....وهذا الجهاد الشديد ....لأنه سهل أن يصوم ويصلى ، لا مشكلة فى ذلك ....لأن المرأة كانت تصلى الليل كله ، وتصوم العمر كله ، لكنها غير قادرة على لسانها الذى يؤذى الجيران.. فى اليمين والشمال..، وهذه كانت موجودة أيام رسول الله ،....وقال :

{ لا خير فيها ، هى فى النار }[6] :

مع أنها قائمة طوال الليل ، وتصوم الدهر، لكنها غير قادرة على لسانها.

......انما الجهاد عندنا :

كيف يركب فرامل للسان .؟ ولا ينطق إلا بما يرضى الرحمن ؟

ويركب سماعة على الآذان ؟..... فلا تسمع إلا : البرامج والكلمات التى يسمح بها الرحمن .

---

(٦) عن أبى هريرة .

سؤال : يعنى التليفزيون ....لا نشاهده ؟

لماذا لا ؟..... الذى سيسمح به الرحمن ستراه : برنامج دينى ، برنـــامج علمى ، برنامج ثقافى، لكن الممنوع : الفيديو كليب وما شابهه. هــذا موجود ، وهذا موجود ، وهذا أساس المجاهدات.

......وبعد ذلك يحاول أن يصفِّي القلب ..وهذا جهاد آخر..؟

لأنه لكى يظهر على الشاشة محطات البث : لا بد أن يكــون جهــاز استقبالها مضبوط ، فأنا أريد من شاشتى أن يظهر عليها : البث المحمدى ، ويظهر عليها البث الملكوتى ، ويظهر فيها برنامج :

﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [الآية (٥) طه].

ويظهر فيها برنامج :

﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾
[آية (٦) ،سورة النمل].

أراه ...وهو يتلقى القرآن .وهذه برامج ...موجودةٌ ..!ومشهودة ..!.

ولكنها تبغى أنفساً...:

عن الشهوات مفقودة ، وبذكر الله ﷻ ..حياتها قائمــة ومــشهودة. وهذه لا بد لها من الجهاد لكى يصلح جهاز الإستقبال ، فيستقبل هــذه الإرسالات. وطبعا لن يقدر بمفرده ، لازم مهندس خبير يقدر يوصِّــله لمحطات العلى الكبير.

......وكلنا معنا هذه الأجهزة والحمد لله ، ولكن هناك من ترك الجهاز حتى صدأ !!، وجميع هذه الأجهزة قد جربت ، لأن الحــضرة أول مــا صنعتها جربتها ، .....وكلنا رأينا أول لقطة :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ فتح الأجهزة ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ﴾ سمعوا وشـهدوا ﴿ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴾ [آية (١٧٢) الأعراف].

......فكلنا جُربَ البث عندنا ، وثبتت صلاحية هذه الأجهزة ، وكلنا مركبين الطبق ، ولكنه الطبق النورانى الذى يستقبل من حضرة القرب والتدانى . إنه موجود معنا . ولكن الطبق فصل... لماذا؟

لسوء سلوك صاحبه ، أو لوجود الأهواء والملذات.

......إذن الأجهزة موجودة ، ولكنها تحتاج لمعالجات محدودة ، وليست عمرة كبيرة..... بل معالجات محدودة ، تـصبح الأنـوار مـشهودة ، والتجليات ممدودة ، والإنسان فى هناء ، وفى بهاء ، وجمال ، وكمـال ..مع الواحد المتعال عَزَّ وَجَلَّ:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [آية : ١٢٨ ، النحل].

.....معهم بالأنوار ، والأسرار ، والعلوم ، والألطاف ، والخفايا ، وكل ما يحتاجه المرء... من عوامل الطهر ، والبقاء .

......وهذا هو الجهاد الذى لا بد منه ....مثلا :

الذى عنده تليفزيون ، ويريد منـه أولاده : أن يـستقبل التليفزيـون المحطات الفضائية . فلا بد عليه أن :...

يتحرك ....، ويذهب للمهندس ....، ويتفق معه لكى يركب الطبق ...

ويستقبل...، ولكنه يسوف على أولاده ، ويقول : حاضر ! حاضر !

ولا يتحرك . هل يستطيع أن يستقبل ؟..

.....كذلك الأمر :.....لا بد أن يتحرك الإنسان فى طريق الجهاد....
.....وكذلك نحن الآن معنا المحطات الأرضية ...ونأخذ أقاويل الخلق..، وأحداث وقصص الخلق ...، وما يحدث بين الخلق ...، وهذا ما نحـــن مشغولون به.....!!!!. لكن الذى يريد أن يسمع ...:

﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾ [الآية (٦٢) آل عمران].

......من الذى سيرويـــــه ؟

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾[الآية،(٣) يوسف].

......من الذى يقص هنـــا؟......الله........، سيسمع القـــصة مـــن حضرة الله عَزَّ وَجَلَّ ،...سيسمعها...،....ويراها....

......ولذلك وهو يحكى له ...، يقول له :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَـٰبِ ٱلْفِيلِ ﴾ [(١)،الفيل].

....ألم ترى .....،.....وليس :...ألم تسمع :

﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ [الآية (٢:٣) سورة الفيل].

كل هذا رآه .....، رأى المشهد :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ۝ ثُمَّ قَبَضْنَـٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ [آية (٤٦،٤٥) سورة الفرقان].

.....فيهمسه الله بالكلمات ..ويمتع قلبه بالمشاهدات..، هذه مرتبطـــة بهذه...، وهذه أعلام وأنوار العنايات. هذا كله كيف يأتى؟

تريد أن أشغل الأجهزة المجهزة لهذه الحالة...، وهى موجودة بداخلى ؟

مثلما توجد عين أرى بها الأكوان..، فيه عين أرى بها غيب الـــرحمن..، موجودة ..أرى بها الملائكة..، وأرى بها الجن..، وأرى بها الجنة..، وأرى بها العرش والكرسى....، وقال فيها ربنا :

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الآية (٤٦) الحج]....، وماذا قال على الكفار؟ :

﴿ لَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ﴾ [الآية (١٧٩) الأعراف].

.....هذه الأجهزة عندهم معطلة ، وغير قابلة للإصـــلاح ، والمـــصنع طلعها معيوبة..!. لكن الأجهزة الخاصة بنا : المـــصنع جربهـــا ، ورأت وسمعت ، ولكن كل المطلوب..... تصليح الاعطال.

سؤال: نعمل لها صيانة..؟... لازم الإصلاح أولا ، ثم بعد ذلـــك الصيانة الدورية . إذن الإصلاح أولا : تدخل الورشة المحمدية ، لكـــى تتجهز للمشاهدات الإيقانية ، التى يقول فيها الله :

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾ .....ستشاهدون :

﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾

سترى هذا كله ، ويسأل الناس بعد ذلك :

﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [الآية (٥:٨) التكاثر].

يقولون لكم : صفوا الجنة التى رأيتموها!!. يا حارثة !:كيف أصبحت؟ قال....: أصبحت مؤمنا بالله حقا. قال....: إن لكل قول حقيقـــة،فما حقيقة إيمانك؟....هذا هو الجهاد...!، حيث قال:

عزفت نفسى عن الدنيا ـــ وهذا أول بند فى الجهاد ـــ فأسهرت ليلى

فيها : فى طاعة الله....ــ وليس فى الوسن ــ وأظمأت نهارى فى الصيام لله عَزَّ وَجَلَّ....، وأصبحت وكأنى أرى أهل الجنة ، وهم يتزاورون فيها.... ، وكأنى أرى أهل النار ، وهم يتعادون ويصرخون فيها....، وكأنى أرى عرش ربى بارزا.... فقال له : عرفت !..فالزم!.
والتفت لمن حوله قائلا : عبدٌ نوّر الله بالإيمان قلبه.
......لأنه جاهد فشاهد ..
......لكن المشكلة : أن النفس تضحك على الواحد ، وتقول له : "اللى من نصيبك هيصيبك." ، "لو كان لك فى الفتح ، سيأتى لك الفتح وأنت نائم." ، ويقال "رب نائم خير من قائم" .....
......النائم الذى هو خير من قائم : الذى وصل واتصل ، لأنه وهو نائم فى سياحة ربانية ، لكن القائم مازال يجاهد ، لكى يصل إلى هذه المبادئ !. ولكنها النفس : تلّبس على الواحد ، لكى تقعده ، وتحبطه ، لكن الواحد لازم يجاهد.. ، ماذا يجاهد يا إخوانى..؟....**النفس**......

وجاهد النفس والشيطان واعصهما ... وإن هما محّضاك النصح فاتهما

وهذه إجابة السؤال بإختصار.
إذن فالشيخ لا يختار المريد ، لأنه لو قال للمريد : أنا اخترتك ، سوف يتدلل على شيخه ويتهاون . والشيخ لا يريد منه شئ ، لأن أول مبادئ الشيخ يقول :

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الآية (٩) الإنسان].

الباب العاشر

جـــهاد أهل العناية لمنازل الـــولاية

- الفصـــل الأول : أنوار كلام النبوّة
- الفصـل الثانــي : جهاد السالــكين
- الفصـل الثـالـث : مملكـــة النفس
- الفصـل الـرابـع : جهـــاد العارفين
- الفصل الخامس : الــوصـــــول

الفصل الأول

أنوار كلام النبــوَّة

- مرتبة حكم النفس
- حفظ الأسرار
- همَّة المريد الصادق
- أنوار رتبة الصلاح

(*)إن أدعية الأنبياء والمرسلين في القرآن الكريم ، هي الباب الذي نستمد منه الأدب العالي في معاملة الله ﷻ ...

......وكذلك على هذا النهج : الأدعية الواردة عـــن الـــصالحين ، في أحزابهم وأورادهم ....

......ولذلك فالإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه ، وضَّح هـــذه الحقيقـــة ....فقال :-

وفى دعائي جمـــال ... يـــلوح للـــفتـــــيان

......ودعاء الصالحين فيه جمال روحاني ، ولكنه يلوح ويظهر للـــذي وصل لمقام الفتوة .

.....فمقام الفتوة مقام عال ، ولذلك ....عندما تنظر إلى دعاء ســـيدنا إبراهيم في قول الله تعالى :

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الآيات (٨٣ : ٨٩)الشعراء]

.....نجده يشتمل على علم راق ، ليس علم إطلاع ، ولكنه علم بالله .

.....فقد بلغ الأنبياء ـــ عليهم صلوات الله وسلامه ـــ الغاية في العلـــم

(*) كان هذا الدرس بالحضرة بدار الصفا بالجميزة – مركز السنطة – غربية- مساء الأثنين من ربيع الأول ١٤١٧هـ الموافق ١٩٩٦/٧/٢٢م.

بالله عَزَّ وَجَلَّ .... فالعلم بأحكام الله ، والعلم بشرع الله ..:ربما يكون أعداء الله أفقه فيه من أهل الله . لكن العلم بالله ، كما قال الإمام أبو العزائم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:—

فالعلم بالله العلى غوامض ... لا يفقه إلا لصّب في اصطلام

فالعلم بالله عَزَّ وَجَلَّ غامض ، لا يلوح أو يظهر إلا ... لمن صفا قلبه لله من كل مظهر ، فسيدنا إبراهيم افتتح الدعاء هنا بقوله :

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾.

مرتبة حكم النفس

فأول طلب يطلبه من الله عَزَّ وَجَلَّ ، أن يهب الله عَزَّ وَجَلَّ له الحكم ..

.....ما الحكم الذي يطلبه ؟

.....الذي يسمع الآية ، وليس من أهل العناية : يعتقد أنه يريد المُلك ، أي يريد أن يكون ملكاً ، أو زعيماً ، أو رئيس جمهورية ،... لكنه عليه السلام لم يكن يرد كل ذلك ....

بل كل ما يطلبه : أن يكون ملكا على المملكة الخاصة التي ملّكها له الله عَزَّ وَجَلَّ ، وهى مملكة الإنسان التي يقول فيها الإمام على رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

أتزعم أنك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر ؟

......فالإنسان : هو الأكوان بما فيه من حقائق استودعها فيه الرحمن عَزَّ وَجَلَّ ، فهو كون صغير ، والكون إنسان كبير .

......فإذا أحب الله عبدا واستوى هذا العبد في مقام السير والـــسلوك إلى مولاه أعطاه الله عَزَّ وَجَلَّ حكم نفسه :

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾
[الآية(١٤) القصص].

......والعلم الإلهامي لا يأتي إلا بعد أن يتولى المرء حكم نفسه ، فالذي يريد العلم الإلهامي ، لا بد أن يتمكن أولا من حكم مملكته ، فيصير لا يتصرف فيها على حسب هواه ، ولكن يحكمها بما يريده الله ، ولـــيس للمرء في هذا المقام هوى مع مولاه عَزَّ وَجَلَّ .

حفظ الأسرار

وبعد الحكم يعطيه الله العلم :

﴿ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾

......إذن فالحكم أولاً :

......لأنه لو أعطاه العلم الإلهامي الوهبي ...، من غير حكم نفســـه — والنفس بطبعها تحب الظهور — فستُظْهر... ولو لمن ليس أهلا لهذا العلم :... جواهر هذا العلم..! وتلك خيانة عظمى عند الله عَزَّ وَجَلَّ .

يُجازى صاحبها بأن تقطع رقبته في دائرة الوصول ......!!!

فلا يسمح له بالقبول قط عند الله عَزَّ وَجَلَّ. ، وفى ذلك يقول الإمام أبـــو العزائم رضي الله عنه :—

احفظن سّرى فسّرى لا يُباح .. من يبح بالسر بعد العلم طــاح
علمنا فوق العقول مكانة ... كيف لا وهو الضيا الغيب الصراح
خصّنا بالفضل فيه ربنـــــا ... ذاك سّر غامض كيف يبـــاح

فالذي يوليه الله ﷻ حكم نفسه ....:
يفضل الحبس والسجن علــى أن يبيح بسر ...لمن ليس أهله ، كمــا قال سيدنا يوسف عليه السلام :

﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ ﴾
[الآية(٣٣)يوسف].

ففضل السجن على الإباحة بالأسرار ...... مع أنه لو باح لهـم بهـذه الأسرار لرفعوا شأنه..، وولّوه منصبا رفيعـا لـديهم..، ولم يـدخلوه السجن..... لكنه كتم هذه الأسرار في صدره ، ولم يبحها لهم .
.....وقد فعل ذلك أيضا سيدنا موسى عليه السلام ، حين قال :

﴿ وَيَضِيقُ صَدۡرِي ﴾

أي مما فيه من علوم الله ، وأسرار الله ، وكثرها ، وتنوعها :

﴿ وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي ﴾ [الآية(١٣)الشعراء].

أي إلا إلى إخواني الذين تتحمل قلوبهم هذه العلوم والمعاني.
.....لكنه لو جلس في الملأ :
ماتت في نفسه شهوة الكلام ، والرغبة في التعظيم ، فلا يتحدث ليشار إليه بالبنان ، أو ليعظمه إنسان ، أو ليحصل شيئا من عــالم الأكــوان ،..... ولكنه لا يتحدث إلا : إذا فتح الفتاح برزق صرفه الله ﷻ من كتر قلبه، لمن هو مراد لربه ﷻ.

......فكأن المعاني التي في قلب العارف : أمانةٌ إلهية ،.... وكما أن قلبه كنز لهذه المعاني والمعارف الربانية ، ولا يصرف منها إلا بتصريح صحيح تراه عين قلبه من رب البرية......:

......فلو قعد معه علماء الوجود ، وليس معهم تصريح مـــن الله ﷻ ينبئ عن استعداد قلوبهم لتلقى هذا العلم :

......فلا يخرج منه ولو كلمة واحدة ، حتى ولو طـــالوه بألـــسنتهم أو اغتابوه ببيانهم ......، لأنه لا يطلب بعلمه إلا وجه الله ﷻ.....

.......فأول مطلب طلبه سيدنا إبراهيم :

.......هو مطلب كُمّل العارفين والصادقين من المريدين .

همّـــة المريد الصادق

فأول مقصد أضع عيني عليه في طريق الله ﷻ ،.... لكي أصل إلى مراد الله :

......أن يملكني الله ﷻ نفسي ..، ولا يجعلها تملكني ، فتصرفني على حسب أهوائها ، وأغراضها ، وشهواتها ، وحظوظها ...وما أكثرهـــا في هذه الحياة....

.....وكل ما يتفضل الله ﷻ به على العارفين ، من أصناف الكرامات ..والعلوم ..والهبات :

إنما هو نتيجة إلهية ، وأثار ربانية ...لسيطرقم على مملكة النفس .

.....فعندما رؤى رجل من العارفين ..يطير في الهواء ، وقيل له :

بما نلت هذه المنزلة ؟ قال لهم :
وضعت هواي تحت قدمي ...، فسخَّـــر الله عَجَلّ لي الهواء.

.....والكلام الذي يخرج من الفم :
.....يحتاج إلى كسْوة من القبول ، حتى ينال الرضا عنـــد الـــسامعين ، وهذه الكسوة ؛ لا أستطيع أن أصنعها ..، ولا يستطيع الحاقد أن يدفعها ..، لأن الذي يكسو بها الكلام : هو الله عَجَلّ......:
فيكسو كلام الصالحين بكسوة من القبول ؛... تجعل كلامهـــم ينـــال القبول ، ويحوز الرضا من السامعين والحاضرين ......وهـــذا فـــضل ، وشرف ....من الله عَجَلّ
.....وقد قال سيدي ابن عطاء الله السكندري رضي الله عنه وأرضاه :-
" كل كلا م يخرج ، وعليه كسوة من نور القلب الذي خرج منه "
.....وقال الإمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه :-
" إذا كان الكلام عن النور حصل لسامعيه السرور."

.....فهمة المريد الصادق :
....أن يحكـــــــــمَ نفســـــــــــــه ...
.....وإذا كان له همّة غير هذه :
.....فهي من النفس ، أي فهي شهوة من شهوات النفس .
.....وهل هناك مريدون ...لهم همّةٌ غير هذه ...!؟
.....نعم.!
...هناك بعض المريدين ...:

.....يريد أن يفتح الله ﷻ عليه بالمعاني ؛ ليجذب السامعين ، ولـــو لم يكونوا من أهل القرب والتداني.

.....ومنهم من يريد أن تظهر على يديه الكرامات ، ويشار إليه بالبنان ، على أن هذا من الصالحين .

.....وهناك من يريد عمل ضريح ليدفن فيه ، ويتردد عليه فيه النـــاس بعد موته !! ..وبعد موتك ، بماذا يفيدك الناس ؟ وبماذا تستفيد بهم ؟

......ومنهم من يريد من الناس تقبيل يديه ...

......وأن يعترفوا له بالفضل عليهم ..، ويذكرون ذلك في مجالسهم ، وتسرّ الأذن بسماع ذلك ..

......وغير ذلك مما تطلبه النفس ...،.....ويتمناه الهوى .

أنوار رتبة الصلاح

لكن المريد الصادق هو الذي يفقه كلام أبي الأنبيـــاء والمرســـلين عندما بدأ دعاءه بقوله:

﴿ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾.

أي أعطني حكم نفسي ..لألحق بالصالحين .....

...... من هم الصالحون ؟

......كلمة الصالح : أي الذي صَلُح لله ﷻ :

◙ فقد صلح قلبه لنزول أنوار الله ....،◙ وصلح سره لرؤية سيدنا ومولانا رسول الله ....،◙وصلحت روحه لنيل المطالب العالية : من الأنس .. واللطف .. والودّ من حضرة الله....،◙وصلح جسمه لطاعة الله في ظاهره وباطنه... وفى سرّه وعلانيته..

.....فأصبح كله صالحا لله ﷻ.

.....ومرتبة الصالحين مرتبة عالية ، ولذلك جعلها سيدنا إبراهيم مطمح أمله وغاية مُناه . فغاية مُنى العبد الصادق مع مولاه :

.....أن يلحقه الله بالصالحين : بأن يجعله الله على آثارهم ، لأن الله ﷻ ، لا يُجمِّل بأخلاق الصالحين ، ولا بأحوال الصالحين.....: إلا من أحبه واصطفاه لذاته ﷻ .

.....فإن هذه الأخلاق ، وهذه الأحوال ، كما قال سيدنا إبراهيم : "هبةٌ من الله" : ﴿ رَبِّ هَبْ لِى ﴾ :

ليست بعمل ولا بأمل ، ولا بتعب ولا بنصب ..... وإنما هي مواهبٌ يهبها الكريم الوهاب لمن يشاء من عباده. .....

.....فسيدنا إبراهيم ، عَلِم علم اليقين : أن ما يطلبه ؛ لا يُنال بالأعمال ، وإنما هو وهب من حضرة المتعال ، فطلب هذا الوهب : فقال : ﴿ رَبِّ هَبْ لِى ﴾ ، ولم يقل : "الهي هب لي " ، أو: " يا ألله هب لي " ، وإنما خاطب الرب : لأن هذا العطاء خاص بمقام الربوبية ، أو يفتحه الله ويناوله ...لمن أقامه في مقام الأستاذية لتربية المريدين والسالكين ... في كل وقت وحين . ...

فقد قال ﷺ مبينا هذا المقام :

{ الله المعطى وأنا القاسم }[1]

.....فالله يعطى ، والعطاء كله من الله ....لكن :.... مَنْ الذي يوزع ؟

.....سيدنا رسول الله ﷺ .....كيف سيحاسبه الله ؟

.....إنه ، قال له عز وجل:

﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

[الآية(٣٩) ص]

.....وقال : " فامنن " ، يعنى :

الذي تعطى له...لك المنة عليه ، لأنه لم يفعل شيئا ؛ حتى ولو كان بذل كل ما يستطيع ليستحق به هذه المنّة ، التي تفضلت بها عليه .

فالمرء حتى لو بذل كل دنياه ، لا تساوى ذرة من عطاء الله عز وجل ؛ لأن عطاء الله باقٍ ، والدنيا بما فيها فانية..!

.....فقال له الله : ﴿ فَٱمْنُنْ ﴾ ، يعنى :

أنت لك المنة ؛ لأنك تعطى عطاء الله ، وتعطى فضل الله ، وتعطى كرم الله ، وتعطى منح الله بلا شئ ... أو بلا مقابل من عـــــباد الله الذين يتفضل عليهم سيدنا رسول الله ﷺ

.......﴿ أَوْ أَمْسِكْ ﴾ ، وأمسك هنا :

...... ليس معناها لا تعطِ ....، لأن الذي له عطاءٌ... لا بد أن يأخـــذ عطاءه . فأمسك هنا : حتى يبلغوا أشدهم ....، ويستووا في سلوكهم... ، ويتأهلوا لنيل ما قُدِّر لهم ...من الله عز وجل .

......فولى اليتيم : ينفق عليه من ماله ، ويعطيه من مالـــه ، ولكنـــه لا يسلمه له .... إلا عند البلوغ .

---

(١) رواه البخارى عن معاوية

......وهكذا الأمر في علم الحقائق : فإن الوصيَّ الذي خلّفه النبى وصيا على الجواهر اليتيمة :.....وهم العباد الذين لا يرجون في الـــدنيا : إلا نظرة من المنعم الكريم الجواد ﷻ .

......وهؤلاء :....

......كل واحد منهم جوهرة يتيمة ، لأن النـــاس تدنّـــسوا بالـــدنيا ، وبالأهواء ، وبالشهوات ، وبالشبهات ، بل وبالمعاصي ، والمحرمـــات .

.....وهؤلاء :......

.....لم تطرف الدنيا أعينهم ، ولم تشغل النفس قلوبهم ، بـــل وجّهـــوا كلهم إلى الله ﷻ .... وغاية مناهم أن ينظر إليهم مولاهم ، وبهجـــة نفوسهم : إن يرفع الله الحجب عن قلوبهم ، وغاية مطلوبهم أن يتمتعوا بنظرة من وجه حبيبهم ﷺ ....:

وغاية بغيتي يـــبدو حبيبي .... بعين الـــروح لا يبدو خفـــيا
فنظرةٌ منك يا سؤلي ويا أملي .... أغلى عليَّ من الدنيا وما فيها

هؤلاء بلا شك ...:

.....جواهرٌ يتيمة !، في وسط هذه الغابات التي نراها في كوننا ...، ونعيش بينها ...، ونراها في من حولنا ...، أو في من نتنقل إليهم في أرجاء المعمورة ......

......فهؤلاء يتولّهم وصيُّ النبى ﷺ : فيواليهم بالأنوار ، ويمدُّهم بالعلوم والأسرار . .....ولكن بمقدار......!

......حتى يبلغوا أشدَّهم في علم الحقائق ، ويصلوا إلى الغاية التي عندها نهاية مقام السالك ...وبداية مقام الواصل.....

...... وهنا : يسلمونهم الخزائن التي إدّخرها الله ﷻ لهم ، ويعطونها لهم .....بعد أن ملكوا نفوسهم .....

......فلا يُخرِجُون منها ...إلا لمن أراد الله ﷻ ..له ذلك..........:

﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [آية (٨٣ :٨٩) – الشعراء].

.......وكل كلمة من هذه الكلمات ، تحتاج إلى كتب في تفسيرها ، حتى نعرف علم اليقين...: أن هؤلاء الكُمَّل من الرجال ...من أين أخذوا هذه الكلمات ؟ ، وأنهم لم يطلقوها جزافا !! وإنما أخذوها ..بعد أن أطلعهم الله ﷻ وكاشفهم بأنوار حضرته......:

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ [الآية(٧٥) الأنعام].

فيا هناءة من ينظر إلى كلمات الأنبياء والمرسلين في كتاب الله ويتدبرها ......ويناجى بها مولاه........

......فإنها ..كما قال الإمام أبو العزائم ﵁ وأرضاه :

" قصص الأنبياء والمرسلين في القرآن الكريم ؛ هي شراب القرب لكمَّل الرجال ".

......لأن منها ....:

يتعلمون كيف يخاطبون الله ....،

ويتعلمون حسن الأدب في الحديث مع الله ....،

ويتعلمون الأمر الذي يطلبه المرء .. في كل مقام من مقامات سلوكه ــ من الله ــ ....، والأولوية في الأشياء التي يطلبها من الله ...:

......قــــــــــال ﷺ :

{ يحتاج الناس العلماء في الجنة ، كما يحتاجون إليهم في الدنيا ، قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؟. قال : عندما يتجلى لهم الله عزَّ و جلَّ ؛ ويقول لهم : ماذا تطلبون؟ فيتحيرّون..!!. فيذهبون إلى العلماء ،ويقولون لهم : ماذا نطلب..؟ فيعلّمونهم الأشياء التي يطلبونها من الله عزَّ و جلَّ }[٢] .

......نسأل الله عز وجل ....:

......أن يرزقنا الأدب مــع أنبيــاء الله ورســله..... ، وأن يفقّهنــا خطابهم.... ، وأن يتجلّى لنا بالفضل الكبير ..حتى نسير في الدنيا على آثارهم ، ونحشر يوم القيامة في زمرتهم .

......وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(٢) رواه القارى فى الميزان

الفصل الثانى

جهــــــــاد الســــــــالــكين

- تصحيح الوجهة
- السالك الصادق
- جهاد خواطر النفس
- العبودية الحقّة لله عزّ و جلّ

تصحيح الوجهة (*)

قال الإمام أبو العزائم ﷺ :-

أبدا إلى هذا الجناب حنيني ... لا صبر لي حتى تراه عيوني

......الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه ، يعلمنا في هذا البيت وما بعده ، الوجهة التي يجب أن يكون عليها السالك في طريق الله ....من البدء إلى الختام.....، صحيح أننا كلنا ، والحمد لله ....في البدء كان منهجنا ، ما وضحه الإمام أبو العزائم في قوله :-

الحب مبدأنا والوجه قبلتنا ... والمصطفى قدوتي فاعلم مراقينا

......لكن حدثت أمور ، وتغيرت أحوال ، فتغيرت معهـــا وجهتنـــا ، فأصبحنا كمن يتعلق بالسراب ، ويظن أنه سيجد الماء ....!! في حين أن وجهته قد تغيرت ......!!!......والوجهة هي التي عليهـــا المعـــوّل في طريق الله عز وجل.....،......فمن السالكين :

......من يكون وجهته الله ......

......ومنهم من تكون وجهته الدنيا .....

ويقبل على الصالحين : على أمل أن يحصل على الدنيا عن طريق الناس الطيبين الذين يمشون في رحاب الله عز وجل، .

......ومنهم من يكون وجهته الـــــدنيا ، والظهور ...يعنى : يريد أن يكون رجلا مشهورا ، مثل الشيخ أحمد البدوي والإمام الجيلانى ، ويبقى

(*) كان هذا الدرس بمنزل المهندس / محمد حسن بالإسماعيلية، صباح الجمعة ١١من جمادى الأولى ١٤١٦ هـ ، الموافق ٦/١٠/١٩٩٥م.

له مريدون ..وأتباع ..، ويكتبوا عنه القصص والحكايات .

......ولكلّ مُــناه ....

......في حين أن هؤلاء الذين ذكرناهم ، لم يخطر ببال واحــد منــهم الظهور والشهرة ، أو أن يكتب واحدٌ عنهم حرفا ، قليلا ..أو كثيرا .

......وهناك وجهات كثيرة تنتاب السالكين ، وتخطر على بالهم ، وتمر على نفوسهم... في سيرهم وسلوكهم لله عَزَّ وَجَلَّ.

......والرجل هو الذي لا يتحوّل ، ولا يتغير ، ولا يتبــدّل ...مهمــا تعرض له من متع ، ومهما ألحت عليه الدنيا بالنعم ...وأغرتــه بــالفتن .لأن مقصده الله عَزَّ وَجَلَّ .

......والذي يعرف مقصده ويحدد وجهته ، فلا يوجد شئ في الوجــود يستطيع أن يغيرّه أو يبدّله ، لأنه واع لمراده وناصح لمقصده ، ولا يريد أن يغير هذا القصد ، وهذا ما أشار إليه الإمام أبو العزائم في قوله :-

أبداً إلى هذا الجمال حنيني ... لا صبر لي حتى تراه عيوني

......الحنين ، والشوق ، والحب ، والود ، والغرام ، ...لمن ؟

......إما لله ، وإما لسيدنا رسول الله ﷺ ، وإما للسبب الذي يوصّلنا لله ولرسوله ....:فمرةً يوجهنا أبو العزائم إلى الله ؛ فيقول لنا محفّــزا ...ومثيراً كوامن الشوق ....:-

لمن الحنين أحبتي ورفاقي ؟ ... هذا الحنين إلى الكريم الباقي

ومرةً.... يحولنا إلى رسول الله ؛ فيقول :-

هذا الحنين لمن أنا له صورة ... قد جُمِّلت بمعالم الفتَّاح

......والصورة المجملة بمعالم الفتاح هي صورة سيدنا محمد ﷺ .
......فدائما يحرك العارفون السالكين :...بالغرام ، والود ، والشوق ، والهيام ...إلى الله ﷻ ، وإلى رسوله ﷺ ،
......ولذلك فالمريد الصادق يحافظ على هذه الأحوال....:
فلا يحوِّل شوقه في يوم من الأيام ....: إلى الحصول على المال ..... ، أو يحوِّل وجهته إلى طلب الأموال.... ، أو يجعل همّه كله في الحصول على المناصب الفانية .... ، أو يجعل وقته كلـــه للزوجـــة والأولاد... ، أو لغرض من الأغراض التي تشتت شمل الإنسان ..... بعد أن كان مجموعا على الدّيان ﷻ.....
......لأن المعروف أن السالك قبل سلوكه :
يكون متشعب الهموم : همٌّ نحو الأولاد ...، وهمٌّ نحو الزوجة ...، وهمٌّ نحو اكتساب الأموال ...، وهمٌّ نحو الحصول على الجاه ....
......ولكن بمجرد دخوله الطريق :
......يستحضر في نفسه ما قاله أهل التحقيق:-

قد كان لي أهواء مفرقـــــة ... فاستجمعت مُذ ْرأتك العين أهوائى
تركت للناس دنياهـــم ودينهم ... شُغْلا بذكرك يا ديـــنى ودنيـــائى

السالك الصادق

إذا كانت المصيبة الكبرى :
......للذي لا يعرف الشوق والغرام للملك العلام ،
......فإن الذي عرف الله ، ووحّده بالقصد ،... وبعدما وحَّد مطلوبه ، رجع ثانية إلى أودية التفرقة...!!، تكون مصيبته أكبر..!!
وتلك هي الطامة العظمى التي ترد السالكين ، من أعلى مراتب القرب إلى أسفل أودية البعد – والعياذ بالله ﷻ– ......
......لأن الإمام أبا العزائم ، يُـعَرِّف السالك فيقول :
......السالك من توحَّد مطلوبه ، ورضي بما قدَّره محبوبه.
أي لم يعد له مطلب إلا رضاء الله ﷻ... وما دام توحَّد مطلوبه : فـلا بد أن يرضى بما قدَّره محبوبه ....
.....ولذلك وردت هذه القصة عن الإمام أبي العزائم :
.....فقد كان في زيارة للشندويلى باشا ، وكان من شندويل .
وأثناء الزيارة ، وقع بصر أحد المريدين على بنت الـشندويلى باشـا ، فأُعجب بها ، وظل مشغولا بها ، حتى تمكنت صورتها من نفسه ، فافتتن بها ، وتغير حاله ، وتبدّل شأنه :..... لأنه غيَّر وجهته.
فلما لاحظ الشيخ ما ظهر عليه ، دعاه وسأله عما به .
ورغم ما به ؛ إلا أنهم كانوا صادقين ....، فلا يكذبون على الشيخ — لأن الكذب على الشيخ كذب على الله ورسوله — ومن كذب علـى الأشياخ : لا يُفلح في طريق القوم أبدا ؛ ولو كان الكذب بحجة صوّرتها له نفسه ، أو دعوة قدمتها له نفسه ، لأن هذا لا يجب مـع الله ﷻ ،

ومع رسوله ، ومع الصالحين من رجال الله ....فكيف يكونوا مع الصالحين ، ويكذبون عليهم في مواجهتهم .
فأخبره بحاله .
فطلب من الباشا أن يزوج ابنته من هذا الرجل ...فأسرع الباشا في تنفيذ الأمر ، وجهّز مكانا ، وأسسه ، وحدّد ميعاد الزواج.
وأخذ المريد محبوبته إلى مخدعها ....بعد أن عقد قرانه عليها...، ونام معها في مكان واحد ، ....
وفى الصباح وجدها قد فارقت الحياة الدنيا...!!،
فأسرع إلى الشيخ ...مهموما ...مغموما...، وقال له :
فلانة ماتت . فقال له :
ابقَ معها حتى آتى ......وتباطئ الشيخ في الذهاب . وعندما ذهب ، وجده خارجا من الغرفة ، فقال له :
لم تركتها وحيدة في الحجرة !، ولم تجلس معها ؟
فقال له : إنها ماتت .
فقال له : لكن الوفاء أن تجلس معها، وهى ميتة !!
أليست هذه هي التي ملكت عليك مشاعرك ، واستولت على لُبّك ...وقلبك ؟.........ثم لطمه على وجهه ، وقال :

يا بُنى فتِّش عن محبوبك .

......فالسالك لا محبوب له إلا الله ...، ولا مقصد له إلا الله ...،
......وإذا تزوج ؛ فإنما يبغى بذلك زوجة صالحة تعينه على الوصول إلى خالق نفسه .. حتى لا ينظر إلى فلانة وعلاّنة ....،

......وإذا سعى للأرزاق ؛ فسعيه حتى يكفّ نفسه عن سؤال النـــاس ...، ويتفرغ لله ﷻ ...، وليس لكي يجمع المال....الذي يـــبنى بـــه عمارات ...ويشترى به سيارات ، لأن هذا ليس شغله ،

......وإذا رزقه الله بالأولاد :....قام بهم كما كلّفه رب العباد ؛ تنفيذا للتكليف الذي قال الله فيه :

﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾
[الآية(٦)تحريم]

......فلا يشتغل بهم بالكلية ، ولا ينصرف إليهم عن الله ....

......وإنما همّه كله إلى الله ﷻ ،..... عملا بقول الله ﷻ :

﴿ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾
[الآية ٩ – المنافقون].

جهاد خواطر النفس

يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه :-

وغاية بغيتى يبدو حبيبى ... بعين الروح لا يبدو خفيا

......فكلّما تهمّ النفس : أن تكسل ، أو تقعد ، أو تتوانى ، أو تقصّر ، أو تغفل ، أو تنشغل عن الله ، يقول لها السالك :

.....إلى أين وصلت في طريق الله ؟!! وماذا حققت من الهدف الـذي تضعينه نصب عينيك...؟!!

.......وهذا الهدف أشار إليه سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه ، في قوله :

جمالكم نُصْب عينى ... إليه وجهت كلى

فهو متوجه بالكلية إلى الله عز وجل ، ولذا فلا يصغى لخواطر النفس التي تمنعه ، وتحجبه ، وتشتت شمله..!، لأنه يريد أن يُجمع على الجامع عز وجل.

......فإن المريد إذا ركن لهذه الخواطر ، وتركها تتحـرك في نفـسه ، انفعل بها ، وتأثّر بها فوقع ،..... ولو بدون قصد : في أوحال التوحيـد والعياذ بالله ، فلا يستطيعُ أن يكمل مشوار السفرإلى الله ، إلا إذا قيّض الله له مَنْ يخرجه من هذه الوحلة.....!!

......لأن أكبر وحلة ...توحل المريد ؛ أن ينصرف عن قصده ، أو تتغير وجهته ، أو تضيع همته في الله ولله عز وجل.

.....ولذلك فالذين وصلوا واتصلوا ،

...... بم وصلوا واتصلوا ؟

.....باليقظة الدائمة لهمم النفس ..، وخواطرها ...، وبواعثها .

......فإذا كانت الخواطرُ تعينهم على قصدهم ، وعلى تحقيق مطلوبهم :
فرحوا بها وهشّوا وبشّوا لها.
......وإذا كانت الخواطر تؤدى إلى تفرقة شملهم ، وإلى الذهاب بجمعهم، وإلى صدّهم وإبعادهم عن محبوبهم :
ضربوا بها عرض الحائط ، وانطلقوا إلى الله ﷻ فرارا ....:

﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾
[الآية(٥٠) الذاريات].

وكلمة "فِرّ" :
تعنى أن الأشياء التي يتعرض لها السالك ليست سهلة ....!!
لأنها تحتاج منه إلى الفرار .....
وإلا إذا سكت عنها لحظة :
احتوشته وسيطرت عليه... ، فيصبح :
عبدا للهوى.. ، أو عبدا للحظّ.. ، أو عبدا للشهوة.. ، أو عبدا للحرص.. ، أو عبدا للطمع..، أو عبدا للزوجة..، أو عبدا للولد.....، أو عبدا للجشع...
ولا تصلح العبودية لله ......
إلا إذا كنت حرا مما سواه.

العبوديـــةُ الحقّةُ لله ﷻ

فالسالك لكي يكون عبدا لله لابد أن يتحرر من رق الأشياء.

......فكل شئ ملك عليك فؤادك ، وسيطر على لبّك ، وأصبح هــو الذي يتحكم في مملكة نفسك ، ويُصْدر الأوامر لجوارحك :

......فأنت عبد له !.

......فالعبد الذي تمكن في مقام العبودية لله :

هو الذي لم يعد في تجاويف قلبه ذرة لغير الله ..، ولا في أفيـــاء نفـــسه خاطرة إلا لله ..، ولا تتحرك جوارحه ، ولا تسكن إلا بأمر من الله ..، أو بإذن من الله ..، وهذا هو السلوك الذي كان يمشى عليه الصالحون .

......والمريدون يستعينون بالصالحين لتحقيق هذا الغرض ، والوصـــول إلى هذا المقصد . والسالك :

هو من توحَّد مطلوبه ، ورضي بما قدَّره محبوبه .

......وهذا يلزم على الشيخ المرشد أن يعينه بهمته ، وأن يمـــدّه بحالـــه وإرادته ، وأن يكشف عنه حجب بشريته ، وأفْيَاء حظوظ نفسه وهوى إبليسيته ، حتى ينقشع عنه كل حجاب ، فيدخل في معية الأحبـــاب... ويقال له : ها أنت وربك...!!

......لكن مصيبة هذا الزمان : أن السالكين يريدون :

......أن نعينهم على تكثير الرغيفين ..، وزيادة القرشين ..، وعلى أن يكون مسؤلا ؛ ويتحكم في الآخرين ..، وعلى أن يسافر للحصول على دنياه وحظه وهواه ..، وعلى مثل هذه الأمور ....

......وهذه ليست وظيفة المرشدين.!

......وإذا ما اعترضوا على هذه الأمور حرصا عليه ، وعطفا عليه ، وشفقة عليه ، حتى لا يضلّ ....:

يرتاب ، ويشك ، ويغضب ، ...وربما يقاطعهم.... ويجفوهم.. لماذا ؟

......هل هذا هو العهد الذي تعاهدنا عليه ...؟

فقد تعاهدنا على أن نساعد بعضاً في الوصول إلى الله .

و في سبيل ذلك ...، وفي ما بين ذلك ...، فقد وعدنا الله عز وجل ... ما دمنا نخلص القصد لحضرته :

أن يغنينا عما سواه ، بالنسبة لحوائج الدنيا ، وقد كان المبدأ الذي يلقّنه العارفون للسالكين :

(كن بما في يد الله ، أوثق منه بما في يد نفسك).

وقد قال عز وجل في الحديث القدسي :

[إذا كنت أرزقُ من غفل عني وعصاني ...، فكيف لا أرزقُ من أطاعني ودعاني..] .

وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

الفصل الثالث

مملكة النفس

- الفرق بين خواطر النفس ووساوس الشيطان
- جهاد النفوس
- النفس الجمادية
- النفس النباتية
- النفس الحيوانية
- النفس السبعية
- النفس الإبليسية
- النفس الملكوتية
- العطايا الإلهية
- النفس القدسية
- الجهاد الأعظم



الفرق بين خواطر النفس ووساوس الشيطان (*)

سؤال :

.... لمـاذا نعـانى مـن إبلـيس ؟....... ولمـاذا لا نجعل إبليس هو الذي يعانى منا ؟

الإجابة :

.......أنت لا ترى إبليس :

﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ :
[الآية ٢٧ – الأعراف].

.......إبليس هو الشماعة التي نعلق عليها أخطاءنا ، قال القرآن :

﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [الآية(٧٦) النساء].

........وكيد النساء أشد منه :

﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ [الآية(٢٨) يوسف].

فالمشكلة التي معي ومعك ، ليست إبليس ..وإنما كما قال ﷺ :

{ أعدى أعداؤك : نفسك التي بين جنبيك}[3]

.......كيف أعرف أن الوسوسة التي بصدري ، من النفس ....وليست من إبليس ؟

.......عدة أشياء :.......أولها ....:

......إبليس يأمر بالمعصية ، أو بترك الطاعة ؛ فيُزيّن لي معصية كي أقع

(*) كان هذا اللقاء بمنزل الحاج / عبدا لماجد أبو دوح بقرية الرزيقات – قبلى – مركز أرمنت – محافظة قنا – مساء الأربعاء ٣ من صفر ١٤١٧هـ الموافق ١٩٩٦/٦/١٩م بعد صلاة العشاء .

(٣) رواه العسكرى فى الأمثال عن سعيد بن أبى هلال

فيها ، أو يُقْعدني كي لا أصلي الصبح حاضر ، ويحضر لي مخارج وعلل نفسية ، كي أُقنع نفسي وأطيع لوسوسته .
.......أما النفس فتأمرني بالشهوات ....والفرق شاسع بين الأثنين.
فالنفس شهوة مطعم أو مشرب أو ملبس...أو منكح فاحذر بها الداء الدفين
......الفارق الثاني :
......إبليس : عندما يأمرني بمعصية ، لا يلح ....لأنه يريد أن أقــع في المعصية بأي كيفية ، وعندما لا أفعل هذه المعصية.... يُزيّن لي غيرهـــا ، لأن أهم شئ عنده.... أن أفعل المعصية.
......أما النفس : فطلباتها تلح عليّ فيها ، ولا تتركني حتى أفعـــل مـــا تأمرني به !!، فمثلا تشتهى نفسي أكل أكلة معينة : لا تتركني نفسي إلا إذا أكلتها ، أريد أن ألبس هذه الملابس تستمر ورائي وتلح في الطلب .
......وإبليس بغير النفس لا يستطيع أن يفعل شيئا.....
......ولذلك قال بعض الصالحين :
" من الناس من اشتغل بمجاهدة إبليس فأوقعهم ذلك في التدّليس ، ومن الناس من اشتغل بمجاهدة النفس ؛ وجعل كل الدنيا والآخرة خلف ظهره ، فوقاه الله عز وجل همَّ إبليس ، وما عداه ".
......وأنا لا أستطيع أن أشغل نفسي بمحاربة إبليس ، وإنما الفَطِـــن : يُقْبل على الله ....إلى أن يقول الله تعالى في شأنه : هذا في معيتى :
﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [آية(٤٢) الحجر]
.......أي إياك أن تقترب من هؤلاء ...!!!
.......فهذا سيدنا عمر ، عندما كان يمر بشارع لا يستطيع إبلـــيس أن

يمر من هذا الشارع ، ومعنى ذلك أن سيدنا عمر كان يحفظ حتى أهـــل هذا الشارع من وسوسة الشيطان ......، ولذلك قال فيه ﷺ :

{ ذاك رجل يفرق منه الشيطان } [٤]

جهـــــاد النفـــــوس

أما المصيبة الكبرى ، فهي النفس التي بداخلك :

﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ﴾

[آية (٥٣) يوسف].

......وكلمة أمَّارة : معناها كثيرة الإلحاح ، تستمر وراء الإنسان إلى أن تُحقّق أمنيتها ورغبتها .

......ما طلـــــباتـــــها ؟

هي النفس للداني تحن وترغب ... وللعاجل الفاني تميل وتطلب

.......مـــــــاذا أفعل ؟

........رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، وليس " الكبير " لا بد من مجاهدة النفس....... كـــــيف ذلك ؟

وأنا ليس معي نفس واحدة ، أنا معي نفوس ..:

---

(٤) متفق عليه عن سعد

.......نفسٌ جمادية ، ونفسٌ نباتية ، ونفسٌ حيوانية ، ونفسٌ إبليسية ، ونفسٌ سبْعية ، ونفسٌ ملكوتية ، ونفسٌ قدسية .
.......كل واحدة ...لها :
نزعاتها ......، ووسوستها ......، وهواجسها....، وخواطرها ......، وأمراضها ....، وآفاتها.........، وعلاجها ....

النفسُ الجمادية

النفس الجمادية :

......هي التي تريد أن تجمِّدني عن طاعة الله ، وتجعلُني أتكاسل .
وكلما أنهض ...تثبِّطنى ...، وتُقْعدني عن ذكر الله .، أو عن طاعة الله..، أو عن زيارة أخ في الله. ، أو عنَ أي عمل يقربني إلى حضرة الله.
وتأتى إلى بالأسباب التي أعفيها بها من المساءلة...، فتقول مثلا :
طريق الصوفية كان للقوم الذين ليس لهم عمل ؛ كالصحابة ...كانوا فارغين وليس لديهم مشاغل ....!!.
......نقول لهم : هذه دعوى الجهلاء ، هل الصحابة كانوا لا يعملون ؟
......كلاّ !.....بل كانوا في عمل شديد مستمر ، فقد كانوا لا يفرغون من العمل لحظة : فإما في ميدانً الجهاد ...، فإذا رجعوا من الحرب في ميدان القتال..، فإلى الحرب في ميدان السعي على المعاش ..،
......فهل مثل هؤلاء كانوا فارغين ؟!
......إن سيدنا عيسى قال فيهم : أتباعه رهبانٌ بالليل ، وسباعٌ بالنهار.

وقد وضح ذلك الإمام أبو العزائم رضي الله عنه فقال :-

تراهم نهارا كالسباع شهامة ... كما أمر الرحمن فى طلب البر
وفى الليل رهبانٌ بذكر إلههم ... سكارى حيارى في شهودٍ وفى ذكر

......لكن النفس الجمادية :

۞ لكي تثبِّطك عندما تقوم في الليل لكي تصلى.. تقول لك : أنت وراءك عمل في الصباح ! وإذا قمت بالليل ..لن تستطيع العمل في الصباح !، ونَسِيت هذه النفس : أن الله إذا أقامك ..أعانك .

......فسيدنا عمر :

كان لا ينام ...!!...لماذا ؟......كان يقول :

إذا نمتُ نهارا ضيَّعتُ رعيتي ، وإذا نمتُ ليلا ضيَّعت نفسي .

......قد تقول : وكيف يستطيع الحياة ...الذي يفعل مثل هذا ؟

......الأمر سهل ، فهذا اعتمد على الله ....: فإذا أخذ غفوة ؛ وهو جالس ...يقوم وكأنه قد نام ما يزيد على الثلاثة أيام !!، فلا يشكو من الأرق ، ولا يتقلب في السرير ، ولا يحتاج إلى حبوب منومة أو مهدئة .

......والإمام أبو حنيفة :

كان يعمل تاجرا في السوق ، وكان كما تعلمون...: يصلى الصبح بوضوء العشاء أربعين سنه ، .....متى كان ينام ؟

كان ينام غفوة ..بعد شروق الشمس ، وغفوة ..بعد الرجوع من السوق ، أما العصر ...فكان يدرس العلم ، وبالليل في طاعة الله...

......وكل الأمر :....أن النفس توقفنا عند الأسباب، وتنسينا :

﴿ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴾ [آية(٢١٢) البقرة]

والصالحون لم يسيروا إلى الله ؛ إلا بهذه الكيفية.

✿ وأيضا إذا كان الجو بارداً...، تقول النفس : انتظر ! حـــتى تقـــوم بتدفئة الماء ، ونتوضأ...،.... سبحان الله ! ...هذا القول ؛ ربما كـــان يجوز في الزمن الماضي قبل الأجهزة الحديثة ، أما الآن فالسخان موجود ..وأي وقت أقوم فيه بالليل ؛ فالمياه ساخنة .....

.......ولكن ماذا تريد النفس ؟

.......تريد أن تُجمِّدني....عن طاعة الله ، هذه هي النفس الجمادية .

النفـــسُ النبـــاتيـــة

أما النفس النباتية :

.....فهي القوى الغذائية الموجودة في جسم الإنسان... "المعدة ، الأمعاء ، الكبد ".....وغيرهم :

﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴾ [آية(١٧) نوح].

......وهؤلاء يعملون بأمر الله ، هلَ تستطيع أن تقول للمعدة : اتغدى وانتظري ساعة ...ثم اهضمي الأكل ؟.... أو اهـــضمي هـــذا النـــوع واتركي ذاك ؟.... لا..! ، لأنك ليس لك دخل بهذا الموضوع :

فهي تتلقى أوامرها من ربها ، وتقوم بالعمل على ما يرام ، حتى تُوصِّـــل لكل عضو غذائه الخاص به...: فغذاء العين غير غذاء اللـــسان ، غـــير غذاء الشم ، غير غذاء الأذن ... وهكذا....

فلو ذهب غذاء العين للأذن لن تبصر العين ، ولن تسمع الأذن ، لأن لكل حقيقة غذاءها المخصوص ، ويأخذ الجسم ما يحتاجه بمقنّنات إلهية اخبر الله بها خيرَ البرية ﷺ ، .....

......ما الذي يكفي يا رسول الله هذا الجهاز؟........قال ﷺ :

{ بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان ولا بد : فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه }[٥] .

......متى أُدخلُ هذا الثلث ؟

......عندما تجوع.. ، ....لقوله ﷺ :

{ نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع }[٦].

......لماذا ؟

......لأن المصنع يأخذ احتياجاتنا فقط ، والباقي يحوله إلى جهاز الإخراج ليخرجه ، لكن الذي يُتعب الجسم :

الزيادة ...!!! ، فهي التي تزيد في أحماله وأعباءه وتُعّرضه للأمراض ، لأنك شغلته كثيرا ؛ بغير فائدة ..أو نفع .

...... إذن لا نأكل ..؟؟!

......لا....!

.....بل نجعل الأكل.. مثل الدواء ، فنأخذ منه ما يسد داء الجوع .

---

(٥) رواه ابن حبان والبيهقى عن المقدام بن معد يكرب

(٦) رواه الحارث بن أبى أسامة والبزار والطبرانى وابن خزيمة وابن أبى شيبة عن بُريدة

النفسُ الحيوانية

فلا يكون همي كله ماذا آكل ؟.....وماذا أشرب ؟
.....ومن أين أحضر هذا الصنف ؟ وكيف اصنع في هذا الصنف ؟
.....لأن الشهوات الزائدة في المأكل ، والمشرب ، والملبس ، والمنكح ، من رغبات النفس الحيوانية ....وإنما ميزاني :

{ بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه }

.....لأن القوة ليست من الأكل ، ولكنها من القوى عَزَّ وَجَلَّ، وهذه كلها أسباب ، فالنفس النباتية تشغل الإنسان بالشهوات الغذائية والشربية ، وتجره إلى المحرمات ،..... إلى أن يأكل ما نهى عنه الله ،...... ويشرب ما حرَّمه الله ، فيقع في غضب الله عَزَّ وَجَلَّ .

النفس السبْعية

أما النفس السبعية :
......فهي النفس الغضبية ، وهى قوة الغضب الموجودة في الإنسان.
......فوقت أن يغضب الإنسان تظهر عليه صورة السباع ، حتى أنه يقلد هذه الحيوانات :
إما أن يضرب بيده مثل الأسد !، أو ينطح برأسه مثل الخروف !، أو يركل بقدمه مثل الحمار !، أو يبصق مثل الثعبان .!.
......فيكون مثل الناس الذين يربّون أنفسهم في هذه الحظيرة، أو في

المجتمعات السّبعية ، أما المؤمن....: فغضبه بميزان وضعه النبى العدنان ،
......متى يغضب...؟....... ولِمَ يغضب ؟
......قالت السيدة عائشة رضى الله عنها :
كان النبى ﷺ : لا يغضب لنفسه قط ، ولا يغضب إلا إذا انتهكت محارم الله ﷻ ، فالكفار يؤذونه ..ويحاربونه... ويُسقطون أسنانه.. ويقولون له : ادع الله ﷻ عليهم !،....فيقول ﷺ :

{ اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون }[7].

......وقد كان يتحمّل الأذى ، ولا يظهر عليه :
يقولون شاعرٌ... فلا يرد عليهم ....، فيرد الله ﷻ عنه ..!
فيقولون مجنونٌ .....فلا يرد أيضا..... ، فيرد الله ﷻ عنه قائلا :

﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ﴾ [آية(٤١) الحاقة]
﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾ [آية(٢٢) التكوير]

وكلما يتهمونه بشئ لا يرد ﷺ عليهم ، فيرد الله ﷻ عنه ،.....
وفى هذا يقول الله ﷻ :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [آية(٣٨) الحج]

.....والمؤمنون متى يدافع عنهم الله ؟
.....إذا كانوا على مثل هذا الحال ، الذي كان عليه رسول الله ﷺ.
فإذا ظهر شئ يغضب الله ، أو يُنتَهك فيه شرع الله ، كان ﷺ لا يقوم لغضبه شئ ...... وليس كما نفعل نحن الآن....:
فأنا أغضب من زوجـــتي ، إذا تساهلت في حقي بعض الشئ ، أما إذا

---

(٧) رواه ابن حبان والطبرانى والبيهقى عن سهل بن سعد

تكاسلت في حق الله ...، لا أكلمها ، ولا أعاتبها ...!
وأيضا أفرح بإبنى إذا طلع الأول في الإمتحان ، وأقيم الزينات والأفراح ، وأريد الناس كلها تبارك له بالنجاح .... من أجل أنه نجح في الإمتحان وجائز.. هو راسب عند الديّان : لا يصلى ، ولا يعرف أوامـــر الله ، وأنا غير مشغول بهذا الأمر....!!!!
وهذه هي المصيبة التي يقع فيها كثير من عباد الله ،!!!
.......إذن يجب ألا أغضب ..إلا إذا انتهكت محارم الله عَزَّ وَجَلَّ.

النفـــسُ الإبليـــسيَّة

النفس الإبليسية :
.......هي التي تميل إلى إظهار الفساد في الأرض ...:
......بالغيبة ، والنميمة ، والفتن ، والشحناء ، والمكـــر ، والـــدهاء ، والحقد ، والحسد.... وهذه هي بضاعة إبليس......!!!
.....ولكي يدخل الإنسان على النفس الملكوتية ، لا بد أن يكون كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [آية ٨٩ – الشعراء].

......متى يكون القلب سليما ؟
......إذا سلم من الإصابة بهذه الآفات .

النفسُ الملكوتيــــة

.......ولا يتم ذلك ....: إلا إذا أَعْطيتَ مقاليد القيادة في مملكتـــك ، للنفس الملكوتية الموجودة بداخلك..:
فهي التي تحثُّك على طاعة الله ، وعلى الحياء من الوقوع في الـــذنب ؛ خوفاً من غضب الله وانتقامه عَزَّ وَجَلَّ.....
وأول علامتها الحياء ، ولذا قال ﷺ :

{ الحياء من الإيمان }[٨].

، وقال أيضا :

{الحياء لا يأتي إلا بخير }[٩].

......فالنفس الملكوتية تحث الإنسان على عمل البر ، والخير ، والطاعة ، والمعروف .
......وقد قال الصالحون لمن يسعى في تزكيتها ، ويعمل علـــى تنفيـــذ مرادالها ..:
عليك بالخاطر الأول ......!!
فإنها تأمرك بأمر..! فإذا انتظرت بعض الوقت لتنفيذه ،... تأتى النفوس الأخرى لتنتقص من هذا الأمر؟
......ومثال ذلك : الإمام الجنيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وقد كان أحد تلاميذه يحج . وكانوا مؤدبين ، وعندما رجع من الحج ؛......

---

(٨) رواه البخارى عن ابن عمر
(٩) رواه مسلم عن عمران بن حصين

قبل أن يذهب إلى بيته ذهب إلى بيت الأستاذ حتى لا يكلفه بمشقة الذهاب إليه ، وبعد عودته إلى منزله إذا بالباب يدقّ...!

فقال : مَنْ بالباب ؟

قال : الجنيد . فقال في نفسه : إنه شيخى ، لأنى لا أعرف أحدا في بغداد بهذا الإسم غير شيخى . ثم تردّد ....، وقال في نفسه :

أنا قادم من عنده ، فلمَ يأتيني الآن ؟

فلم يفتح الباب . فدق الباب ثانية. ففتح التلميذ الباب ..... فإذا بشيخه الجنيد أمامه ....، فقال الأستاذ :....

ما منعك أن تفتح الباب من الخاطر الأول ؟

قال : يا سيدي !، ما كنت أتوقع أن تأتيني ؛ لأنى أتيتك.

فقال الأستاذ : هذا فضلك (مجيئك إلىّ) ، وهذا حقك (قدومي إليك).

......وهكذا الأمر....،

فالنفس تقول : اعط فلاناً خمسة جنيهات ؛ لأنه رجل محتاج أو فقير.

فإذا توانيت لحظة في التنفيذ، تقول أعطه ثلاثة ، ثم أعطه إثنان ، ثم تقول لي : إنه ليس محتاجاً..... لا تعطه شيئا..!!، فإذا بالخير وقد ذهب منّي ،........... **ولذلك فعليك بالخاطر الأول**.........

......فعندما تأمرك نفسك بعمل من أعمال الخير : سارع إلى عمله ، ولا تتوانى لحظة .

......فإذا استيقظت في الليل لتقوم للتهجد :

تقول لك النفس ، باقي على الفجر ساعة ، وهذا وقت طويل ، ويكفى صلاة ركعتين ، فنم وعندما يتبقى على الفجر ثلث ساعة ، تقوم....!!!!

فتنام ...، ولا تقوم إلا بعد أن تسمع الناس.. وهم خارجون من المسجد بعد الصلاة ...!،............ ما سر هذا ؟

......أنك لم تسمع الكلام !!، ولم تنفذ الخاطر الأول !!.

......وكذلك عندما يعطيك الله مالا من أجل الحج :

تقول النفس : العيال أوْلَــى ..... أنا لا أعرف هذه الفتاوى من أيــن أوجدوها ؟.. ، مع أن العلماء أجمعوا أن الحــج فريــضة ، أمــا زواج الأولاد فليس فريضة عليَّ . وإنما تربيتهم ...هي التي فُرضت علــيَّ ،

......عندى حج ..، وعندى ولد سيتزوج ...، ماذا أفعل ؟

أبدأ بالحج ؛ لأنه فرض ، ودَيْن سيحاسبني الله ﷻ عليه ...، وأنا غير مكلَّفٌ بالزواج ، ولكنّى مكلَّفٌ بالتربية فقط .

وإن كان الأمر يختلف بالنسبة للبنت المؤهلة للزواج ، فالواجب : البدء بتجهيزها ، يقول : أنتظر إلى أن انتهى من زواج الأولاد ، ثم أحج.

......ولكن ما الذي يحدث ؟

......أنه عندما ينتهى من زواج الأولاد : لا يجد عنده مالاً ! أو صحة !

فيقولون له : سقط عنك الحج .... لأنه لم يعد لديك صحة....،

وهذا خطأ أوقعته فيه النفس يا اخوانى....

......فطالما أن الله ﷻ هيّأ لي الأسباب : لا أتوانى عن تنفيــذ أمــر الوهاب ﷻ لحظة ....، ولا طرفة عين....، ولا أقل من ذلك .

العطايا الإلهية

والنفس الملكوتية .. بها العطية..:
......فبعد إن تزكيها يأتي لك الفتح ، وعلى يديها تأتى لك الفراسة..:
{اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله }[١٠].
ويجئ لك الإلهام .، ثم يجئ لك النبى ﷺ ، ويفتح الله لك باب العطاء..، لأنه "مكتوبٌ على حضرة القدوس لا ينالها أصحاب النفوس".
......وآفات النفس الملكوتية :
......أن النفوس الأخرى ، ربما تضحك عليَّ فتوصل للنفس الملكوتية وشاية .." أنى أنا الذي أعمل هذا وذاك من أعمال الخير والبر ":
وهذه **مصيبة** في طريق الله ﷻ ...!!....:
لأنى **لا أرى توفيق الله** ، ولا معونة الله ، ولا فضل الله ، ولا إكــرام الله ﷻ لي في هذه الأعمال.
......ولذلك على السالك أن يستمر في الجهاد ....، إلى أن يرى فضل الله عليه... ، وفيـــه ....:
فيرى أنه لا يتحرك حركة ، ولا يسكن سكنة ، إلا بتوفيـــق مـــن الله ، وبمعونة من الله ، وبإذن من الله ﷻ له.
......فمن ينظر بيقين في أعماله :
يشاهد فيها فيلم تليفزيوني ؛ يرى فيه فضل الله وتوفيق الله ومعونة الله.
.......وفى هذه الحالة ينسى حظوظه ؛ لأنه يرى أن أكبر لذة يتمتع بها .:
.... هـــي ذكـــرُ الله :

---

(١٠) رواه الطبرانى عن أبى أمامة

لأنه ليس عنده لذة أكل اللحم ..أو أكل الجاتوهـــات..، لأن اللـــذة العظمى عنده في ذكر الله ﷻ ....، والمنة الكبرى لديه : أن يتعطّـــف المصطفى ﷺ عليه ...، ويوقفه بين يديه...:

فهذه المنة ...: لا تساويها كنوز الدنيا كلها ؛ من أولها إلى آخرها.

......ويظل في هذا الجهاد ، حتى يتفضل عليه الكريم الجواد ، فيفنيـــه عن نفسه ، وعن حسِّه ، ويتفضل عليه الله ﷻ بنفخة من روح قدسه ، ويعطيه الله ﷻ ......:....**النفسَ القُدُســــــية** .

النفـــسُ القُدُســــــية

والنفس القدسية :

.....هي النفس المحفوظة عن المعاصي .

.....**فعندما يهبها الله ﷻ لعبده : ....يتعهده بحفظه** .

.....فكما تعهَّد أنبياءه ﷻ بعصمته ....، يتعهَّد أولياءه :

بحفظه .....وكلاءته ....وصيانته..... : فحتى لو خطرت المعصية على باله ــ وهذا لا يحدث ــ فإن الله ﷻ يمنع عنه الدواعي ، فـــلا يجـــد الأسباب التي تعينه على فعلها...، بل يجد الأسباب الـــتي تـــردُّه عـــن الاقتراب منها..، قال ﷺ:

{ إن من العصمة ألا تجد }[١١].
أي لا تجد داعياً يدعوك إلى المعصية .

....
....
.............فهذه مراحل الجهاد ....التي تجاهدها مع النفس .

الجهـــادُ الأعظـــم

تلك الرياضة يا مسكين غايتها ... ذُلّ ومسكنة إن صح أنت ولى

.......وجهاد النفس هو الجهاد الأعظم.
.......ولا يوجد شخص يستطيع أن يجاهد نفسه بمفرده ....،
.......إذ لا بد من وجود ......:
.......ﷺ طبيب تخرج من كلية :
﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [آية(٢٩) الفتح].

(١١) رواه الإمام أحمد فى زوائد الزهد عن عون بن عبدالله

......◉ ومعه أشعة مكتوب عليها :

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ [الآية(١٠٨) يوسف].

......◉ ثم يكشف عليّ بالأشعة التي معه ...ويبين لي عيوبي....

......◉ ويعطيني الدواء من صيدلية القرآن ، وأجزخانة النبي العدنان .

لأن القرآن صيدلية ، والسنة صيدلية .... لكن أنا لا أعرف ....:

ما الذي بي ؟.....!!

ولا ما الذي يناسبني من هذه الصيدلية ؟......!!

فلا بد من خبير ؛ أشار إليه العلي القدير في قوله :

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [آية(٥٩) الفرقان].

فإنه يعرف ما بي ، ويعطيني الدواء المناسب لي .

.....مثل ما كان رسول الله ﷺ يفعل مع أصحابه .....:

.....فشخص يقول له : .....ما دوائي ؟

......يقـــول له	:	لا تغضب ...،
وآخـــر يقول له	:	لا تكذب ...،
وثالـــث يقول له	:	أنت ترفع صوتك بالقرآن....،
ورابـــع يقول له	:	اخفض صوتك ....،
وخامـــس يقول له	:	كفاية عليك صيام ثلاثة أيام من كـــل شهر.......
فيعطي كل رجل	:	تذكرة الدواء المناسبة لقواه الروحانية ، وأعضاءه الجسمانية.

......فإذا كان الطبيب ليس معه إذن من الحبيب ﷺ :
فيجوز أن يعطيني مضاد حيوي ألف وحدة ......، وأنا لا أتحمل إلا مائتين وخمسين وحدة ..!، إذاً لا بد أن يعطيني الجرعة التي تناسبني ، وإلا فإنه يعرِّضني للموت...!!
وهذا ليس هو الطبيب الروحاني ؛ الذي بواسطته أستطيع أن أجاهد نفسي.
......ولذلك قالوا :....
......بالحال تزكية النفوس ......لا بالفلوس ، ولا بالدروس .
......من أين نحضر الحال ؟
قال الإمام أبو العزائم رضي الله عنه :-

فتجملوا بالحال من باب سما ... بالفضل ناولكم رحيق مدامى

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الفصل الرابع

جهـــــاد العارفـــــين

- جهاد العارفين
- تخلية القـــلب
- الخلق الحســـن
- المـيراث الـمحمَّـدى
- حقيقـــة الزهـــد



[*]الحاج الحسن :

......يسأل عن الحكمة التي يقولها أحد العارفين :

" يُفتح على العارف في نومه ؛ بما لا يفتح به على العابد في يقظته، "

.....وهذه الحكمة نحن قد شرحناها في كتابنا "طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين"،... لكن سوف نبينها هنا ببيان آخر.....

..... فعندنا في طريق الله عز وجل ....، هناك فرق بين طائفتين من السالكين ....:

.....أحدهما يسمونه عابدا ....، أو يقولون عليهم العُبّاد.

.....والآخر يسمونه عارفاً ....، ويضيفون إليهم الزاهد ...

.....وهاكم تفصيل ذلك :

العابد هو : الذي يجدّ ويجتهد في عبادة الله عز وجل :

فيكثر من الصيام ، ويكثر من القيام في الليل ، ويكثر من تلاوة القرآن ، ويكثر من الصلاة على الرسول ، فتكون له منزلة كريمة عند الله في الدار الآخرة ...أو في الجنة .

ولذلك فالآية التي نزلت تبين منزلتهم هي قول الله عز وجل :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [الآية(١١١)التوبة].

مَنْ هؤلاء ؟

(*) كان هذا الدرس فى قرية المودة مركز مغاغة – محافظة المنيا .

﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ ﴾ [الآية(١١٢) التوبة].

ولذلك فقد قال بعض الصالحين :

......إذا كان من يريد الجنة : لا بد أن يبيع نفسه وماله لله....،

فماذا يفعل الذي يريد الله ؟

فالذي يريد الجنة لا بد أن يبيع نفسه وماله ...، في حين أن النفس والمال ليستا ملكا له ، وإنما هما ملكاً لله عَزَّ وَجَلَّ، وقد أعطاه الله إياهما، وهو يردهما إليه حتى ينال الجنة .

......إذن فالذي يريد الله ماذا يفعل ؟

......الأمر هنا يكون كما يقول الإمام أبو العزائم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :–

فبذلت الروح لما ... أنْ أتى الداعى وبشّر
وقليل بذل روحى ... للمليك وفيه أُعذْر

في هذا المقام :

فحتى الروح لا تكفى......، إذن ماذا يفعل ؟

يتحقق بقول الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الآية(١٦٢) الأنعام].

.....فيكون كله لله ...!!ومَنْ أعطى الكل أخذ الكل....!!!

ولا توجد حلوى من غير نار ، لأن هذا مستحيل .

.......فالذي يطلبه الكسالى والبطالون من المنتسبين لطريق الله عز وجل ، والذين يريدون بمجرد أن ينتسبوا للطريق ، أن تُفتح لهم أبواب العطاء !! مثل ذلك لا يكون لقول الله عز وجل :

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ [الآية(٤٦) فصلت].

كيف يكون هذا ، وهو الذي قال عزَّ شأنه :

﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ ﴾
[الآية(٧٨) الحج].

أيجتبيك ، ويصطفيك ، .....بدون هذا الجهاد ؟

لا يحدث أبداً ...!!!

وقد قال في ذلك الإمام أبو العزائم رضي الله عنه :-

تريد أن ترى حسنى وترقى ... بلا حرب شديد لا يكون

.......فالفارق بين العابد والعارف :● فارق في النيَّـــة .

......فالعُبّاد قال فيهم الله :

﴿ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا ﴾ [الآية(١٦) السجدة].

خائفين من جهنم ...، وطامعين في الجنة......

.......أما العارفون فقد قال فيهم عز وجل :

﴿ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ ﴾
[الآية(٥٢)الأنعام].

فالأولون خائفون من جهنم وعذاب الآخرة، ويطمعون في دخول الجنة.

لكن العارفين لا ينشغلون بالدنيا ولا بالآخرة ....!!، بل هم مشغولون بوجهه عزّ وجلّ....

.....● والفارق الثانى بينهم : في طريقة المجاهدة :

فالعابد الذي يريد الجنة ، ويطمع أن ينجو من جهنم :

يبتعد عن المعاصي ، ويزهد في الطيبات ، ولكي تكون له منزلة عالية في الجنة : يكثر من الطاعات والعبادات ، وقد طمأن الله عزّ وجلّ مَـنْ هـذا حاله، فقال.......:

﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ [٣٠، الكهف].

لا نضيِّع أجره وإنما نزيده من الحسنات :

﴿ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الآية(٤٠)النساء] .

جهـــادُ العارفـــين

أما العارف فيجاهد في ثلاثة أمور:

......أولا : يجاهد نفسه في التخلص من العادات والمألوفات ، حتى لا تتحكم عادة فيه :

فالذي يشرب الدخان ، يكون عبدا للدخان ، والذي همّـه في الطعـام يكون عبداً لبطنه ، والذي همّه في النكاح يكون عبداً لفرجه .

وهكذا : أي شئ في الوجود يسيطر عليك تصير عبداً له...

ولا يكون المرء عبداً لله حتى يتحرر من عبودية سواه .
فإذا تحرر ، وأصبح حراً من رقّ الأشياء ، صار عبداً لمن يقول للـــشئ كن فيكون ، ولذلك فالنبي ﷺ حذّر من عبودية الأشياء ، فقال :

{ تعس عبد الزوجة ، تعس عبد الخميصة ، تعس عبد البطنة ، تعس عبد الدرهم والدينار ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش }[١٢].

.......ولذلك قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي :
" إذا أردت أن تُخرق لك العوائد فاخرق من نفسك العوائد" .
فالذي إذا لم يشرب كوب شاي بعد الأكل يدَّعى أنه يأتيـــه صــــداع ، يكون عبداً للشاي ...!ولا يوجد لنا معاد نوم ثابت ، لأن الـــصالحين نومهم غَلَبَة ......، فلا يظل الرجل منهم يتقلب على السرير بدون نوم ، ويقول عندى أرق ....
......وقد قالوا عن النبي ﷺ :

{ كان يصوم حتى نقول لا يفطر ، وكان يفطر حتى نقول لا يصوم }[١٣].

فأنا لو صمت الأثنين والخميس دائما مثلا ، قد تصير تلك العبادة عادة ؛ عندما يفقد جسمي ألم الإحساس بالجوع .
لكنهم يريدون أن يخرجوا من العادة ....إلى العبادة.
فلا يعملون أي عمل : حتى ينوون به طاعة الله عز وجل ، سواء كان أكلاً أو شربا ، أو نَوْماً .....

(١٢) رواه البخارى من حديث أبى هريرة
(١٣) رواه مسلم عن عائشة

.....فلكى نقهر العوائد :
لا بد أن نتخلص من العادات ، والمألوفات ، والمستحسنات .. :
﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [آية(١٣١) طه].
......إذن التخلص من العادات ، والمألوفات ، والمستحسنات ......:
هذه هي فترة الجهاد الأولى .
في البداية ...وفي هذه الفترة : يظل السالك يجاهد ..حتى لا تـتحكم عادة فيه ، ثم يحوّل العادات ...إلى عبادات .

تخلـية القلـب

فإذا انتهى من هذه المرحلة :
.....فيجب أن يبدأ المرحلة الثانية في جهاد العارفين:
.....وهى تخلية القلب من المذمومات : كالحقد ، والحسد ، والغـلّ ، والحرص ، والبخل ، والشح ، والأنانية ، والطمع.
وكل هذه الصفات وغيرها ، لا بد أن يُطهِّر داخله منها ...، فلو بقيت في المرء ...حتى صفة واحدة منها ؛ حُرم من المنازل العالية ...والمقامات الراقية ، ...قال ﷺ :

{ لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر } [١٤].

......وقال الشيخ ابن عطاء الله في تفسير هذا :

......المطر عندما يتزل من السماء ...!..أيقف على الجبال العالية ..؟ أم يهبط للأوديـــــة ؟

قالوا : يهبط للأوديـــــــة..

قال : فكذلك ماء العلم الالهى ، والتجلى الربانى ، لا يهـــبط إلا في القلوب التي خضعت وانكسرت لله عز وجل . أما القلوب التي بها كـــبر ، فلا يهبط عليها شئ من علوم المعرفة .

......وقد قال في ذلك الإمام أبو العزائم رضي الله عنه :-

ألا من يكن في قلبه بعض ذرة ... من الكبر والأحقاد ما هو ذائق

......وهذه الملاحظات مهمة ، في جهاد العارفين.

......ولذلك قالوا فيها :

" ليست الكرامة أن تطير في الهواء ، أو أن تمشى على الماء ، ولكن الكرامة أن تغير خلقاً سيئاً فيك... بخلق حسن ".

فمثلاً إذا حولت نفسك من رجل سريع الغضب ...إلى رجل حلـــيم لا يغضب –إلا إذا انتهكت حرمات الله عز وجل– فهذه هي الكرامة.

والكرامة ألا تكون رجلا ...يدك لا تمتد إلا للأخذ..!! لكن يجـــب أن أعلّمها... أن تعطى ! ولا تأخذ ...إلا عند الضرورة.

......وعندما رأوا رجلاً يمشى في الهواء ، سألوه :

......بم وصلت إلى ذلك ؟

فقال : وضعت هواى تحت قدمى ، فسخر الله لي الهواء.

---

(١٤) رواه مسلم والترمذى عن عبد الله بن مسعود

لماذا يقلب الله الأعيان للعارفين ؟

......فيضع أحدهم يده على الحجر فيكون ذهبا !!؟؟

لأن الحجر أصبح كالذهب عنده .

وهذا هو جهاد العارفين ...، وهو غير جهاد العابدين.

.....والمهم أن من مشى في طريق منهم : لا يتركه حتى يصل إلى مراده.

.....والسالك الصادق في هذه المرحلة عنوانه :

" طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس " .

الخلق الحسن

فإذا تخلصت من العادات ، والمألوفات ، والمستحسنات :

......ثم نقّيت القلب من المذمومات ......

......بعد هذا أتخلق بأخلاق سيد الساداتﷺ .

لأن أخلاقهﷺ : هي التي تُدْخل المرء على حضرة الله عَزَّ وَجَلَّ .

فالمرأة التي كانت تقوم الليل وتصوم النهار ، لكنها لم تتجمل بهذه الأخلاق ، قالوا له عنها :

يا رسول الله إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار، ولكنها تؤذى جيرانها. فقال :

{لا خير فيها هي في النار }[15].

لأن الدين المعاملة :

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا

(١٥) رواه أحمد عن أبى هريرة

﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾ [٦٣، الفرقان].

أي متواضعين ...لا يرون أنفسهم على أحد من خلق الله .

......ولذلك قالـــوا : " من رأى نفسه فوق التراب ضلَّ " .

......وقالوا أيضـــا : " ادفن نفسك في أرض الخمول ، تـــشرق عليك أنوار الوصول " .

......وهل هناك رجل في كمال الحضور مع حضرة الله عز وجل ، يـــشغل نفسه بما يخفيه الناس ...في نفوسهم ، وفى بيوتهم ؟.......كلا ...!!

......بل إن الذي مع الله ، لما أراد أن يأتي بالعرش ... قال لمن حولـــه بلسان حاله : أنا مشغول بالله ، ولست فارغاً لمثل هذا الأمر:

﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ﴾ [الآية(٣٨) النمل].

﴿ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ [الآية (٤٠) النمل].

لماذا أمره سليمان أن يأتي به ؟!! مع أنه هو الذي علّمه ؟

لأنه ليس فارغاً لهذه الأشياء ....، فهو مشغول بالله عز وجل ...

فبعد جهاد النفس ، وتصفية القلب :

على العبد أن يتحلّى بأخلاق سيد الأولين والآخرين ﷺ ، من الحلم ، والتواضع ، والجود ، والخشوع ، وغيرها :

ومن قبل كنا ظلاما وجهلاً ... فصرنا بطه رجالا فحولاً.

الميراثُ المحمَّدي

فالولد يرث أباه ..، لأن فيه شبه منه ، ولا أحد يستطيع أن يمنعه.
......فكذلك الذي يريد أن يرث أباه الأعظم ﷺ :
......لا بد أن يكون فيه شبه منه ، أما الذي لا يوجد فيه شبه منه ؛ فلا يستطيع أن يرث . ولا سبيل للميراث المحمدي إلا هذا السبيل !!
......فلا بد للسالك أن يكون فيه شبه من رسول الله ....، ولا يزال يترقى في ذلك ، حتى يكون في يوم من الأيام..... : ابناً لرسول الله روحياً وقلبياً ....وبسبب الوراثة :
يفيض عليه رسول الله من الإفاضة الإلهية التي أفاضها عليه الله عَزَّ وَجَلَّ .
......فأنا والدى عنده خمسون فداناً :... وورثت منه عدة فدادين ، هذه الفدادين ، بكم اشتريتها ؟ وكم جنيها دفعت في ثمنها ؟
لا شئ .!!! وهكذا الحال في وراثة رسول الله ﷺ ، حيث يكون العطاء هنا ..:...مننا ومنحاً من الله .
يقول فيها الإمام أبو العزائم – رضي الله عنه – :–

علم غيب عن شهود ... لا بعلمى أو بعملى
بل بفضل الله ربى ... وبطه خير رسلى
وأنا عبدٌ ظلومُ ... أعلمونى بعد جهلى
كشفوا لي الحجب حتى ... أشهدونى نور أصلى

هؤلاء القوم عندما يصلون إلى هذه الحالة ....، ويرثون هذا المقام ....، يكون أحدهم نائم !!، وتتنزل عليه من الله الغنائم !!.

بينما غيره يقظٌ ، ومتنبهٌ ، ومحرومٌ من الغنائم :.... لأنه لم ينـــل مقـــام الوراثة ، وإنما سلك طريق العبادة ..، فهو يقوم الليل ، ولا يفتح عليه الله ..، فيقول أنا أقوم الليل ولا يفتح الله عليَّ ...، لماذا ؟
لأنه اعتقد أن سبب الفتح هو العبادة .
......بينما يبين الإمام أبو العزائم جلية هذا الأمر ، فيقول :

لا تقل إن وصولى بالعمل ... أو بقطع الوقت في طول الأمل
إن مولانا تنزّه عن عـــلل ... إنه الـــرب المـــنزه والكـــبير

ويوضح أيضاً حقيقة أصحاب مقام الوراثة ، فيقول :

صور الحبيب المصطفى مُثلٌ له ... وهم المرائي للنبى بالإحترام

......سيدنا عبدالله بن عباس – رضى الله عنهما– عندما انتقل رسول الله ﷺ، ذهب يزور السيدة أم سلمة – رضى الله عنها – وكان عندها مرآة ، فنظر في المرآة ، فرأى رسول الله ، لأنه كان يعيش في حقيقتـــه المعنوية ، والتى هي : الحلم ، والعلم ، والكرم ، والجود ، والـــصفاء ، والوفاء ، والنقاء ، والبهاء ....فهذه هي صورته المعنوية .
وعندما أتحلى بهذه الصفات أكون صورة منه ، فأدخل في مقام الصديقية ؛ وينطبق عليّ قوله ﷺ :
{ ما فضلكم أبو بكر بكثير صلاة ، ولا بكثير صيام ، ولا بكثير صدقة ، ولكن بشئ وقر في صدره }[١٦].

(١٦) رواه الحكيم الترمذى وأبو يعلى عن عائشة

......ما هو ؟

......رغبته أن يكون صورة من الحبيب ﷺ.

وبسر هذه الوجهة ، ففيما روى عن أبي ذر ، قال :

{ ما ترك رسول الله ﷺ شيئا مما صبَّه جبريل وميكائيل — عليهما السلام — فى صدره ، إلا وصبَّه فى صدرى }[١٧].

.فالذي يتزل هنا يُنْزله هنا .

......وهذه هي سبيل العارفين ، وهى غير طريـــق العابـــدين ...، ولا وصول إلا بهذا الحال. فالذي يصل إلى هذه الحالة :...يـــرى صـــورة رسول الله المعنوية .

......ورسول الله له في كل نَفَس ...منحٌ من ذات الله وحـــضراته ، لا يعلم مداها أحد إلا الله .

......ومن جوده وكرمه :....أن كل من رآه في صورة أو في مقـــام ، خلعه عليه ، لأنه أجود بالخير من الريح المرسلة .

وليس هذا في الخير الحسي فقط ، كالنقود ..والخبز ، بل إنه في الخـــير المعنوي كذلك : كالفتح ، والوهب ، والحال !!.

لكنه لا يعطيها إلا للذي يريدها : أما الذي يريد الخبز فيعطيه الخبـــز ، والذي يريد حالا يعطيه حالا . فكل من رآه في حال أو في مقام ، أو في حُلَّة ؛ خلعها عليه..! ويخلع الله عليه في الحال : حُلّة أبهى وأبدع منها.

......وهذا العارف بدوره ، كل من رآه بعيونه الروحانية ، في مقام...؛ خلع عليه هذا المقام ، فيخلع عليه رسول الله من عنده... أبهى ، وأجمل ، وأحلى ، وأكمل ، مما خلع على مريديه....

---

(١٧) رواه الطبرانى عن أبى ذر

......وهذه طريقة رقى المريدين ، وطريق ارتقاء الصالحين ، الذي أسس الله عَزَّ وَجَلَّ عليه ديوان الصالحين، من بدء الدنيا إلى يوم الدين .

......لكن كيف يحصل على ذلك وهو نائم ؟

......لقد وصل إلى مقام الوراثة المحمدية :

فأصبح تنام عينه وقلبه لا ينام ، بل يتجوّل في ملكـــوت الله الأعلـــى ، ليأتى بغرائب الحكمة ، ويأتى بمنن ..ومنح ..ولطائف..، يقـــول فيهـــا الإمام على – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأرضاه– :

" إن ها هنا لعلوما جَمّة ، لو أجد لها حَمَلة "

وفيها يقول سيدنا موسى عليه السلام :

﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِى ﴾

فلا مكان فيه خال ، من كثرة ما فيه ....من علوم وأسرار وأنوار

﴿ وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى ﴾ [الآية(١٣) الشعراء]

لأنه لا أحد يستطيع أن يتحمل هذه العلوم ..!!.

فهو يمنحها للرجال المخصوصين بهذه العلوم !!، والـــذين يحملونهـــا في صدورهم !!، حتى يضعونها في قلوب أشباههم وأمثالهم .

هذا بإختصار شديد ، معنى حكمة العارف التي يقول فيها :

" يفتح على العارف في منامه ، بما لا يفتح على العابد في عبادته ".

والله ورسوله أعلم .

أما الزاهد :

......فهو الذي أخذ طريق الرهبان الذين يتركون الدنيا ، ويجلسون في الأديرة ، وهذا ليس طريق الإسلام . فقد حرموا أنفسهم من الزواج ، ومن الطيبات ؛ في المأكل ، والملبس ..طلباً للدار الآخرة . والإســلا م ليس هكذا .

......فقد ذهب ثلاثة رجال إلى رسول الله ﷺ ليسألوه عن عبادتــه ، فوجدوها عبادة بسيطة ، فقالوا :

نحن لسنا مثل النبى ، فقال أحدهم : أنا لا أتزوج النساء ، وقال الثانى : وأنا أصوم الدهر كله ، وقال الثالث : وأنا أقوم الليل كله .

......فقال لهم النبى :

{ أنا أتقاكم وأكرمكم عند الله ، ومع هذا أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى }[١٨].

......وعندما جلس رجل من هؤلاء الزهاد ، مع سيدنا الحسن فأعطاه تفاحة : قال له : أنا لا آكل التفاح .

فقال له : لم ؟

فقال : زهداً في الدنيا .

فقال : والله يا أخى ، لنعمة الله عليك في الماء البارد ، أكثر من نعمتــه عليك في التفاح ....، فلا تشرب ماءاً !!.

﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾
[الآية ٣٢ – الأعراف]

---

(١٨) رواه ابن حبان عن أنس

كل ...، ولكن اشكر..!، وقد قال ﷺ :
{ كل ما شئت ، واشرب ما شئت ، في غير سرف ولا مَخَيلة }[١٩]
.

حقيقة الزهد

فالزهد الحقيقى :.......لا يكون إلا بعد التملك . فالذي لا يملك شيئاً !، ويدعى أنه زاهد !! : كاذب في دعواه .
......لأن الزهد ، لا يكون إلا عندما تكون الدنيا في يدك ، وأنت تعرض عنها ، فالزهد يجعلها في يده ، وليست في قلبه .
لأن الإسلام يحتّم عليَّ ، أن تكون عندى الدنيا ؛حتى لا أحتاج لأحد :
﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آية(٨) المنافقون].
وأكون انساناً عزيزاً . فالإسلام يريد أن يكون المؤمن رجلاً عزيزاً .
......ولهذا لا بد أن يسعى ، لكن عندما يسعى للدنيا :
......فلا يكون السعي لها مثل السعي للآخرة ، وإنما يسعى للدنيا برفق ، وهو واثق أن ما كان له سوف يأتيه ، فيتقى الله ..، ويُجْمل في الطلب.. . وعندما يأتي الرزق ..لا يفرح به !، وعندما يذهب ..لا يحزن عليه !.
إذن......:...متى أحزن ..؟ ومتى أفرح ..؟
أحزن عندما يذهب عنّى الحال ، وأفرح إذا جاء إلىّ الفتح . لكن الدنيا

(١٩) رواه أحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ورواه البيهقى والحاكم

كلها ، لو جاءتنى لا تسرّنى ، ولا تشغلنى عن الله عز وجل .
ولذلك لو احتاجها أحد من المؤمنين ، أعطيها له ، وكذلك لو احتاجها أنصار الله عز وجل – لكى يرفعوا لواء الإسلام –أعطيها لهم .
كما كان يفعل أصحاب رسول الله ، فهم المثل الأعلى للزهاد .
......ومثال الزهاد عثمان بن عفان :
......فقد كان له تجارة محملة بالدقيق ، والمدينة كلها لا يوجد بها دقيق.
فجاءه تجار المدينة يطلبون منه بضاعة – على أن يعطوه ضعف ثمنها – فرفض ، فظّلوا يفاوضونه حتى أوصلوها إلى الضعفين ، فأبى ، وقال لهم: لقد أُعطيت فيها عشرة أضعاف ، فنظروا إلى بعضهم داهشين ، وقالوا : ومن الذي أتاك قبلنا ، ولا يوجد بالمدينة تجار غيرنا ؟
فقال : أشهدكم أنى تصدقت بها على فقراء المسلمين .
وهذا هو حقيقة الزهد ، فقد جعلوها في أيديهم ، ولم يجعلوها في قلوبهم.
......وهذا زهد الصالحين – رضى الله عنهم وارضاهم ، ولذلك ورد في هذا المعنى عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى :
......أن رجلا اشتاق لزيارته ، فذهب لزيارته فوجد الشيخ – كجميع الصالحين يعتبرون أنفسهم ضيوفاً على الله ، والضيف عبد للمضيف فالذي يعطيه له يأكله ، والذي يقدمه له يأخذه ، حتى قالوا : "من أكل ولم يشهد المنعم في طعامه، فقد سرق" .
سيدى أبا الحسن الشاذلى ، كان في كل وجبة : يقدم له طعاما غير الذي سبق له تناوله . وقد كان هذا الرجل وهو ذاهب للشيخ يزوره ، رأى عابداً على شاطئ البحر ، فسأله ماذا تعمل ؟
فقال : أتعبَّد .

قال : فمن أين تأكل ؟
قال : معى شبكة أرميها في البحر كل يوم قبل غـــروب الـــشمس ، فتأتينى بسمكة ، أشويها ، وأفطر عليها ، ثم أنوى الصيام لليوم الثانى. ثم سأله العابد : إلى أين أنت ذاهب ؟
فقال : أنا ذاهب لزيارة الشيخ أبى الحسن الشاذلى .
فقال : سله لي الدعاء .
فمكث الرجل عند الشيخ ثلاثة أيام — وقديماً قالوا : " المريد الذي ينظر للشيخ في نهايته لا يفلح " . فهو لم يره عندما جلس سبع سنين في غار ف شاذلة ، وكان يأكل في السبع سنين حشيشاً من الأرض ، حتى تشققت شفتاه من أكل الحشيش — ثم استأذن في السفر .
فقال له الشيخ : ألم يكلفك أحد شيئاً ؟
قال : بلى ، قد طلب منى فلان العابد ، أن تدعوَ له ، فرفع الشيخ يديه ، وقال لإخوانه : إنى داعٍ فأمِّنوا : " اللهم انزع حب الدنيا من قلبه " .
فسافر ، وعند رجوعه مرّ بالعابد . فقال له : ذهبت إلى الشيخ ؟
قال : نعم .... قال :.... هل دعا لي ؟
قال : نعم .... قال :..... بم دعا لي ؟
فاستحيا أن يجيبه ، فلما ألحّ عليه ، قال له : قال " اللهم انـــزع حـــب الدنيا من قلبه " ... فقال العابد : ....أكان الدعاء وقت كذا ؟
قال : نعم . ...قال :..... لقد استجاب الله له .
فسأله الرجل : وما الدنيا التي عندك ؟
قال : عندما كنت أذهب لأصطاد كل يوم ، كنت أتمنى أن يرزقنى الله بسمكة كبيرة ، لأن السمكة التي كانت تقع في شبكتى كل يوم ،كأنها

هي التي في شبكة الأمس والتي في شبكة الغد ، فلما دعا الـشيخ لي ، ذهب عني هذا الخاطر .

......فمرّ عام ، وذهب نفس الرجل للشيخ ليزوره ، فلاحظ أن الطعام الذي يُقدّم له في الصباح والمساء صنف واحد لا يتغير طوال مدة الزيارة ، وقد لاحظ الشيخ دهشته تلك ، فقال له :

" نحن قوم نجود بالموجود ولا نتكلف المفقود " .

فكانت هذه الكلمة هي التي فتحت قلب الرجل ، حيـث عـرف أن العارفين يغترفون من نعيم لا يدرى به أحد إلا الله ، وهذا هو الزهد .

.....فالزهد وسيلة للوصول إلى الله ، والعبادة وسيلة للوصول إلى الله .

والغاية العظمى لكل مؤمن أن يجمع نفسه على مولاه عَزَّ وَجَلَّ .

......وكل هذه وسائل يجب ألا تشغلنا عن المقصد الأعظم ، وهو الله ، قال الإمام أبو العزائم – رضي الله عنه – :

أفردن بالقصد مولاك العلـى ... تـشهداً غيبـاً مـصونـاً أوّلى
لا تقف عند العلوم وسرّهـــا ... واطلب المعلوم منه بـه أُخـى
لا تقف عند المحبة إنهـــا ... حجبة العشّاق عن غيب بهـى
ما صلاتى ما صيامــى ما أنـــا ... كل ذا حَجْب ومـولانا عـلى

فكل الذي يقف عند وسيلة ، يكون عبداً لها .والإنسان الكامل لا يقف إلا عند مولاه عَزَّ وَجَلَّ ، بل إن الذي وصل إلى الله عَزَّ وَجَلَّ ، لا يقـف لأن كمالات الله عَزَّ وَجَلَّ ، لا تتناهى ، فكلما لاح له كمالٌ يـشتاق إلى مـا وراءه من الكمالات ، والله من وراء القصد ، وبالله بلوغ المراد .

وصلى الله علّى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الفصل الخامس

الوصول

- سفر القلوب
- الخبير القرآني
- المجاهدة للمشاهدة



ســــــفر القلوب

أكبر نعمة يا اخوانى نشكر الله ﷻ عليها ، ولا نستطيع أن نقوم حتى لو اجتمعنا بعضنا مع بعض بشكر الله ﷻ عليها :

......أن الله ﷻ جمعنا على العبد القرآنى والفرد الربانى ، الذي يوجه الله ﷻ أهل القلوب إليه.

وقد وجّه القرآن توجيها عاماً ، لمن أراد التبيان والإستفسار عن بيـــان آى القرآن ، أو سنة النبى العدنان ، فقال :

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾
[الآية(٧) الأنبياء].

.....فوجّه الكلّ إلى سؤال أهل الذكر ، وذلك في الفقه وعلوم الشريعة المطهرة . لكن أهل القلوب الذين هم في شوق إلى علام الغيوب ، وفى شدة الحنين إلى الحبيب المحبوب ، وجّه الله ﷻ قلوبهم.... إلى العبــد المحبوب ، فقال ﷻ :

﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [آية(٥٩) الفرقان].

......فلا بد من الخبير.

......لأن هذا سفر معنوى ، وليس سفر حسى :كالسفر من القـــاهرة إلى الأقصر مثلا ، بل هذا سفر إلى نور حضرة الظاهر ﷻ .

......سفر بالقلوب إلى عوالم الغيوب ، بدايته أنت موجود ، ونهايته أن تتحقق بمقام الفناء ، فتكون أنت مفقود ، والله ﷻ موجود .

......لأن الفانى لا يرى الباقى ..!!، بل لا يرى الباقى إلا الباقى ..!!.

ولذلك عندما سُئل أحد الصالحين عن كيفية تحققهم بهذا الحال ، قــال – رضي الله عنه :–

إذا تجلـــى حبيبى ... بأى عيـــن أراه
بعينه لا بعينـــــى ... فما يراه سواه

......فنحن والحمد لله ، تفضل الله علينا بالعناية والهداية ، وأفاض علينا هذا النور ، وهذا الحال . وكل ذلك يا اخوانى فضل من الله عز وجل .
......لكن الفضل الأعظم :
.......أنه وضع في أيدينا الدليل القرآنى الذي يدلنا علـــى الله عز وجل ، والذي يخرجنا من عالم الأهواء ، وعالم الخيالات .
وما أكثر الذين سافروا في هذه العوالم في زماننا وغير زماننا، وكل واحد منهم يُهيَئ له أنه وصل !!، مع أنه لم يصل إلى أي شئ !!، لأنه عــايش في عالم الوهم ، أو عايش في عالم الخيال .

الخبير القرآنى

ولكن الحمد لله ، أكرمنا الله بالخبير القرآنى ، الذي قال لنا :

أنا الخبير فسلنى عنه أنبيـــك ... وسلّمن لي إلى العليـــا أرقّيكا
واخلع سواه وكن صَبَابة مُغْرم ... وبعه نفسك والأموال يعطيك

......فالوصول إلى الله ﷻ يحتاج إلى الخبير القرآني ، ويحتاج معه إلى الإخوان الصادقين الذين يعينوني إذا ذكرت ، ويُذكّروني إذا سهوت ، ويأخذوا دائما على أيديك ، حتى تظل دائما في رفعة وسمو إلى حضرة الله ﷻ . ولذلك قال لنا ربنا :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [الآية (١١٩) التوبة].

......فالصادقون يسلمونكم للصّدِّيق الأعظم ، وهو يسلمكم للخبير القرآني ، لأن رسول الله ﷺ ، كان يقف على بابه الصّدِّيق وهو الذي يفتح الطريق ، فيأخذ العرب الذين جاءوا من البادية ليهذّبهم ، ويؤدبهم ، ويعلمهم كيفية دخول الحضرة المحمدية ، والآداب المرعية التي يجب أن يتحلّوا بها عند مجالسة خير البرية ، وعندما يستوثق منهم :
يأذن لهم بالدخول على رسول الله ﷺ .

......وهذا الحال إلى يوم القيامة مع جميع الصالحين .

......فإن الله ﷻ يجعل لهم اخوان صدق على قدم الصديق – رضي الله عنه وارضاه – والصّدِّيق هو الذي قال :

" من ذاق قطرة من خالص محبة الله ، لم يلتفت نفساً إلى سواه ".

وقد تخللت محبة رسول الله ﷺ كل حقائقه الظاهرة والباطنة ، حتى تغنّى بين يديه قائلا :

أحبك حباً لو يُفاض يسيره ... على الناس ، مات الناس من شدة الحب
وما أنا مُوفٍ بالذى أنت أهله ... لأنك في أعلى المراتب من قلبي

......فكان يسهر معه صلوات الله وسلامه عليه إلى ما شاء الله ، فإذا دخل رسول الله ﷺ إلى حجرته الخاصة ، توجّه الصدّيق إلى منزله ، وبعد ما يصل الصدّيق – رضي الله عنه – إلى بيته يقول :
اشتقت لرسول الله ﷺ ، رُدّونى إلى رسول الله ﷺ .
......فالطريق إلى الله عز وجل يحتاج إلى دليل تفضّل عليه الله بمعرفته ، ثم أمره بالأخذ بيد غيره .
لأن مولانا الإمام أبو العزائم ، قال :

من يعرف العبد يعرف ربه فضلاً ... مَنْ يجهل العبد يُبلى ثم بالصدّ

......فالذي يعرف العبد يعرف الله ..، لأنه هو الذي يكشف لك الأنوار الحسّية والمعنوية ..، ويبين لك المسالك التي تعترض السالك.. ، حتى تصل إلى مقام في القرب ...يقال لك فيه: ها أنت وربك !!.
وقد كان الإمام أبو العزائم – رضي الله عنه وأرضاه– يقول :
" أنا لا أدلّك على الله ، وإنما أوصلك إليه عز وجل ".
.....فالأدلاء الذين يصفون الطريق كثير ، لكن أنا لا أريد دليلاً يصف لي الطريق .... ويتركني أمشي وحدى . وإنما أريد خبيراً ...، أسلّم له روحى ، وأعتقد فيه ، فينقلنى بروحه العالية ، حتى يوصّلنى إلى الله عز وجل ، وإلى رضوان الله سبحانه .
......وإليه الإشارة بقول الإمام أبي العزائم – رضي الله عنه – :–

فسلم لأهل الحان روحك واعتقد ... تفز من شراب الراح حين وروده

وقد قال الشيخ ابن عطاء الله – رضي الله عنه – في وصف الأدلة :

" من دلّك على العمل فقد أتعبك ، ومن دلّك على الدنيا فقد قطعك ، ومن دلّك على الآخرة فقد حجبك ، ومن دلّك على الله فقد أراحك ".

......فالمجتهدون في العبادات والمكابدات ، ما غاية اجتهادهم ؟

......الثواب العظيم ، الذي يقول فيه الله سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ [آية(٣٠)الكهف]

المجاهـــدة للمشاهـــدة

لكن الذي يريد أن يصل إلى الله ماذا يفعل ؟

.....يُزيل الحجب الموجودة على نفسه وقلبه:

﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [الآية (٢٢) ق].

......ما هذا الغطاء ؟

......قبل أن آتى إلى الدنيا كنت أشهد لجمال الله ، وأتمتـــع بـــسماع كلام الله ، كما قال الإمام أبو العزائم رضي الله عنه :-

من ألست لم ننسى ما قد شهدنا ... من جمال الجميل إذْ خاطبنا

لما خلق الجسم ...، ورُكبّت فيه النفس ...، حدث الحجاب :

﴿ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [آية(١٥) ق].

فقد ستر الجسمُ والنفسُ أنوارَ الروح والقلب : لكثرة طلباقم وإشغالهم

للإنسان بحظوظهم وشهواتهم ،..... فأصبح الإنسان لا يرى جمال الله ، ولا أنوار الله !! مع أنها ساطعة في أرجاء الوجود .

فاحتاج لكى يعود إلى الصفاء الأول : إلى أن يسلك طريق الله ﷻ .

......والطريق الموصلة إلى الله ﷻ ليست واحدة ، ولذلك قيل :

إن لله طرائق ، بعدد أنفاس الخلائق .

......فأين الطريق الذي أسلكه ؟

......لا بد من خبير قرآني معه بصيرة نورانية ، وإذن من الحضرة المحمدية ، وفيه يقول الله ﷻ :

﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [الآية(١٠٨)يوسف].

......وهذا الذي أكرمنا الله به بمعرفة الصالحين رضى الله عنهم.

......فمثلاً الإمام أبو العزائم ، اختصر لنا الطريق وقال :

" الوصول لله سهل تناله بكلمتين هما :"(تجاوز نفسك تنل أنسك)".

......كيف أتجاوز نفسي ؟

......بالجهاد ،...... وما الجهاد الموصل ؟

......قال فيه – رضي الله عنه – :–

جاهد نفوسا فيك بالشرع الأمين .. واحذر قوى الشيطان في القلب كمين
غلّ وكيد من حسود جاهل ... ظُلْم العباد بنية فى كل حين
والنفس داعية الرياسة فاحذرن ... فرعونها تنجو من الداء الدفين

فتجاهد لنزع الغلّ من صدرك ، كما قال الله ﷻ:

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾

......بعد هذه المجاهدة ، تدخل دائرة الإخوة الإيمانية :   :

﴿ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [الآية(٤٧) الحجر].

وبعد دخول دائرة الإخوان ، أخلع حظوظى وأهوائى وشهواتى :

يا مريدا شهود ما قد شهدنا ... فاخلع النعل واستمع لمقالى

فهذا هو جهاد النفس الذي يوصل لساحة القدس .

.....ولا يتم هذا الجهاد إلا على يد الخبير الذي عيَّنه العلى القــدير ، ومعه تصريح من البشير النذير ﷺ

.....فهذا هو الذي يستطيع أن يعالجنى :

فأنا أسلم نفسي إليه ؛ وهو بعد ذلك يقوم بإخراجى ممـــا أنـــا فيـــه ، بالأحوال العالية التي يهبها الله عَزَّ وَجَلَّ له .

.....لأن هذه الأشياء : الحرص ، الشح ، الأثرة ، الأنانية ، وغيرها ، لا أستطيع أن أعالجها بمفردى ......فقد قيل في الحكمة :

" بالحال تزكية النفوس ، لا بالفلوس ولا بالدروس ".

......ولذلك قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ ونزعنا ﴾ باسناد النزع إلى حضرته عَزَّ وَجَلَّ ، ولم يقل " ونزعوا " ، لأنهم لا يملكون ذلك بأنفسهم.

......ولذلك ....:

كم من رجل جاء لرسول الله يريد قتله !، ويضع يده ﷺ على صدره !، فيقول :

قد كنتَ أبغضَ الخلق إليَّ فصرتَ الأن أحبَ الخلق إليَّ ، لمـــاذا ؟

لأن رسول الله ﷺ نزع بنوره الرباني ؛ نبتة الشيطان من نفسه ، وزرع فيه نبتة الحب لربه :

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾ [آية (٦٣-٦٤) الواقعة].

.....فالرجل الصالح ينزع من النفس :

الحقد ، والحسد ، والبغض ، والاثرة ، والشح ، والطمع ، وغيرها .

......ثم يزرع فيها :

الحب ، والورع ، والوُدّ لله ، والشوق إلى الله ، والنباتات الإلهية .

فهم الذين ينزعون ، وهم الذين يزرعون ، وهم الذين يغرسون.

فالحمد لله الذي أكرمنا بهذا الفضـــل ،

لا بعمل عملناه ، ولا بفضل قدّمنـــــاه،

ونشكر الله جميعاً على هذه النعمـــــــة ،

ونسأله مزيداً من التأييد والتثبيت الروحـــــــاني .

وصلّى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم ،

الخَاتِمَـــــــــــــــــــــة

كيف يصلح الله جميع شئوننا في الدنيا والآخرة ؟



كيف يصلح الله جميع شئوننا في الدنيا والآخرة ؟(*)

الحمد لله رب العالمين ،

.....الواحد في أرضه وسماه ، المتوحد في كبريائه وعلاه ، العزيز الذي يعزُّ كل من دخل في حماه ، القوي الذي يتدخل بقوته في كل أمر ليكون كما أراد الله .

......الغني بذاته ، وصفاته ، وكمالاته ، عن كل ما عداه .

......سبحانه سبحانه ،

......له الحمد علي نعمه التي لا تحصي ، وله الشكر علي خيراته التي لا تستقصي .أعطي فأعطي بلا علة ....، ولم يمن علي أحد أعطاه ....، لأنه عطاء المعطي الغني تبارك وتعالي .

.....وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الكمال في الخصال ، وله الجلال في كل حال ، وله الجمال لمن أطاعه وإتبع هداه ومشي علي شرع الواحد المتعال .

......وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله ، إستقام كما أمره مولاه ، فأعطاه الله في الدنيا ما يتمناه ، ووعده أن يعطيه في الآخرة حتي يرضيه ، فقال جلّ شأنه :

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ [آيه (٥) سورة الضحي]

اللهم صلي وسلم وبارك علي إمام الشاكرين ، وسيد الحامدين ، وخير مَن عبد الله عزّ وجلّ ، وأطاعه وإستقام علي هداه في كل وقت وحين ،

(*) كانت هذه خطبة الجمعة بعزبة اسحق مركز ديرب نجم بمحافظة الشرقية يوم ١٣من شوال ١٤٢٥هـ الموافق ٢٦من نوفمبر ٢٠٠٤م.

سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .
......إخواني جماعة المؤمنين :
.....كلنا يشكو بلسان القال ، أو يعبر عنه لسان الحال ، ويقول في كل موطن وفي كل موضع :
.....كيف يكون حالي عند الله مرضيا ، وكيف يصلح الله جميع شئوني الدنيوية ، فيغنيني بفضله عن كل أحد ، ولا يحوجني في طرفة عـــين أو أقل إلي أي أحد ؟
.....كلنا يقول لسانه ، أو حاله هذه العبـــارات ، ويرجـــو الإجابـــة السديدة عنها .
......كيف يصلح الله جميع شئوننا ؟ وكيف يجعل الله ﷻ كل حياتنا في الدنيا ستراً وسعادة ، ويجعل لنا في الآخرة في تقديره وفي حكمـــه... الحسني والزيادة ؟
.....لعل هذا الحال ليس حالنا فقط ، بل هو شأن السابقين ، وحـــال المعاصرين ، وكذلك سيكون الأمر بالنسبة لجميع اللاحقين .
......وليس هذا الأمر خاصاً بعامة المؤمنين ، بل إن النبيين ، والمرسلين ، وأئمة الهدي والتقي والطاعة لله ﷻ في كل وقت وحـــين ، كلـــهم يسأل ويتسآءل : كيف يصلح الله جميع شئوني ؟
.....إن كان من ناحية العافية ، والصحة ، والقوة ؟
.....أو كان من ناحية الطاعة ، والذكر ، والشكر ، والعبادة لله ؟
.....أو كان من ناحية المال الذي نحتاج إليه في هذه الحياة ؟
.....أم كان من ناحية الأولاد ، والزوجات ، الذين نطمع أن يكونوا لنا بررة في هذه الحياة ؟... وأن يكونوا لنا كما قال الله :

﴿ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ ﴾
[الآية (٧٤) سورة الفرقان]

......بأن يكونوا قرة أعين لنا في الـــدنيا ....، وأن يكونـــوا في كفـــة حسناتنا في الآخرة ؟

.....أي أمر ، وأي شأن ، يرجو المرء أن يصلحه لـــه الله ﷯ وهـــو العليم بما في حنايا القلوب ؟

اطّـــلع علي ذلك من قبل القبل ...إلي ما بعد البعد ....

وأخرج في هذا الأمر روشتة قرآنية إلهية : تغني هذه الأمـــة المحمديـــة ، وتجعلها أمة عزيزة في الدنيا وسعيدة في الآخرة ، إذا مشت علي هـــذه الروشتة التي وضعها لها الله ﷯ .

.......وحتي لا يكون الأمر فيه تفكير ، وتقدير ، وتدبير:

فقد وجه الله ﷯ هذه الروشتة للحبيب النذير .

وشمل فيها : من معه ، ومن آمن به ، وصدق بدينه ، وقـــرأ كتابـــه ، وعمل بشرعه إلي يوم الدين .

وجعل هذه الروشتة : صنفا واحدا ، دواءا واحدا ، مبدأً واحدا ، عملا واحدا ، إن عمل به الإنسان سعد في الدنيا ويوم لقاء الرحمن ﷯ !!!

ما هذه الروشتة....؟ وماذا قال فيها الله ......؟

﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾ [آية (١١٢) ، هود] .

......وهل كان النبي ﷺ في حاجة لأن يأمره ربه بالإستقامة ؟

وهو كما نعلم كان لا يفعل أمرا صغيرا ! أو كبيرا !، إلا بعد الرجـــوع فيه إلي حضرة الله ﷯ .كان لا ينطق بكلمة عن هوي في نفـــسه ، ولا

عن حظ في طبعه ، ولا عن ميل في فكره ، وإنما نطقه لأي كلمة –ولو كانت– فهو كما قال الله ..:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾
[آية (٣و٤)سورة النجم]

كل كلامه كان وحيا من الله ﷻ ، حتى قال ﷺ عندما كان يمــازح بعض أصحابه :

(إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً) [١] .

فنطقه حق ، وحركاته وسكناته كلها طلبا لمرضاة الله ، وشهد له بذلك الله ، وأنزل هذه الشهادة في كتاب الله ، وأمره أن يقولها لنا ، لنتأسى به في كل شأن في هذه الحياة ، فقال لنا تنفيذا لأمر مولاه :

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ [الآية (١٦٢) سورة الأنعام]

فكل حركة بأي عضو من أعضائه ، بعينه ، أو بيده ، أو برجله ، وكذا كل كلمة بلسانه ، وكل نظرة من عينه ، وكل خطرة تمر على فكره : كان يتحري فيها أن يستخير الله ، ويطلب فيها توجيه الله ، ولا يعــزم الأمر ولا يفعل ، إلا إذا أمره مولاه أمرا صريحا .

فكان في كل أحواله يتلقي الوحي من مولاه تبارك وتعالي اسمه .

........ومع ذلك يقول له ربه :

﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ [الآية (١٢٢)سورة هود]

أي امكث علي هذا الحال ، وداوم علي هذه الخصال ، واستمر علــي

---

(١) متفق عليه

هذا المنوال ، ولا تُـغيِّر ولا تتبدل ، حتى تنال رضا الواحـد المتعـال ﷻ.......فإن الله ﷻ :
.......جعل الرضا من حضرته ، علي من جعل حياته كلها علي وفـق شريعته : فلا يتحرك إلا إذا أمر كتاب الله ، ولا يفعل شيئا إلا إذا كان في فعله مطابقا لفعل سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ .
فإذا كان المرء يتحري ذلك حتى في لهوه ، وفي نومه ، وفي أكلـه ، وفي شربه :....... يتحرَّي أن يكون في كل أمر يجانب هواه ،... ولا يشارك نفسه ، أو حظه ، أو عقله ، في تفسير شـرع الله ،.... أو في تحويـل العمل الذي أمره به الله علي وفق حظه وهواه.
......بل يتحري أن ينال بكل عمل رضا مولاه .
فيجعله علي الميزان المحرر ، وهو شرع الله وسنة حبيب الله ومصطفاه.
......فكفة العمل للمؤمن ، وميزان الأحوال للمسلم :
كفة فيها كتاب الله ، وكفة فيها سنة حبيبه ومصطفاه.
......يضع العمل الذي يريد أن يعمله ، والقول الذي يريد أن ينطق به ، علي كفتي الميزان :
فإذا وافق العمل أو القول كتاب الله ....، تحرَّي أن يعمله علي نـسق سيدنا ومولانا رسول الله .
لأنه لا يستطيع أن يعمل العمل من ذات نفسه ...، وإنما يقيمـه علـي ميزان سيد الأولين والآخرين ﷺ ....
..... فإذا كان العمل أو القول :
يوافق شرع الله .
وعمله علي نهج حبيب الله ومصطفاه .

وداوم علي ذلك في كل قول وفي كل عمل وفي كل حال :
فإن الله عَزَّ وَجَلَّ يعمُّه برضاه ، ويحيطه بهداه ، ويجعله بعينه و يتولاه ، وهو يتولي الصالحين.
......فلا يجعل له حاجة لأحد من البشر ، ولا يُمَكِّن أحداً من الناس مهما كانت قوته ، أن يصيبه بشر أو ضرر، بل يكون دائما وأبدا في حصانة الله وفي كفالة الله:
﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [آية (٦٤)يوسف]
يجعل الله له بركة في جسمه ....، فيداويه من كل داء بأيسر سبب من أسباب العلاج والشفاء ....
ويجعل الله له بركة في رزقه ، فالرزق القليل يكفيه ويزيد ، بل ويتصدق به علي العبيد ، لأن البركة حلت فيه من لدن الحميد المجيد عَزَّ وَجَلَّ .
يجعل أولاده بررة و أتقياء ، فتقرُّ بهم عينه في الدنيا ، ويكونون في ميزان حسناته يوم العرض والجزاء .
ولا يجعل للهمِّ ولا للغمِّ ولا للنكد نصيبا فيه ، ولا سبيلا إليه .
لأنه من تولاه الله بعنايته لا يستطيع الهمُّ ، أو الغمُّ ، أو المحن ، أو الآفات ، ...أن تقترب منه .
......لأنه مع الله ، ومن كان مع الله :
فإن كل شيء في الدنيا والآخرة يكون رهن أمره وتحت مشيئته ، لأنه في حمي الله جلَّ في علاه .
.... هذا المنهج الجامع يقول فيه الله عَزَّ وَجَلَّ
﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ

فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [آية (٩٧) سورة النحل]

﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾ [آية (١٢٢) ، هود]

......إذن المشاكل ، والأنكاد ، والهموم ، والغموم ، والمتاعب ، والقلاقل ، والأمراض التي تستعصي علي العلاج : في الجسم ، والهموم والغموم التي تنتاب النفس ، وهمُّ الأرزاق ، واعوجاج البنين والبنات ، والمشاكل التي يعجز الإنسان عن حلها :.....

......ما سببها؟

......تهاون المرء في أمر من أمور مولاه .

......وعدم تطبيقه التطبيق الصحيح للشرع الذي أنزله الله .

فيتدخل فيه بحظه وهواه ، ويريد أن يلوي الشرع ليكون وفق هواه ، ويريد أن يفسر الآية والحديث علي حسب ما يرضي نفسه ، لا علي حسب ما يطلبه الله ﷻ .

فيتعب نفسه ، ويشقي غيره . والسبب كامن في نفسه .

لأنه حَكَّمَ هواه في شرع الله ، ويريد أن تصير الحياة علي هواه ، ويزعم أمام الخلق أنه يعمل بشرع الله سبحانه وتعالي .

...... وهذا هو سبب كل الهموم ، والغموم ، والمشاكل التي تنتاب المسلمين ، أفرادا وجماعات ، رؤساءاً ومرؤسين ، حكاما ومحكومين .

......لكننا لو حكَّمْنا شرع الله ﷻ في :

أنفسنا ، ومع أزواجنا ، ومع بناتنا ، وأولادنا ، وفي أرزاقنا ، وفي معاملاتنا ، ومع جيراننا .. وأهلينا .. وذوي قربانا ..وأهل بلدنا ، وفي

كل أمر لنا ، ...أو حولنا :
فمن أين يظهر لنا الأنكاد؟
وكيف تنتابنا الأمراض؟ وكيف تحيق بنا الأخطار ؟
لا يكون ذلك أبدا بجماعة المؤمنين .....!!!
لأن الله حكم وهو أعزُّ الحاكمين ، في كتابه القرآني الكريم :
﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ﴾ [آية(٢١) ،المجادلة]
.....كتب وسجَّل وانتهي ، أي أنه :
.....لابد أن يغلب هو ورسله ، وأنبياءه ، وأتباعهم ، وأنصارهم ، وأحبابهم ، ما داموا بشرع الله عاملين ، وبسنة الحبيب ﷺ آخذين ، وعن الهوي معرضين ولا يحكموه في أمر صغير ، أو كبير من أمور خاصتهم... وأنفسهم ....أو أمور عامةالمسلمين .
......قال ﷺ :

"تركت فيكم ما إن تمسكتم به ؛ لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي"[٢] .

......أو كما قال ،
......ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ،
......الذي كلأنا بنعماه ، ووالانا بآلائه ظاهرة وباطنة في هذه الحياة ،

---

(٢) متفق عليه

.....ونسأله عزَّ شأنه ، أن يتم علينا النعمة فيجعلنا في الدنيا من أهـــل الإستقامه ، إلي أن نلقاه .

......ويلحقنا بأهل السعادة ، ويكتبنا في ديوان أهل الحسني والزيادة .

......ويجعلنا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

......وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يحق الحق ...ويبطل الباطل ؛ ولو كره المجرمون .

......وأشهد أن سيدنا محمد عبد الله ورسوله ، إمام أهـــل الهدايـــة ، وسبيل أهل العناية ، ومفتاح الجنة والرعاية .

......اللهم صلي وسلم وبارك علي سيدنا محمد ، وآلــه الكرمـــاء ، وصحابته البررة الأتقياء ، وكل من تابعه علي شرعه ، ومشي علي نهجه ، إلي يوم العرض والجزاء .

إخواني جماعة المؤمنين :

......بعد أن كلّفنا الله ﷻ ، ووضح لنا السبيل للـــسعادة والحيـــاة الطيبة في الدنيا ويوم الدين..:

أخبرنا عزَّ شأنه كما استمعنا قبل الصلاة ، أنه يحب عبـــاده المـــؤمنين ويلطف بهم في كل وقت وحين ، وقال لنا في روشتته القرآنية :

﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴾ [الآية (١٩) سورة الشورى]

......ومن أعظم لطفه ﷻ بنا : أنه لا يعجّل لنا العقوبة إن تخلينا عن العمل بشرعه الكريم ، ولا يسرع لنا بتنفيذ الأحكام المقررة في كتابـــه

الكريم لمن يخالف الشرع الشريف ، ومن لم يتابع النهج الكريم للحبيب ﷺ ، فقد قال الله فيمن يخالفه :

﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الآية (٦٣)سورة النور].

.....جزاء المخالفة لحبيب الله ومصطفاه :

أن يبتلي المرء بفتنة تدع الحليم فيها حيران ،....!!

أو يترل عليه عذاب أليم في الدنيا من الرحمن عز وجل ....!! وهذا أمر لا يطيقه بني الإنسان ، فما بالكم بأهل الإيمان ؟؟

......لكن الله عامل المؤمنين بغاية اللطف :

......فمن خالف أمهله الله ، ولم يعجل له العقوبة ، وأعطاه فرصة ليتوب إلي الله ، و يتوب إلي مولاه ، ويرجع عن حظه وهواه ، ويسارع إلي متابعة حبيب الله ومصطفاه .

......فإن لم يتب :......ابتلاه بلاءاً معه لطف الله :

ابتلاه في نفسه ، أو ابتلاه في جسمه ، أو ابتلاه في ولده ، أو إبتلاه في ماله، وكأنه يقرع قلبه بهذا البلاء ، حتي يمحِّص نفسه ، وينظر في أمره ، فيرجع إلي الله .

......فإذا رجع إلي الله :

كشف عنه هذا البلاء في الحال ، وإن لم يرجع :

جعل هذا البلاء كفَّارة لهذا الذنب ، لأنه يحب أن يخرج عباده المؤمنين من الدنيا ،وليس عليهم سيئة أو ذنبا يحاسبهم عليه يوم الدين .

وهو عز وجل إذا وعد لا يخلف ، وقد قال له ﷺ :

﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ﴾
[الآية (٨) سورة التحريم]

وعده : أنه لا يخزي المؤمنين الذين تابعوا النبي في هذه الحياة.
والخزي يعني الفضيحة ، أي لا يحاسبهم أمام الخلائق يوم القيامة ، ولا يفضحهم : إلا الذي يفضح نفسه في الدنيا ، ويباهي بذنبه ، ويفتخر بسوء عمله ، ولا يستر نفسه –وقد ستره مولاه– لقول الحبيب ﷺ :

(كل أمتي معافيً إلا المجاهرين ، يبيت أحدهم علي ذنب قد ستره الله عليه ، فيصبح فيكشف ستر الله ، ويتحدث بذنبه)[٣]

.......والمجاهر :
الذي يفتخر بما فعل ، أي يصبح وقد ستره الله ، فيقول للخلق :
قد فعلت كذا ، أو غششت فلانا في كذا ، أو سرقت من فلان كذا ، أو ضحكت علي فلان في كذا ، ويتباهي بعمله الذي لا يرضي الله :
.......هذا يفضحه الله :
.......إلا إذا تاب وأناب ، فإن الله كذلك يستره الستر الجميل مع النبي والذين آمنوا معه .
......وعد الله النبي أن لا يخزيه وأمته يوم العرض والجزاء .
......وهم يرتكبون الذنوب ، ويخالفون الشرع المكتوب ، فيطهرهم من الذنوب ومن العيوب بما يبتليهم به في هذه الدنيا .
.....ولذلك قال ﷺ :

(ما من همٍّ ولا غمٍّ ولا نصب ولا وصب ولا ألم ولا شيء يصاب به العبد المؤمن إلا وكفَّر الله ﷻ به من خطاياه)[٤] .

---
(٣) متفق عليه

لكنه يظل في نكد ، وهمٍّ ، وغمٍّ .
لأنه في الإبتلاء لتطهير الله ﷻ له ، حتى يخرج من الدنيا سليما من المؤاخذة ، وليس له محاسبة يوم العرض والجزاء .
.....لكن الذي يريد أن يعيش في الدنيا عيشة هنية ، في سعادة قلبية ، وفي راحة نفسية ، وكل أموره في الدنيا مقضية ، وكل أموره التي تعينه علي أمور الآخرة ميسرة ، والله ﷻ ييسرها له بأيسر طريق :
.......هذا هو الذي يستقيم علي طاعة الله ، وعلي سنة حبيب الله ومصطفاه ، وهذا الذي يقول فيه الله :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [الآية (٣٠) سورة فصلت] .

نسأل الله ﷻ أن يتولنا بولايته .
وأن يجعلنا من أهل قربه وعنايته ،
وأن يوفقنا لتمام الإستقامة علي العمل بشريعته ،
وأن يهيء لنا العمل الصالح وصالح العمل ،
وأن يحقق لنا بفضله كل أمل ، وأن يجعلنا من الذين إذا استقاموا استبشروا ، وإذا أساءوا استغفروا.
وأن يغفر لنا ذنوبنا ، ما علمنا منها وما لم نعلم ، ما تقدم منها وما تأخر.
وأن يغفر لنا ولوالدينا ، وللمسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات . إنه سميع قريب مجيب الدعوات .

---

(٤) نص الحديث : (ما من شيء يصيب المؤمن من نصب ولا حزن ولا وصب ، حتى الهم يهمه إلا يكفر الله به عنه سيئاته)
تحفه الأحوذى بشرح جامع الترمذى

اللهم بارك لنا في ثمارنا ، وضروعنا ، وأقواتنا ، وأولادنـــا ، وبناتنـــا ......يا أرحم الراحمين .

اللهم ارزقنا ...وأولادنا ، وبناتنا ، رزقا حلالا ...مباركا لنا فيه .

واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كـــل شر .

اللهم احفظ ولاة أمورنا وحكام المسلمين أجمعين ، من العمل بما يخالف شرعك ، ووفقهم لإتباع حبيبك ومصطفاك ، وخذ بناصيتهم لتطبيـــق أحكام شريعتك يا أحكم الحاكمين .

اللهم أهلك الكافرين بالكافرين ، وأوقع الظالمين في الظالمين ، وانتقم لنا من اليهود ومن عاونهم ومن ساعدهم أجمعين ، وأخرج المـــسلمين مـــن بينهم سالمين غانمين يا رب العالمين .

......عباد الله :

......إتقوا الله :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الآيه (٩٠) سورة النحل]

.....إذكروا الله يذكركم ، وإستغفروه يغفر لكم....

......وصلّي الله علي سيدنا محمد ، وعلي آله وصحبه وسلم .



المؤلف فى سطور

فـــوزى مُحمَّـــد أبوزيـــد

۞ **تاريخ ومحل الميلاد :**
١٨/١٠/١٩٤٨م : الجميزة – مركز السنطة – محافظة الغربية

۞ **المؤهل** : ليسانس كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ١٩٧٠م .

۞ **العمل** : مدير عام بمديرية طنطا التعليمية .

۞ **النشاط** :

يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بجمهورية مصر العربية ، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى : ١١٤ ، ش ١٠٥ حدائق المعادى بالقاهرة ، ولها فروع فى جميع أنحاء الجمهورية.

يتجول فى جميع أنحاء الجمهورية : لنشر الدعوة الإسلامية ، وإحياء المُثل والأخلاق الإيمانية ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، بالإضافة إلى الكتابات الهادفة إلى إعادة المجد الإسلامى .

۞ **دعـــوته :**

يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات بين المسلمين ، والعمل على جمع الصف الإسلامى ، وإحياء روح الإخوة الإسلامية ، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس

يحرص على تربية أحبابه على التربية الروحية الصافية ، بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم .

يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين ، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن وعمل رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام .

۞ **هدفه :**

إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية ، ونشر الأخلاق الإسلامية ، وترسيخ المبادئ القرآنية.

فهرس

